جزء خاص
١٢ عاماً
على استقلال دولة قطر

العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٠٢هـ - سبتمبر ١٩٨٢م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تعنى بالابداع العربي والثقافة الانسانية

- يوسف إدريس يتحدث بالصوت العالي
- ظاهرة غريبة: الرمال الموسيقية!
- أوهام حول موقف الغرب من الدين
- صنعاء بين سحر الماضي وآمال المستقبل




بيبسى
بيبسى
إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٣ - ذو القعدة ١٤٠٣هـ - سبتمبر ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢١ - بنغازي

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بنقبة الدرازي
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع فرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ١٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الأولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha



٣ سبتمبر ومسيرة ١٢ عاما على استقلال دولة قطر ص ٨٣



الحرف التقليدية الاسلامية في العمارة المغربية ص ٥٨



عطيل الانجليزى وديك الجن العربى

● دراسات ومقالات ●

● وثائقنا مكشوفة ووثائقهم فى السر والخفاء ! .....
د . سيار الجميل ٦
● حتى لا يسقط شبابنا فى اوهام خاطئة : موقف الغرب من الدين .....
د . عون الشريف قاسم ١٠
● كتاب يجب ان يقراه كل مسئول ، وكل مواطن عربى
د . محمد جابر الانصاري ١٣
● حركة « كاخ » الصهيونية ، عصابة ارهابية جديدة
عصام شريح ١٦
● خواطر تسر الخـــاطر .....
زكريا تامر
● انحطاط مستوى التعليم فى امريكا .....
فتحي رضوان ٢٠
● الرمال الموسيقية .....
درويش مصطفى الفار ٢٨
● النظام الاقتصادي فى الاسلام .....
د. السيد محمد بدوي ٣٤
● استعادة المبادرة الحضارية .....
الياس سحاب ٤٢
● صنعاء .. مدينة التقاليد العربية وفرســـان الحكايات الشعبية .....
فوزي الخميس ٥١
● صور نادرة للارض : كاميرات دقيقة تصور الدنيا من الفضاء ٥٦
● ازرع ارضك سمكا ! .....
رجب سعدالسيد ٦٤
● « علماء الفلك يشهدون ولادة نجوم جديدة ! » ....
حسام جميل مدانات ١٠٠
● عصر الاتصـــال .....
د . عصام سليمان موسى ١٠٦
● الجراح العربي الاندلسي ابو القاســـم خلف الزهراوى وكتابه فى الجراحة .....
د . امين الطيبي ١١٦
● عصير الخضروات والفاكهة قيمتها الطبية وتاثيرها على الميكروبات .....
د . عز الدين فراج ١٢٢

● شؤون الخليج ●

● جزء خاص بمناسبة مرور ١٢ عاما على اســـتقلال دولة قطر ٨٣
● انسان الخليج فى لوحات فنان .....
يوسف احمد ١١٢
● قضايا خليجية .....
عبد القادر عقيل ١٤٦

● ادب وفنون ●

« عطيل » الانجليزى وديك الجن العربي .....
د . نسيب نشاوي
● « علي بابا » قصة عربية لا ارمنية ولا تركية .....
محمد فهمي عبد اللطيف ٢٢
● هذا العبقرى الصعلوك كيف يستقبله العـــالم العربى ، وكيف يفهمه الادباء !؟ .....
محمد يوسف ٣٠
● حوار مع القاص والروائي ادوار الخراط حول ازمة العقل العربى .....
ماجد يوسف ٣٨
● حكايات صغيرة .....
عبد الله الشيتي ٤٦
● عبد العزيز البشري : الاديب المرح الساخر .....
حارث طه الراوي ٤٨
● يا صدرا .. وطنا .. الى امل دنقل « قصيدة » .....
سماح عبد الله ٦٧

● جيرارد دي كريمونا : اشهر مترجمى المولفات العربية ..... د . احمد محمود بدر ٦٨

● الجمال الظامئ « شعر » ..... عبد العليم القباني ٦٩

● عاشق الاسكندرية يعود اليها ! ..... علي شلش ٧٠

● صالح الشرنوبي .. شاب نضج قبل الاوان ومات فى العنفوان ..... حامد بدر ٧٤

● البراءة والتجربة فى نار « المجاذيب » ..... د . محمد عبد الحي ٧٦

● نشيد اخر الليل « قصة » ..... عبد الله الطوخي ٨٠

● تقاسيم عشوائية « شعر » ..... فوزي صالح ٩٩

● شجرة السنديان العجوز « قصة » ..... كلثم جبر ١١٠

● يوسف ادريس يتحدث الى « الدوحة » بصوت عال : الانسان فى عالمنا بائس جداً لانه ليس مطلوباً منه ان يفكر ! ..... حوار : فوزية رشيد ١١٨

● حاضرة انت فى القلب « قصيدة » ..... م . كجراي ١٢٤

● نعنع الماء « قصة » ..... عادل ابو شنب ١٣٠

● اللعبة الجديدة للسينما الصهيونية : فضائح وانحرافات بدلا من الدعاية المكشوفة ..... رءوف توفيق ١٣٢

● ابواب ●

● كتاب الشهر : الحرف التقليدية الاسلامية فى العمارة المغربية ..... عرض : جمال الغيطاني ٥٨

● لقطات من الكون المثير ١٠٤

● هل تعلم ..... عبد العزيز السيد المصرى ١١٥

● من روائع الفن العالمي .. سيدة العصر . والحرب والسلام ..... جمال قطب ١٠٨

● أوراق خضراء ١٢٥

● العلم والمستقبل ..... لبنى الريدى ١٣٨

● دوحة القراء ١٤٠

● استراحة الدوحة ..... رءوف عبده ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
مريم آل سعد
سنان المسلماني
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العبشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

نحن بلا أسرار والآخرون لا يقدمون عن أنفسهم أي معلومات

وثائقنا مكشوفة ووثائقهم في السرّ والخفاء

بقلم: الدكتور سيار الجميل

لقد كنا نحن العرب ومازلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم «اسرائيل» ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرأنا فى يوم من الأيام محتويات وثائق اسرائيلية ؟ أو قرأنا يوماً محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة اسرائيل أنفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء أو بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟
الجواب : كلا .. كل ماكتبوه هو المذكرات السياسية .

تعتبر الوثائق السياسية بشكل عام ، من أهم مصادر دراسة التاريخ السياسي الحديث والمعاصر ، نظراً لما تحتويه من حقائق واسرار ومعلومات .. وتزداد اهمية الوثائق السياسية ، وتبرز قيمتها عندما تكون محتوياتها على درجة من الندرة والصدق .. لأنها محفوظة ومصانة ولكنها مجهولة المضامين ، لا يعرفها الناس ، ولم تتفش اسرارها بين الجميع .

ان فلسفة الشك التى يجب ان يمارسها اى مؤرخ جاد فى التاريخ السياسي مع جميع مصادر بحثه ، تفرض عليه طبيعة عمله كباحث علمى ان يكون متيقناً فى تعامله مع نصوص وثائقية اصيلة فى كتابته لاى بحث تاريخى فى التاريخ الحديث والمعاصر .. وعلى هذا المؤرخ ان يميز بين الوثيقة السياسية وغيرها من المصادر ، فالبون شاسع واسع ـ مثلا ـ بين الوثائق السياسية والمذكرات الشخصية ..

وهذا الأمر ينسحب ايضاً على مصادر اخرى ، فان طبيعة المواد الوثائقية السياسية كالسجلات الرسمية ، ومحادثات قادة الدول المسجلة ، والمفاوضات السياسية ، ومقررات المؤتمرات السرية ، والرسائل الدوبلوماسية ، والمذكرات الخارجية للدول ، وكتابات المسؤولين المحفوظة .. الخ ، كلها لا يمكن ان تقارن مثلا مع احاديث الصحف اليومية ، وأخبارها السياسية ، او مقالات المجلات وتعليقاتها ، او الخطب السياسية او الكراريس الاعلامية .. الخ . فالوثيقة اذن : هى ذلك النص الرسمى الأصلى الذى تصدره جهة رسمية فى دولة ما والمحفوظ فى دواوينها بامانة واحتراز .

ما هو الحاضر ؟

ان المؤرخ الجاد لا يمكنه ان يحكم قطعياً على أوضاع الحاضر ، الا من خلال تجاربه العلمية ، ومعلوماته التاريخية عن الماضى .. ويستطيع تعليل الاحداث شفوياً من خلال ردود الفعل التى تتجاذبها ، ولكنه ليس من المفيد ان يقرأ الحاضر تحريرياً ، ويوزع احكامه على مساحاته لأن هذا الحاضر لم يدخل بعد فى اسار التاريخ ودائرة الماضى الزمنية .. فالحاضر هو ذلك الموضوع المبهم الذى يحتوى على اسرار كثيرة لا تحصى او تستقصى .. ويبقى الحاضر دائماً هو الرجل المجهول لابنائه ، وكلما امتد الزمن تزداد معرفته من قبل احفاده لأنه اصبح ماضياً عندهم .. ان الحاضر يبقى مجهولا فى كل الدنيا . قد تعرف خارطته الجغرافية التى رسمتها لنا الجغرافية السياسية لهذا الحاضر ، وقد تعرف احداثه المتوالدة ووقائعه اليومية وآثاره ومعطياته الحضارية ، ولكن كنهه السياسي وطبيعته التاريخية هما فى حكم المجهول . وهنا لا يستطيع المؤرخ ان يرى حقائق الحاضر كاملة .. واضحة وجلية .. او يكون مطلعا على مخفياته ، او ما يجرى من خطط وسياسات من وراء الكواليس فى عالم تحكمه العلاقات السياسية المعقدة .

وقد يتمكن كل من المؤرخ او رجل السياسة بتعليل طبيعة الظروف التى عبرها اى حدث سياسي كبير .. وذلك من خلال التوقعات والتجارب أو المشاركة فى صنع الحدث أو المعلومات المبشرة عنه ربطا بالماضى القريب وتكويناته السياسية وقادته ورجاله .. وحلقاته التاريخية المرتبطة فى طبيعتها مع الحاضر بسلسلة معقدة من التراكيب والأحداث .

نستنتج بعد كل ما ذكرناه اعلاه ، بان

الحاضر الذى تحتوى خارطته الجغرافية السياسية لكل الأرض وتقسيماتها الدولية الماهلة بالبشر .. تحتوى على عهود تاريخية متعددة ، تتجدد بين أونة زمنية سياسية وأخرى . ورغم ارتباط الحاضر زمنيا بالماضى القريب ، الا ان طبيعة هذا الحاضر مرهونة بظروف مرحلية ترسمها الجغرافية السياسية .. وعليه فلا يمكن دراسة مداه التاريخى الذى يتراوح زمنيا بين ٣٠ ـ ٤٠ سنة ، دراسة تاريخية جادة ورصينة ، يستطيع صاحبها الخروج منها بنتائج تاريخية هامة ذات وظائف وأهداف . وان أية دراسة تاريخية لهذا الحاضر ، أو قراءة لبعض احداثه أو رجاله تبقى قاصرة وغير موفية لاغراض البحث العلمى الرصين .. لأن الحاضر لايزال مجهولا مادام حاضراً ، ولأن أغلب معلوماته واسراره ووثائقه وكل مطوياته وفجواته وزواياه خافية عن الأعين .

التقسيمات التاريخية

ولكى نوضح مصداق هذا الجانب الهام بصورة أكثر دقة وشمولية ، علينا ان نطلع على تقسيمات التاريخ ، وذلك نظراً لاهميتها فى هذا الخصوص ، والوقوف عند ما نعنيه .

١ ـ العصور التاريخية القديمة .
٢ ـ العصور التاريخية الوسطى .
٣ ـ العصر الحديث :التاريخ المعاصر الفترات الحديثة .

يجمع المؤرخون أكاديمياً فى شتى انحاء العالم على ان التاريخ الحديث للعالم يبدأ بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م ، باعتبار ان هذا الحدث التاريخى قد غير وجه العالم ، وقلب صفحته التاريخية .. اذ طويت من خلاله أخر حلقات العصور التاريخية الوسيطة ، ودخل العالم القديم أجمعه فى عصر تاريخى اختلفت مميزاته ومواصفاته وموازينه عن تلك العصور الوسيطة . ويعتبر التاريخ المعاصر الذى يبدأ بالحرب العالمية الأولى وينتهى متجدداً ـ اليوم ـ بنهاية الحرب العالمية الثانية هو جزء لا يتجزأ من التاريخ الحديث المشار إليه .. وقد اصطلح على ان يكون التاريخ المعاصر متواصلا مع الزمن الحاضر المتجدد الذى نعيشه اليوم مادام هناك شهود عيان لا يزالون على قيد الحياة اليوم .. ومن الذين كانوا قد شهدوا بأم اعينهم بدايات أى تاريخ معاصر . ويعتبر التاريخ المعاصر ذا نهايات متجددة على مر الأيام وتوالى الأعوام ، مادامت تلك النهايات لأى تواريخ معاصرة لاتزال قاصرة غير متكاملة فى معلوماتها وابعاد كشوفاتها .. اذ تحتويها وثائق واسرار وأوراق خاصة وسجلات رسمية للحاضر نفسه ، ولم يكشف النقاب عن جميعها حتى الآن .

من هنا تنبثق أهمية الوثائق وأصولها .. ولاتزال مساحات واسعة الابعاد فى التاريخ المعاصر غير متكاملة فى دراستها ، والكشف عن مخفياتها ، نظراً لضياع أو اختفاء أو انزواء العديد من وثائقه واسراره ومعلوماته المهمة .. وخصوصاً فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

الوثائق السياسية السابقة بين التقييم والضياع

كان الأستاذ الأديب رجاء النقاش قد نشر قبل أكثر من عشر سنين مقالة فى مجلة المصور المصرية بعنوان (هذه الوثائق مهددة بالضياع)(١) .. شرح فيها أهمية الوثائق السياسية والمذكرات التى كان قد كتبها من تولى مسؤولية مصر سابقاً أمثال : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول .. والتى انطوت وخفى الكثير والمهم منها عن الأعين . فحجبت بذلك عن التاريخ المصرى المعاصر حقائق لايزال يظما فى الكشف عن اسرارها ليضيء جوانبه ومراحله المختلفة .. والتى يتطلبها حاضرنا بمزيد من الاهتمام والتثمين .

ان المواد التاريخية النادرة كالوثائق السياسية والسجلات الرسمية ، والأوراق الخاصة للمسؤولين العرب السابقين .. والتى ضاع أو اختفى أهمها وابرزها خطورة ، أو انها مركونة أو متفرقة فى زوايا احدهم ، أو لاتزال متواجدة دون اهتمام بها بين يديه .. نتيجة لعدم وجود قانون يحفظها بأمانة ، ويعمل على صيانتها ، ويكون محترزاً عليها أشد الاحتراز .. كلها أسباب تؤدى بالمؤرخ الذى يكتب فى التاريخ المعاصر الى التعب وكثرة المغالطات . اضافة الى ان اختفاء تلك المواد التاريخية الثمينة التى تشكل محتوياتها عناصر صادقة وأمينة ومجردة يؤدى الى ضياع مساحات كبيرة من تاريخنا العربى المعاصر .. وان انطمار بعض معلوماتها المهمة أو التلاعب بها يؤدى بدون شك الى ضعف تقييم المؤرخ لمن يؤرخ لهم من الرجال السابقين الذين تحملوا مسؤولياتهم السياسية منذ القرن الماضى .

نقد لنشر الوثائق السياسية المعاصرة

كثرت فى الآونة الاخيرة ظاهرة نشر المذكرات السياسية والشخصية .. وقد برزت بصورة واضحة عند البعض من الساسة المصريين الذين كانوا قد تولوا مناصب سياسية عليا خلال فترة الستينيات أو السبعينيات . وقد تجاوز البعض اللغة العربية لينشر مذكراته أو كتاباته السياسية باللغة الانكليزية .. وليس فى ذلك حرج مادامت تلك الكتابات لم تخرج عن نطاق صيغة المذكرات الشخصية ، أو الآراء والافكار .. التى تنفع من سيكتب فى المستقبل فى التاريخ وعلى الأخص فى تاريخ العلاقات السياسية التى



مصطفى كامل



محمد فريد







سعد زغلول　　مناحيم بيجن　　موشي ديان

وثائقنا مكشوفة ووثائقهم في السر والخفاء

حكمت الفترة . من طرف آخر ، نود ان نذكر لكل من يرغب بنشر مذكراته للناس ان يكون أمينا فى تسجيلها ، وصادقا فى نقل الأحداث ، ودقيقا فى رسمه لجميع المواقف وعادلا فى أحكامه بالنسبة لمن يتحدث عنهم .. والا يكون متسرعا فيما يكتبه ، بل عليه ان يكون متروياً ، وان يعصم كتاباته من أغراض الصحافة اليومية أو الأسبوعية .. ومن النفع المادى الصرف .

لقد جازف البعض فى نشره لوثائق هامة من خلال نشره لمذكراته التى اطلق عليها عنوان (مذكرات – وثائق واسرار ووقائع) ان ما نشره فى مذكراته هذه التى لا يوجد فيها أى شيء يخصه باعتباره صاحب المذكرات ، هو نشره لنصوص محاضر جلسات هامة بين قادة دول .. التى تعتبر من الوثائق السياسية الهامة ، وقد ذكر

ناشرها صاحب المذكرات بأن تلك المحاضر لجلسات رسمية أو سرية لرؤساء دول كان قد استنسخها بحكم وظيفته الرسمية واحتفظ بها فى دفاتره الخاصة .

ان من الضرورة بمكان ان نوضح لهؤلاء السادة وللمسؤولين فى الدول العربية ، ومن وجهة نظر تاريخية وعلمية بحتة ، بأن ليس لأى فرد من الأفراد أو مسؤول من المسؤولين السابقين او لمن لحقهم بعدهم .. الحق ابدا لأن يحتفظ بمعلومات رسمية ووثائق سياسية هى غاية فى الخطورة والأهمية وذلك فى أوراقه أو دفاتره الخاصة .. وليس من حق أى منهم أن يسجل لنفسه فى دفاتره الخاصة الشخصية وثائق ومحاضر واسرار جلسات رسمية أو سرية لرؤساء دول على سبيل المثال .. ثم ليس من حقه ايضا أن يقتنص لنفسه أيضا أهم ما يمكن للدولة أن تعتز به وتحترز للمحافظة عليه ..

ولا ادرى كيف يتم السماح لأى موظف رسمى أو مسؤول سياسى فى أية دائرة سياسية عليا أو هيئة دبلوماسية بأن ينسخ لنفسه محاضر جلسات رسمية ، ثم ينشرها لنفسه بعد ذلك باسم وثائق .. لقد جرى مثل هذا التعامل والنزوع فى أكثر من دولة عربية ، فقد نشر أحدهم قبل سنوات طويلة كتاباً يتالف من عدة مجلدات فى تاريخ وزارات تلك الدولة .. وتتالف مادة ذلك الكتاب من محتويات اضابير ووثائق رئاسة مجلس وزراء تلك الدولة ، والتى كان مؤلف الكتاب المومى اليه أحد الموظفين فيه . ولقد انتبهت تلك الدولة الى هذه الناحية الخطيرة ، فاسست لها مركزاً وطنياً لحفظ وثائقها القديمة والحديثة .

لماذا حفظ الوثائق السياسية المعاصرة ؟

هنالك أسباب عديدة تحول دون نشر الوثائق الرسمية لأى دولة ومعلوماتها السياسية واسرارها العسكرية ، وسجلاتها واضابيرها .. وذلك خلال الحاضر الذى تعيشه ، باعتبار ان تلك المواد التاريخية الثمينة لم يمض عليها فترة زمنية اجتازت من خلالها الحاضر ومراحله وظروفه وتحدياته ، ونظراً للعوامل الاساسية التالية :

١ – خطورة بعض المعلومات والاسرار التى تحتويها تلك المواد فى المرحلة الحالية .

٢ – القيمة التاريخية لمحتويات تلك المواد فى المستقبل .

٣ – ملكية الدولة الرسمية لتلك المواد وجميع محتوياتها .

٤ – الحفاظ على مصالح الأمة وخططها فى الحاضر والمستقبل .

٥ – عدم ملاءمة الأوضاع المحلية والدولية ، والظروف المرحلية والاستراتيجية .

اما من ناحية حفظ الوثائق ، وصيانتها ضمن اجراءات احترازية فيقع كل ذلك على كاهل الدولة ومسؤوليتها المباشرة . وتعتبر الاجراءات الاحترازية لصيانة الوثائق والحفاظ عليها من أهم الاعتبارات التى تعنى بها أية دولة .. وذلك بتجرد وأمانة ، اذ لا يسمح أبداً بتسرب المعلومات التى تحتويها تلك الوثائق . ان أية دولة عربية بحاجة الى اجراءات كفيلة بحفظ أوراقها ومعلوماتها ووثائقها ، ويستوجب الأمر بأن لا يطلع عليها أى شخص سواء كان عربياً أم أجنبياً مهما كانت الدواعى والأسباب .. وذلك حفاظاً على مصالح الأمة فى المستقبل المنظور أم البعيد ، الا بعد مضى عقود محددة من السنين من عمر تلك الوثائق .. وهذا هو ما متعارف عليه عند الدول التى تبغى أن تكون مصالحها الوطنية والقومية فوق أى اعتبار آخر ..

ان أغلب الدول المحترمة فى العالم اليوم تخطط بأمانة وتجرد خاص بها وبأبنائها حسب ما تقتضيه مصالحها العليا والدنيا من أجل بناء مستقبلها أو بناء مستقبل اجيالها .. وقد أملت العديد من الاجراءات بهذا الصدد ، نظراً لأهميته البارزة والواضحة للجميع .

ان تلك الدول لا تنشر وثائقها واسرارها بين الناس وللعالم أجمع فى صحف يومية .. بل تحتفظ بها فى مراكز للسجلات والوثائق خاص بها ، ولفترة لا تقل عن ثلاثين عاماً بأى حال من الأحوال ، اذ تسمح بعد انقضاء تلك الفترة لأولئك القلائل من المعنيين والمؤرخين المختصين ، لكى يطلعوا على بعض محتويات تلك الوثائق أو السجلات أو النصوص وضمن

اجراءات خاصة فى المراكز نفسها ، من اسطها ، على سبيل المثال انه لا يجوز استعمال قلم الحبر اثناء استنساخ بعض المواد أو المعلومات كيلا تصاب تلك الوثيقة اثناء استعمالها باى خدش أو تحبير .. اضافة الى المراقبة والاعتناء الامثل فى استعمال اية قصاصة تحتوى على معلومات وثائقية .

من جانب آخر ، فان تلك الدول لا تمنح حق الاستعمال أو حتى الاطلاع على بعض الوثائق الخطيرة التى مضى عليها زمن طويل يتجاوز خمسة أو ستة عقود من السنين . اضافة الى كل هذا وذاك ، فهناك الفهرسة والجدولية لجميع الوثائق التى يحتفظ بها اى مركز أو مكتبة أو ديوان .. وتشمل الفهرسة التبيوبيبية فمثلا هناك الرسائل الدوبلوماسية ، والمذكرات السياسية الخارجية ، والخطط الحربية ، العقود السرية .. الخ . اضافة الى الفهرسة الجدولية بالاسماء والاماكن والاحداث ، والسنوات والشهور والأيام .. الخ . والفهرسة الرقمية التى تعطى لكل وثيقة رقما لها حتى ولو كانت تلك الوثيقة قصاصة صغيرة من الورق الاصفر والتى تجاوز عمرها أكثر من مائتى عام .

ان أهم ما تحتاجه الدول العربية اليوم ، هو تجميع وثائقها كافة وحفظها فى مراكز أمينة ، ودواوين رسمية .. وان يتجرد لذلك اناس لهم اختصاصهم وتجردهم ونزاهتهم وغيرتهم على وطنهم وأمتهم ومستقبلهم .. ولهم سمعتهم الرسمية ليحفظوا بامانة واحتراز مجاميع الوثائق السياسية العربية ، اضافة الى مختلف المواد الثمينة والنادرة من سجلات واضابير ومعلومات فى مختلف الاختصاصات .. وان تسن قوانين خاصة بهذا الصدد تخول تلك المراكز الوطنية لحفظ الوثائق اجراءات كاملة بخصوص الحفظ والرقابة والتدقيق .. وان تصدر اجراءات حاسمة لمحاسبة ومعاقبة أى مسيىء من الذين لم يمتثلوا للاصول والحقوق .. أو يجازفون فى نشر اية وثيقة كانت من اجل مصلحة مادية أو شخصية وهى ليست من ممتلكاته الشخصية .. أو استعمالها بدون ترخيص رسمى . وهكذا يجب ان تنسحب الاجراءات نفسها على أية صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية ، أو دار نشر .

وفى هذا المجال ، لا يحق حتى لرئيس الدولة المقيد بدستور بلاده أو أمته أن يحتفظ لنفسه بوثائق عهده ، أو وثائق عهد الحاكم الذى سبقه فى حكم البلاد . فليس لهذا الرئيس أو اى أحد من المسؤولين فى عهده ، الحق لان يحرف ما تتضمنه تلك الوثائق ، أو يتلف ما يروق له منها . من الضرورى ، ان يطلع عليها بين آونة وأخرى ليستفيد منها فى رسم سياسة بلاده ، ولكنها تبقى فى جميع الأحوال من ممتلكات الدولة الخاصة .

ان الحد الادنى لنشر الوثائق السياسية العربية ، يجب الا يقل عن اربعين عاما ، نظراً لوجود أسباب استراتيجية ومرحلية لا يمكن تجاوزها ، منها الأوضاع الصعبة ، والظروف الراهنة التى تمر بالأمة .. والعلاقات السياسية لهذه الأمة كمنظومة دولية فى المجتمع الدولى مع المنظومات الدولية الأخرى .

لقد كنا نحن العرب ، وما زلنا نكشف بيسر وسهولة ودون قصد خفايانا لاعدائنا وفى مقدمتهم (اسرائيل) . ولنا ان نتساءل بوضوح : هل قرانا فى يوم من الايام محتويات وثائق اسرائيلية ؟؟ أو قرانا يوما محاضر جلسات اسرائيلية فيما بين قادة (اسرائيل) انفسهم .. وما يطوونه فى الخفاء ، أو بينهم وبين الدول الحليفة لهم منذ قيام دولة العدوان حتى اليوم ؟؟ الجواب : كلا .. كل ما كتبوه هو المذكرات السياسية (٢) .

وقبل ان نغلق مناقشة قضية نشر الوثائق السياسية العربية ، ومعالجة حفظ هذه الوثائث .. نود ان نذكر بشىء من التركيز ، العوامل التاريخية التى ادت الى اندفاع البعض ، للقيام بمهام نشر بعض الوثائق أو المذكرات .. فالفترة التاريخية التى يمر بها العرب ـ اليوم ـ هى من الفترات التراكمية التى تعج بالأحداث ، وتزدحم بالوقائع التاريخية المريرة . ومن هنا ، يبقى اصحابها بانتظار وتتبع خوافيها وصولا الى تحقيق أفضل الصيغ لمعالجة الواقع المزق ، والخلل الذى طغى على كل المساحات والجوانب والزوايا .. والأسباب واضحة جلية يدركها كل عاقل يعي حقائق الأمور ، ويبصر العوارض ، ويميز بين الأعراض والجواهر ، ويدرك الفوارق وعظم الاختلافات التى تفصل كل يوم عما قبله .. كما ويرى القدرات الضائعة فى بحر من التشتت أمام أعظم التحديات التى تواجه هذه الأمة فى حاضرها ومستقبلها .

ولكن العلاج لا يكمن فى نشر الوثائق السياسية لهذا الحاضر ، بغرض تبصرة الناس ، والانتفاع من التجارب العقيمة لمن مضى من الساسة .. أو ايجابياتهم وسلبياتهم . المهم ان التحديات التى تواجه هؤلاء الناس ، هى أكبر من أن تعالجها وثائق سياسية ، لا يستفيد منها الاستفادة الأكبر الا الاعداء .. وان نشرها لا يزيد فى الواقع الا تشتتا ، والأفكار الا تشوشا ، والناس الا تشرذما ، واختلافا ، وتمزقا .

فى ختام هذا الحديث ، أود أن أقول اننا بحاجة الى العقلية البنائية فى دراسة تاريخنا الحديث والمعاصر ، وتحليل عناصره ، وسد فجواته ، وايضاح علله ، وتبيان خفاياه .. من خلال البحث عن حقائقه على الوجه الأفضل ، لنستفيد من خبراته ، وننتفع من مواده وآثاره ووثائقه .. والا يقفز اى مؤرخ لينشر على الناس وثائق قريبة العهد ، خطيرة الجوانب ..

اما من يكتب لنا مذكراته ، فعليه ان يبين دوره الاساسى هو نفسه فى الأحداث التاريخية ، اذ ان للمذكرات أهمية بالغة وخصوصا اذا احتوت على حقائق وخفايا وأسرار ومواضيع تثير الاهتمام والدراسة . ونعود مرة أخرى لنذكر بخصوص قضية الوثائق السياسية ومسؤوليتها البالغة بخصوص حفظها .. وهذا ما نرجو ان يتحقق فى قابل ، فالذى لم يتمتع بأصول الحفظ ، والاحتراز ، والتدقيق ، والتمحيص ، والجمع ، والتحقيق بصدق وأمانة لهذه المواد الثمينة ، فسيتحمل مسؤولية التاريخ وعواقبه ، ومحاسبة الأجيال على رحبها لفعله فى ضياعها أو ضياع قيمتها(٣) .

سـيار الجميل

جامعة سانت اندروس / اسكتلندا

هـوامـش

(١) انظر : مجلة المصور المصرية ، العدد ٢٥٠٠ ، الصادر فى ٨ سبتمبر ١٩٧٢ .

(٢) د. سيار الجمل ، حول نشر الوثائق السياسية العربية ـ نقد ـ ، صحيفة الشرق الأوسط الصادرة فى لندن ، العدد ١٦٣٩ ، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢٥ .

(٣) د. سيار الجميل ، الأمانة العلمية والمسئولية التاريخية للبحث العلمى ، مجلة جامعة الموصل ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، ١٩٧٣ .

حتى لا يسقط شبابنا في أوهام خاطئة

موقف الغرب من الدِّين

بقلم: الدكتور عون الشريف قاسم

هناك فكرة شائعة هى أن الغرب لم يعد مؤمناً بالدين ، ولم يعد مرتبطاً بأى عقيدة سوى عقيدة «المادة» و «التقدم المادى» ...
فهل هذه الفكرة عن موقف الغرب من الدين حقيقية أو أنها وهم من الأوهام ؟!

يظن كثير من الناس أن أوروبا التى قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع العامة ، بحيث يصبح أمراً شخصياً ، قد تخلت بذلك عن دينها ، وانتهجت فى حياتها العامة والخاصة منهجاً مادياً إلحادياً ، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادى فى هذه الدنيا ، دون إلتفات لدين ، أو انتظار لآخرة . وهو ظن واهم ، يحكم على الأمور بمظهرها ، دون التعمق فى مخبرها . إذ اننا لو تجاهلنا للحظة المعنى الفعلى للدين فى حياة الغربيين عامة ، وقسنا الأمور بظواهرها ، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوروبية .

ونظرة سريعة الى الرمز القومى أو الوطنى لكثير من الدول الغربية ، وهو العلم ، ترينا أن الصليب هو الرمز الذى يتكرر فيه بشكل او باخر ، كما هو الحال فى العلم اليونانى والسويسرى والدنماركى والسويدى والنرويجى والايسلندى والبريطانى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى وغيرها . وليس هناك من ديانة فى العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها فى ارجاء العالم مثلما نشطت المسيحية ، ديانة الغرب . وقد انتشرت المسيحية فى القرون الأخيرة انتشاراً فاق اضعافاً مضاعفة كل ما احرزته من نجاح منذ قرنها الأول . وكل هذا تم فى نفس الوقت الذى انتصرت فيه العلمانية على الكنيسة منذ حوالى اربعة قرون .

والدين ما يزال يلعب دوراً كبيراً فى توجيه الحياة السياسة فى كثير من الاقطار الأوروبية . ويكفى على ذلك شاهداً نفوذ الأحزاب المسيحية فى بعض هذه الاقطار ، مثل المانيا وهولندا وسويسر والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وايرلندا وغيرها . وقد أجاز الكونجرس الأمريكى قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً ، وهو الآن منقوش فى ظهر كل ورقة دولار أمريكى قلت قيمتها أو كبرت . واقترحت احدى لجان الكونجرس أن يكون الايمان بالله أحد شروط الالتحاق بالخدمة العامة . ورغم ان التعليم الرسمى الامريكى لا يدخل الدين فى حسابه بمقتضى الدستور ، إلا أن الاتجاه العام يميل فى السنوات الأخيرة إلى العناية بالدين ، كما برز فى توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ التى تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة ان امتنا أمة متدينة) . ورغم ان الدستور الأمريكى فى جوهره كان ممثلا للاتجاه البروتستانتى

فى فصل الدولة عن الدين ، لأن معظم المهاجرين الى امريكا من المضطهدين دينياً بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانتية ، إلا أن روح التدين فى أوساطهم من ناحية عملية ، كانت وما تزال عالية ، بسبب هذا الالتزام القديم .

ومن الملاحظ أن الجمعيات الكنسية والتبشيرية فى طول العالم الغربى وعرضه ، تشكل جهازاً من اقوى اجهزة التاثير الفكرى والسياسى بما تملكه من اموال ، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود . ويكفى مثالا على ذلك جريدة (الكريستيان سينس مونيتور) الامريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم . وهى جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعى سبيلا إلى تدعيم المسيحية ، وتذهب إلى أن المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته .

● الثورة الدينية

ومن الواضح أن النهضة الأوروبية الاخيرة قد سبقتها ثورة دينية أعادت إلى الدين فعاليته فى نفوس عامة الناس . وقد كان الانقسام الكبير الذى شطر الكنيسة الى فئتين : كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية ، التى تمثلها سلطة البابا الروحية ، وبروتستانتية رافضة لسلطته ، فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الدينى ، كان هذا الانقسام فى جوهره بداية وعى جديد ، استعادت به أوروبا قدرتها على الحركة فى كل الميادين بعد أن ازالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ أواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع . فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم إلا الطاعة والانصياع ، وقد كانت للكنيسة فى هذا المجال آراء محددة ، مثل رأيها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس وجاليلو الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن اجل ذلك اتسم الخلاف مع الكنيسة بالمرارة والعنف



جاليليو



كوبرنيكوس

فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الاثمان لتضمن لهم الفوز بالجنة فى الآخرة ، وكانت تدار على اساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى ، وسيطرتها على كثير من اوجه الحياة الاقتصادية ، مايحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة . ولاعجب من ثم أن راينا الدوائر البروتستانتية ترفض كثيراً من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى راس ذلك تحريم الربا فقد كان سعر الفائدة هو عصب الحياة للاقتصاد التجارى الجديد . واتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها بالتوقف والبوار ، ومن ثم ارتبطت الحركة الراسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالاخلاقية البروتستانتية ، التى تشجع جمع المال ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين ، وهى اخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا التى تدعو لها المسيحية فى اساسها الأول .

المنحى المادى

ورغم أن الانقلاب الدينى الذى تم فى أوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر الميلادى قد رد المسيحية الى وضعها الطبيعى فى حياة المجتمع كما فهمه الغربيون ، بان تكون ديناً يصل بين الفرد وربه ، ولايتدخل فى حياة الناس العامة ، إلا بما يحفظ هذه الصلة بين الفرد وربه . إلا أن حدة الخلاف بين الجانبين قد دفعت كثيراً من المجموعات المثقفة الى الثورة ، لاعلى الكنيسة فحسب ، وانما على الدين ايضاً ، كما هو واضح من منحى الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وانكار وجود الله . ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبي بين العلماء ورجال الدين وانما هو (جعل المبادىء الاخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات السيد المسيح وحياته ، ذات أثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء . اذ ينبغى أن يحيا الناس فلسفة المسيح ، لا أن يضعوها موضع الجدل) كما قال المصلح الديني الهولندى إرازمس (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦م) . ومن المؤكد انه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ويسعى الى تاكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى راسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكاً شخصياً يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازاً او مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال امام الشخصية الأوروبية والغربية عامة لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى

موقف الغرب من الدين



رجاء جاردوى



ارازموس

متاهات القرون . وقد استطاعت بهذه الاخلاقية أن تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد ان اعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم ، وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها ولذلك لا عجب ان رجال الدين الاوروبين هم طلائع الزحف الاوربى فى كل مكان ، ولاباس هنا ان نقتبس مقالة جومو كينياتا رئيس كينيا السابق فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) : «لقد جاءوا الينا والانجيل فى أيديهم والأرض فى ايدينا ، فاصبح الانجيل فى ايدينا والارض فى ايديهم» . وقد يقول الناس إن حركة نشر المسيحية فى العالم على ايدى الاوربيين ليست فى حقيقتها سوى جزء من الحركة الاستعمارية ولا يراد بها وجه الدين ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم او كعنصر مكمل لقوميتهم او كاداة من ادوات سيطرتهم .

وفى ذلك شاهد على ان اى تقدم بشرى حقيقى لابد أن يرتكز فى اساسه على فهم جديد للدين يتمثل به الناس روح العقيدة وينقلونها من مجال النصوص والطقوس الى مجال السلوك وحركة الحياة العامة .

ولا جدال فى ان قوة الحضارة الغربية رغم ماديتها ومنحاها العقلانى ، تكمن فى روحيتها التى انعكست لفترات طويلة على حياة الناس العاديين فاصبحوا يتحلون بكثير من الصفات الخلقية التى شهد بها الشيخ محمد عبده حين ذهب الى اوروبا فى ختام القرن الماضى فراى كما قال قوما يتحلون باخلاق الاسلام دون ان يكونوا مسلمين فى حين كان المسلمون الذين يدينون بالاسلام ابعد ما يكونون عن اخلاق الاسلام ، لانهم كانوا ومايزالون يعيشون الانهيار الحضارى الذى الم بهم منذ قرون ولما يتمكنوا بعد من إعادة فهم دينهم فى ضوء المتغيرات الجديدة كمقدمة لبعثهم الحضارى المرتقب .

أوروبا متمسكة بدينها

صحيح أن التطور المادى المذهل الذى قاد به الغرب العالم لابد أن يترك آثاره القوية على الفكر الدينى ، ولكن اليس ذلك هو الوضع فى العالم اجمع ؟ الا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التى تبعد الناس عن دينهم كل يوم كما يشكو علماء الدين فى اوروبا ؟ ولكن الناس فى اوروبا يجيلون النظر فى كل ما يجرى فى حياتهم من تطور ، ويعملون أذهانهم مجتهدين فى تعميق فكرهم الدينى بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم ، ولذلك نشهد فى هذه السنوات الاخيرة بعثا دينيا جديداً فى كثير من الاقطار الاوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا لادخال عنصر الصوفية والروحية التى افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

وقد واجهت المسيحية بمذاهبها المختلفة تحديات كبيرة من قبل التطور الاجتماعى الكبير الذى دفع بكثير من الناس للبحث عن البديل فى النظريات العلمية او فى الديانات الشرقية ، وكل ذلك شحذ من عزائم المهتمين بامر الدين المسيحى للمناداة بتوحيد المذاهب مما تركز فى السنوات الاخيرة فى حركة توحيد المسيحية التى يشترك فيها الكاثوليك والبروتستانت بغرض الوصول الى الحد الادنى من الاتفاق العضوى والايمانى الذى يمكنهم من تجميع الصفوف للوقوف امام هذه التحديات .

ولعله من المفارقات فى هذا المجال انه رغم هذا التعطش الروحى الذى يجتاح الغرب ورغم حماس مبشريه وسعيهم الكبير لتنصير العالم فان هناك تقلصا واضحا فى عضوية الكنائس المختلفة فى الغرب ذاته ، وبرز الشح فى اعداد المنخرطين فى سلك الرهبنة والقسس ، هذا فى الوقت الذى زاد فيه اهتمام كثير من مفكرى الغرب وشبابه باديان اخرى خاصة الشرقية منها ، وليس ببعيد تعمق الدوس هكسلى فى ديانات الصين والهند ، واعتناق كثير من المفكرين الاسلام مثل داود كون الاستاذ بجامعة لندن ، ومحمد أسد ، وموريس بوكاى ، ورجا جارودى . وفى ذلك إشارة الى ان المسيحية التى جردها الغرب من فعاليتها المستمدة من دين الله الواحد الذى انزله اليه منذ آدم لتطوير حياة البشر المادية والروحية ولتنظيم مجتمعهم لاحداث التوازن المطلوب بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، هذه المسيحية كما فهمها الغرب لم تعد تلبى حاجات الناس فى مثل هذه المجتمعات الغربية المعقدة التى انهارت فيها انسانية الانسان تحت ضغوط التطور المادى المذهل ، فسعى الناس الى البحث عن مخرج مما هم فيه من ازمة روحية تهدد وجود الانسان كانسان .

إن القول بان اهل اوروبا تخلوا عن دينهم ، فلنفعل نحن مثلهم ، قول فيه من الخطر اكثر مما فيه من الجهل . فان نهضة اوروبا الحديثة نهضة قائمة على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والاسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الاوروبية فى إطار الزمان والمكان .

د. عون الشريف قاسم ـ الخرطوم

فلنـنـتـبـه إلى هـــذه الحقـــائـــق :

كتاب يجب أن يقـرأه كل مسئول وكل مواطن عـربي !

بقـلم : الدكتور محـمد جابر الأنصـاري

هذا كتاب أتمنى أن تتاح قراءته لكل مسئول وكل مخطط ، وكل مرب ومفكر وموجه ، وكل أب وأم ، بل وكل مواطن .. فى دول الخليج العربية .
وأن يقرأه الجميع ، جميع من ذكرت ، من موقع الرغبة فى معرفة الحقائق كما هى ، ومن موقع المسئولية وتحملها ، ثم العمل على تصحيح ما يجب تصحيحه ..

فهذا الكتاب أولا ، من الكتب القليلة ، وأكاد أقول النادرة ، التى تصارحنـا بحقائق حياتنا ومجتمعاتنا كما هى .. دون تزويق ودون رتوش ، وهذه فضيلة كبرى تحتاجها أمة تمر بظروف عصيبة وتريد أن تؤسس مستقبلها ومستقبل اجيالها على الحقائق والوقائع الصلبة وليس على الاحلام والأمال وحدها .

وهو ، ثانيا ، يعالج ناحية أساسية جدا فى بناء المستقبل وهى الناحية التربوية فى مراحلها الأولى حيث تتأسس اللبنات الأولى للبنيان الاجتماعى ، وحيث تتقرر مسارات المستقبل فى الاتجاه السليم أو الاتجاه الآخر .. حسبما تكون التربية ..

ثم انه يضع يده على الجرح الحساس فى هذا الموضوع وهو جانب الاهدار فى هذه العملية التربوية التأسيسية .

وما معنى أن يكون هناك إهدار تربوى ؟

ولماذا تكون لهذا الاهدار التربـوى الخطورة والاهمية اللتين نشير اليهما ؟

لندع الكتاب يتحدث عن نفسه ، وهـو بعنوان (دراسة مقارنة للاهدار التربوى فى دول الخليج العربية) .

يقول : « من المعروف ان دول المنطقـة (منطقة الخليج العربي) تسعى جاهدة الي نشر التعليم وتعميمه تحقيقا لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لكل أبناء الشـعب .. والارتقاء بمستوى التعميم أو الالزام إلى ما بعد المرحلة الابتدائية ، ولابد قبل هذا الاجراء من توفير الضمانات الكافيـة لتحقيقه ، والتحقق من المشكلات التى تعترضه . ومن هذه المشكلات ظاهرة الاهدار بسبب الرسوب أو التسرب ، وذلك لأن تسرب أعداد كبيرة من التلامذة قبل إكمال المرحلة الابتدائية ـ وهى الحد الأدنى من التعليم الذى ينبغى أن يتزود به كل مواطن ـ عائق يقلل من جدوى هـذا الهدف ومضمونه ، إضافة الى تبدد الأموال المصروفة له ، كما ان ارتفاع نسب الرسوب العالية هى الأخرى مشكلة تزيد من كلفة التعليم ، وليس هذا فحسب ، بل ان أعداد الراسبين سيشغلون مقاعد صيفية كان من الأولى أن يشغلها تلامذة جـدد . ثم لا يفوتنا أن نذكر ان دول المنطقة كافة قد

الإهدار التربوي في دول الخليج العربية

كتاب يجب أن يقرأه كل مسئول وكل مواطن عربي !

باشرت منذ أمد ليس بالقصير مهمة القضاء على مشكلة الأمية ، ورصدت لهذا العمل أموالا طائلة .. ولكن .. إذا بقيت مشكلة التسرب قائمة على ما هى عليه ، فان هدف القضاء التام على الأمية سيكون هدفا بعيد المنال ، وذلك لأن التعليم النظامي ، وخصوصا المرحلة الابتدائية فيه ستمون باستمرار أعداد الأميين ، وتقلل من فاعلية الجهود المبذولة فى هذا الشان . لقد اثبتت العديد من الدراسات ان المتسرب فى الصفوف الأربعة الأولى من المرحلة الابتدائية سرعان ما يرتد الى الأمية ، بعد عامين من تركه الدراسة . والواقع ان ما ينجم من أضرار عن ظاهرتي الرسوب والتسرب من الكثرة مما لا مجال للتطرق إليها فى إسهاب » ـ راجع ص ٢٢ ـ ٢٣ من الكتاب .

هذا الطرح للمشكلة هنا ياتى بصيغة اختصاصية تربوية نابعة من طبيعة الكتاب نفسه ، ولكن عندما نتابع مشكلة الاهدار فى دوائرها الاجتماعية ، الأوسع من دائرة المدرسة ، نتنبه الى جذور هذه المشكلة فى الأسرة أو البيت ، وفى الحياة الاجتماعية ككل ، وفى التوجهات العامة لمجتمعاتنا على كل الأصعدة ، وهذا ما يعطى الكتاب أهميته ، ويجعل منه نموذجا صالحا لمعالجات ودراسات عديدة أخرى فى النطاق التربوى وفى غيره من المجالات الحيوية الأخرى كالمجال الانمائى .. والمجال الاعلامى والحياة الاجتماعية العامة ..

فاذا كان التربويون يصارحون المجتمع بما لديهم من اهدار ، فلماذا لا يحذو حذوهم ، فى هذه المصارحة المحمودة ، الانمائيون والاعلاميون والصحيون والاجتماعيون ليحددوا ما يحدث لديهم من اهدار ، ويشخصوا أسبابه ، ويرسموا وسائل تلافيه ، ليتمكن المجتمع من مواجهة جوانب الهدر فى مختلف انشطته ومجمل أوجه حياته . فالمعالجة الشاملة للاهدار هى الأجدى لأنها تسد كل الثقوب فى السفينة فى وقت واحد ، ولا تترك ثقوبا مفتوحة فى جانب لتكتفى بسد ثقب أو اثنين فى جانب آخر .. وترشيد الانفاق اليوم يتطلب مثل هذه المعالجة .

هذا هو الأفق البعيد الذى يضيئه هذا الكتاب بتوجهاته . ولكن لنبق فى النطاق الخاص للاهدار التربوى لنوفى مادة الكتاب حقها ، قبل أن نتفرغ لاستنتاجاتنا الفكرية العامة ..

فى فصل تقييم النتائج وتحليلها ، يتوصل الكتاب إلى الخلاصات التالية :

إن التسرب الكبير الحاصل فى المرحلة الابتدائية بالذات تنجم عنه خمس نتائج تربوية وانمائية واجتماعية سلبية ، لابد من التنبه الى آثارها على الصورة العامة للمستقبل ، وهى :

أولا : التسرب يعيد المتسرب إلى مستوى الأميين فى المجتمع ، ويزيد مشكلة الأمية ، ويقلل من فاعلية مكافحتها ، بالاضافة الى كونه تعبيراً عن اخفاق فرد من الجيل الجديد فى دخول العملية التربوية المؤدية الى العملية الحضارية الشاملة التى اعدتها الدولة لأبنائها .. وهذا يعني ان المتسربين سيكونون في جانب . وان خطة التحضير الشاملة ستكون في جانب آخر ، بكل ما يحمله ذلك من ازدواجية وانشطار فى البنيان الاجتماعى .

ثانياً : إن المتسربين سيلتحقون مستقبلا بسوق العمل دون كفاءة أو خبرة ، وبالتالى فان التنمية التى تحتاج الى كفاءات عالية ستضطر للاعتماد على العمالة الأجنبية المدربة ، ولكن هذا كما هو معروف يعاكس توجهات دول المنطقة للاعتماد على الذات ، وتجنب محاذير التوسع فى العمالة الأجنبية وما تتركه من آثار على النسيج الاجتماعى العام وعلى المصير القومى .

ثالثاً : عدم قدرة الأميين والأقل حظا فى التعليم من الافادة بصورة نافعة وجيدة من الخدمات التى تقدمها الدولة كالخدمات الصحية والثقافية وغيرها من المرافق الخدمية الاخرى ، وكذلك عدم قدرتهم على الحفاظ عليها وادامتها وصيانتها .

رابعاً : ضعف الأميين وشبه المتعلمين فى المشاركة الفعلية فيما يمنح لهم من حقوق سياسية واجتماعية وثقافية وغيرها وضعف فى أداء واجبات المواطنة بشكلها الصحيح مما يؤدى الى القصور فى المشاركة فى عملية الانماء والتحضير التى تشهدها المنطقة وتراهن عليها كخيار حضارى مصيرى ، أى ان التسرب عدو التنمية الأول .. !

خامساً : إن إنقسام المجتمع الى متعلمين وشبه متعلمين وأميين من شأنه إضعاف التجانس بين فئاته ، وبالتالى التقليل من حصانته تجاه الاخطار المحدقة به من المعسكرات الطامعة به شرقية وغربية . لذلك : « فان وجود محور مشترك من أساسيات الثقافة يلتف حوله كل المواطنين أمر تفرضه ظروف العصر الحالى الذى أصبح فيه فناء الشعوب ثقافياً ، أو عسكرياً ، أو اقتصادياً أمراً ممكناً .

فالتحوط وتحصين المواطن بالعلم والثقافة العربية الاسلامية أمر لايدانيه شيء آخر

● كيف يتسرب عدد كبير من التلاميذ قبل إكمال الابتدائية؟
● لابدّ من القضاء على انقسام المجتمع إلى:
متعلمين وشبه متعلمين وأمّيين

وذلك لدفع الاخطار المحيطة بها بمكنة واقتدار ، وحتى تشق طريقها من جديد فى بناء الحضارة الانسانية .

● ●

هذه هى الاخطار الناجمة عن التسرب والاهدار التربوى . وهى بغير حاجة إلى تعقيب أو زيادة بيان .

وبعد أن نقول لهذا الكتاب التربوى القيم شكراً على هذه المصارحة التى نحتاجها بهدوئها العلمى الرصين ، ونحن فى غمرة تلك الاصدارات من الملاحق والاعداد الخاصة التى تصدرها الصحف العربية بالالوان الزاهية عن المشروعات فى دول المنطقة ، دون أن تضيف الى علمنا جديداً يذكر ، أو تنويراً أو تحليلا يشفي الغليل .

أقول .. بعد هذا ، يجب أن نعود الى انفسنا لنسألها من المسئول عن ذلك التسرب والاهدار ؟

إن المسألة تتعلق بأبنائنا الذين هم أمانة في أعناقنا أمام الله والوطن والتاريخ ..قبل أن تتعلق بمشكلة مدرسية أو تربوية

فما هي مسئوليتنا نحن كمواطنين وآباء وامهات تجاه هذا الاهدار لأعز ما نملك ؟

● عندما نترك ابناءنا أمام التلفزيون والفيديو لساعات طويلة ، ونعطيهم المثل من جانبنا بهذا الانبهار . ماذا ننتظر منهم في مسارهم المدرسي وفي مدى التزامهم بواجباتهم المنزلية وتحضيرهم اليومي ؟

● عندما نغرقهم بالمغريات الاستهلاكية من نقود وسيارات وكل أدوات الترفيه .. هكذا بشكل مجاني .. وهم مازالوا في عمرهم اليافع أنتوقع منهم الاحترام للعلم

هذا سؤال يقع خارج نطاق الكتاب ولكنه يستحثنا لطرحه وللاجابة عليه .

ولا ادعي اني املك إجابة كاملة أو تصوراً شاملا لها . لكني سأطرح بعض الاسئلة التي الحت على نفسي وأنا أتأمل في الأسباب الحقيقية لهذا التسرب الخطير

● عندما نترك ابناءنا خلال سنواتهم التكوينية الاساسية في يد المربيات الاجنبيات يتصرفن في تربيتهم ، كما يحلو لهن ، ونتنازل نحن عن هذا الشرف والحق والواجب ، لانشغالنا بالاهتمامات الاستهلاكية والترفيهية والمادية .. الا نمهد بذلك لحدوث التسرب من المدرسة ؟ إذ كيف يمكن لطفل ربته مربية أجنبية ، فأفسدت لغته وغيرت إحساسه أن يتكيف مع مدرسة عربية اسلامية مختلفة تماماً فى توجهاتها عن اجواء تلك المربية التي صاغت الطفل ؟

والعمل وقدح زناد الفكر والكد بعرق الجبين ؟

● هل يجد الطفل واليافع من التماسك العائلي بين الأم والأب ما يدفعه للانضباط والعمل . هل يجد القدوة لدى والده في مسئوليته تجاه الأم والأبناء والتزامات الاسرة ، وهل يجد لدى الأم مثل ذلك ؟

● هذه بضعة أسئلة قد تصلح منطلقاً للاجابة بشأن الجذور الاجتماعية العميقة لمشكلة الاهدار والتسرب والرسوب ..

●●

بقي أن نشير الى أن هذا الكتاب الذي يضعنا أمام واحدة من أهم مشكلاتنا التربوية والاجتماعية ، هو من اصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، وهو منظومة تربوية مشتركة يتصف نشاطها بالرصانة والموضوعية . ولا شك أن هذا الكتاب أفضل اصداراتها الى الآن .

وتقديراً منا لهذا العمل ، نهنىء الدكتور محمد الأحمد الرشيد ، المدير العام للمكتب على هذا الاسهام الجدي وهذا الاصدار الموفق . وهي تهنئة تشمل الاساتذة العاملين معه فى البحث التربوي .

ولمثل هذا فليعمل العاملون .

د . محمد جابر الانصاري



الجيل الجديد فى مدارس الخليج

تحت شعار: طرد العرب من "كل" فلسطين

حركة "كاخ" الصهيونية
عصابة إرهابيّة جديدة

بقلم: عصام شريح

- كاخ معناها السيف فى يد والتوراة فى يد أخرى .
- « كاخ » تدعى أن المسيح سيظهر خلال عشر سنوات لتخليص اليهود من « آلامهم » الأخيرة !
- العرب فى نظر « كاخ » قنبلة موقوته بسبب تكاثرهم الطبيعى .. ولابد من القضاء على هذه القنبلة .

فى مطلع السبعينيات ظهرت على مسرح الأحداث فى الكيان الصهيونى ، حركتان بالغتا الخطورة ، نظراً لايديولوجية العنف والارهاب « الصريحة » التى تناديان بها ، وان كانت هذه الايديولوجية هى « الاصل » فى الفكر الصهيونى بالنسبة لجميع الأحزاب والحركات .

لكن هاتين الحركتين ، ونعنى بهما « حركة كاخ » و « حركة غوش إيمونيم » ، تتميزان عن الحركات والأحزاب الصهيونية الأخرى بميزتين هما : العودة الى منهل الصهيونية الارهابية ـ وخاصة كما حددها زئيف جابوتنسكى ـ ثم تجاوز القوانين ـ حتى لو كانت شكلية ـ من أجل تحقيق الهدف الصهيونى ، باقامة دولة يهودية خالصة ـ خالية من العرب ـ ليس فى فلسطين فحسب ، وانما من الفرات الى النيل .

وقد آثرنا ان نتناول فى هذا المبحث « حركة كاخ » ، وعلى ان نعود الى تناول « حركة غوش إيمونيم » فى مبحث تال » .

على الرغم من الغموض الذي يحيط بهذه الحركة ، فان المعلومات المتوفرة بين ايدينا ، تشير إلى أن « كاخ » هي امتداد « لرابطة الدفاع اليهودية » التي انشاها الحاخام الصهيوني مئير كهانا في الولايات المتحدة . و « كاخ » تعني بالعبرية « هكذا » أو « هذا هو الطريق » ، وهي تكتب عادة تحت صورة ليهودي يرفع التوراة في يد ، والبندقية في اليد الأخرى . وقد قام الحاخام نفسه « مئير كهانا » بتاسيس هذه الحركة في تشرين الثاني (يناير) ١٩٧٢ .

وعلى الرغم من انضمام شخصيات صهيونية يمينية متطرفة إلى « حركة كاخ» الا انها عانت دائماً وأبداً (كما تقول صحيفة يدعوت احرونوت) ، من نقص كبير في الطاقة البشرية ، إذ أن عدد أعضائها « الرسميين » ، لم يتجاوز عشرة أشخاص ، إلا أن عدد الأنصار يصل إلى بضع عشرات .

أما زعيم الحركة الحاخام كهانا ، فيرفض هذا القول ويزعم ان حركته تضم عشرة آلاف عضو ، وأن لها فروعاً في اربعة وأربعين مستوطنة بالضفة الغربية المحتلة بالاضافة إلى فرع آخر بمدينة القدس المحتلة .

اما بالنسبة لمنهج « كاخ » ، فيتلخص فى تصفية الوجود العربي داخل فلسطين (عرب ١٩٤٨ ، وعرب ١٩٦٧) باللجوء إلى القوة واستخدام العنف ، من أجل اقامة دولة يهودية « نقية العنصر » ، لكن نظراً للمعارضة التي تلقاها « كاخ » من بعض الجهات الحكومية او الحزبية ، فان زعماء الحركة ، عملوا على انشاء جناح سري « تحت الأرض » ، يتلقى اوامره مباشرة من الحاخام كهانا ، وقد حددت مهمته بممارسة

العنف واستخدام السلاح لطرد العرب من « البلاد » ! ! .

والحركة تتبع أسلوباً بسيطاً في التحرش بالمواطنين العرب ، لنشر الذعر في صفوفهم ، وحملهم على مغادرة بلادهم والهجرة إلى الخارج ، ويقوم هذا الأسلوب على توجه مجموعة من أعضاء الحركة ، وعلى راسهم كهانا نفسه إلى منطقة ماهولة بالمواطنين العرب ، وتوجيه تهديدات إليهم بضرورة مغادرة مدنهم وقراهم ، وبعد ذلك تعود المجموعة إلى قواعدها فى مستوطنة « كريات اربع » أو غيرها ، بعد أن تكون قد أثارت الخواطر في صفوف العرب ، مما يؤدي عادة إلى تنظيم تظاهرات عربية صاخبة ، الأمر الذي ينتهي عادة بصدام بين العرب وسلطات الاحتلال الصهيوني .

أما فى منطقتي المثلث والجليل المحتلتين منذ عام ١٩٤٨ ، فان حركة « كاخ » مارست نشاطات ارهابية علنية غالباً ، كتوزيع منشورات تدعو فيها المواطنين العرب إلى تسجيل أسمائهم لدى السلطات وذلك استعداداً للهجرة إلى خارج فلسطين المحتلة ، كما أن الحركة جعلت المجال الجامعي مسرحاً لنشاطاتها الارهابية ، حيث اندس اعضاؤها بين صفوف الطلاب العرب فى الجامعة العبرية ، وجامعة حيفا واعتدوا عليهم بالضرب .

إلا أن « كاخ » مارست من الاعمال الارهابية ما هو أشد وأدهى ، حين هاجم مسلحون من أعضائها واعضاء آخرين فى الحركة التوام « غوش ايمونيم » ، الكلية الاسلامية فى مدينة الخليل بالضفة الغربية المحتلة فى الشهر الماضي ، وقتلوا اربعة من الطلاب وجرحوا اكثر من ثلاثين آخرين ، ناهيك بالعمل الاجرامي الذي ارتكبه رجال الحاخام كهانا فى عام ١٩٨٠ حين فجروا سيارات ثلاثة من رؤساء البلديات في الضفة الغربية المحتلة ، مما تسبب في بتر ساقي السيد بسام الشكعة ، وبتر قدم السيد كريم خلف ، إضافة إلى محاولة نسف المسجد الاقصى ، في أيار (مايو) ١٩٨٠ ، حيث اكتشفت شحنة من المواد المتفجرة بلغت زنتها ١٢٠ كغم ، كانت كافية لتدمير المسجد الأقصى والمنطقة السكنية المحيطة به برمتها .

هواجس كهانا

بيد أن وضع إطار حقيقي لمنهج « حركة كاخ » ، يقتضي بالضرورة ، العودة إلى افكار مؤسس الحركة الحاخام مئير كهانا ، لأن هذه الأفكار تمثل عملياً عقيدة « كاخ » .

فمن خلال مراجعة أفكار كهانا ، سواء فى كتبه ـ وأهمها كتابه الأخير بعنوان : « يجب على العرب أن يرحلوا » ـ أو في عشرات التصريحات الصحفية ، يتضح أن هذا الصهيوني تشغله فكرة واحدة ، هي : تصفية الوجود العربي في فلسطين ، سواء في ذلك عرب ال ١٩٤٨ ، أو عرب ال ١٩٦٧ ولتحقيق هذا الهدف ، نرى الحاخام كهانا يلجأ تارة إلى التوراة ، وأخرى إلى الاحصاءات أو الأفكار ـ العامة عن عرب فلسطين وأوضاعهم الثقافية والاقتصادية « الحسنة » !! لكي يبرر نظريته الداعية إلى طرد العرب من وطنهم فلسطين .

يقول كهانا بشكل واضح وصريح ، ان تعايش العرب واليهود في فلسطين التي يصفها « بارض اسرائيل » هو أمر مستحيل لسببين رئيسيين هما :

أولا : التناقض المطلق بين القومية العربية من جهة ، وما يصفه كهانا « بالقومية اليهودية » المزعومة من جهة ثانية ثانياً : استحالة التوفيق بن مفهوم « الدولة اليهودية » ، بوصف اسرائيل « تحقيقاً للحلم اليهودي الصهيوني على مدى الفي عام » ، وبين مفهوم اسرائيل باعتبارها دولة « عادية » ، يتساوى فيها العرب واليهود في الحقـوق .

ويحمل الحاخام كهانا بعنف ضد « المتأثرين بالحضارة الغربية من اليهود » ، أولئك الذين يفاضلون بين الدولة اليهودية النقية العنصر ، وبين دولة ديمقراطية تضم أقلية من العرب إلى جانب الأكثرية اليهودية ، ويقول « ان مشكلة الكثيرين من اليهود الذين ينادون بفضيلة التعايش بين الجنسين فى اسرائيل انهم يظنون العربى مغفلا ، ويسخرون من ذكائه وكبريائه » .

دولـــة عنصرية

ولا يخفى كهانا تصوره للكيان الصهيونى باعتباره « دولة » تقوم على وحدة السلالة ونقاء الدم ، فالكيان الصهيونى فى مفهومه يقوم على اساس اعلان « الســـيادة اليهودية » المطلقة على فلسطين ، اضافة الى ان « الدولة اليهودية » فى مفهومه ، تعنى بناء حياة مستقلة فى اطـــار من « الثقافة اليهودية » المهيمنة على جميـع مناحي الحياة فى اسرائيل .

لكن تحقيق هذه الفكرة ، يقتضي كمـــا يزعم الحاخام وضع معادلة واضحة للصراع العربى ـ الصهيونى ، تؤدى فى التطبيق والممارسة الى طرد العربُ من فلسطين بالقوة أو عن طريق الاغـــراء بالأموال ، وقد يكون مقبولا بقاء أقلية صغيرة من العرب « المسالمين » والمحرومين من أية حقوق سياسية أو غير سياسية .

وانطلاقاً من هذه المقولة ، ينفي كهانا ما يردده بعض حاخامات اليهود من أن اليهودية هى قيم انسانية واخلاقية ، تحترم انسانية الانسان ، ويقول فى هذا النطاق ، انه لا يعرف أى يهودى متدين ليس على استعداد للقول بان ما فعله اليهـــــود بالكنعانيين (اى الفلسطينيين القدماء) فى ايام يهوشع ، لم يكن عادلا ، بل ان كهانا يقول ان ما فعله اليهود بالكنعانيين من تقتيل وابادة جماعية (فى مدينة اريحا ابادوا السكان عن بكرة ابيهم باستثناء زانية اســـــمها راحـــاب قامت بايواء جاسوسين يهوديين فى بيتها ـ وفى مدينة غاي قتلوا اثني عشر الفا ..) ، هو الرحمة بعينها ! !

وبالطبع فان هذا الخلط والتلاعب بالالفاظ ، وإن استند الى الى نصوص من التوراة (المزورة) ، انما يستهدف تبرير الدعوة مجدداً الى انتهاج القتل والارهاب كاسلوب وحيد لتصفية الوجود العربى فى فلسطين حالياً ، ثم تصفية الوجود العربى فى الأرض الممتدة من الفرات الى النيل ، اما العرب الذين تكتب لهم النجاة من القتل فيجب معاملتهم كعبيد لدى اليهـــود ، ويستشهد كهانا هنا بقول الحاخام موسى ابن ميمون بهذا الخصوص : « عليهم ان يكونوا فى الدرك الاسفل (اى العرب) ، وأن لا يرفعوا رؤوسهم فى وجه اسرائيل ، وانما يتوجب عليهم ان يكونوا خاضعين لسيطرتها » !!

العرب .. قنبلة موقوتة

ولعل أكثر ما يشغل بال الحاخام كهانا وتفكيره ، تكاثر عرب ١٩٤٨ عن طريق الانجاب بشكل مذهل ، ويقول فى ذلك ان العرب يجدون فى الاكثار من الانجـــاب « سلاحهم القومى لمواجهة اليهود » ، وهو لا يدرى كيف يمكن التغلب على هـــذه المشكلة العويصة ، بدون طرد العرب من بلادهم ، خاصة وان اليهود مقلون فى

حركة كاخ الصهيونية
عصابة إرهابية جديدة

إنجاب الأطفال ، كما ان يهود «الدياسبورا» متمسكون بثرواتهم ونفوذهم الاقتصادى والسياسى سواء فى الولايات المتحدة أو كندا أو بريطانيا أو فرنسا أو استراليا ، أو أى مكان آخر ، وهم لذلك لا يرغبون فى الهجرة الى الكيان الصهيونى ، وكما ان المهاجرين من اليهود السوفييت يختار معظمهم دول الغرب لا اسرائيل لدى خروجهم من بلادهم .

وما يقلق كهانا أيضا يقظة المشاعر الوطنية والقومية لدى عرب ١٩٤٨ ، بحيث أصبح هؤلاء يمثلون « قنبلة موقوتة » فى قلب اسرائيل » لا يدرى احد متى تنفجر ، وتودى بالكيان الصهيونى ، ويقول ان عرب ١٩٤٨ ، على اختلاف مشاربهم السياسية ، يحلمون جميعاً بفلسطين عربية ذات سيادة ، ويواصلون فى نفس الوقت تطوير نضالهم السياسي ضمن مراحل زمنية ، ويضيف كهانا ان تكاثر العرب الطبيعى سيدفع بهم الى المطالبة بضراوة بزيادة تمثيلهم فى الكنيست ، وعندئذ سيسعون لطرح موضوع عودة لاجئي عام ١٩٤٨ ، واعادة ممتلكاتهم إليهم ، واذا قدر لهم الوصول الى هذا الموقف ، فان الاستراتيجية العربية لتدمير اسرائيل من الداخل سوف تصبح فى متناول اليد .

ويصف كهانا العرب بانهم متلونون ، كما يصف الدهاء العربى بانه اسطورى ، ويقول ان العرب فى اسرائيل ، يزدادون عدداً وثقافة ، وبالتالى عداء للكيان الصهيونى ، فضلا عن ان عامل الزمن هو الى جانبهم « إذ أن الفسحة الزمنية تنقضي بسرعة امام اسرائيل ، التى ما يزال قادتها غير مدركين استحالة استمرار الدولة اليهودية مع استمرار التفجر السكانى للعرب » ، ويحذر من ان اى صلح اى دولة عربية ، « لن ينقذ اسرائيل من السرطان الذى يتفشي فى داخلها » ، كما يحذر من ان المشكلة التى تهدد بتدمير اسرائيل « لم تعد كامنة فى هجوم عسكرى عربى محتمل من الخارج ، بل فى القنبلة الموقوتة المزروعة فى داخل الدولة اليهودية نفسها » .

هوس توراتي

فى الواقع يلاحظ المحلل السياسي لافكار الحاخام مئير كهانا ، ان هذه الأفكار تتميز بالتبسيط الشديد ، الذى يولد بدوره رؤية مبسطة للقضايا والمعضلات ، حيث الخط الأساسي الذى يستند اليه كهانا فى هذه الرؤية ، مستمد من الكتب الدينية اليهودية وخاصة التوراة ثم التلمود ، وفى سياق ذلك نراه يقول ان حركة « كاخ » التى يتزعمها ، انما تعمل حسب قانون التوراة ، وانه اذا كان لابد من الاختيار بين قانون الكنيست وقانون التوراة « فاننى اختار قانون التوراة » !

وأكثر من ذلك ، فان الحاخام كهانا ، يعرب عن اعتقاده الراسخ ، بان ما يسميه « بالشعب اليهودي » ، انما يقف فى المرحلة الراهنة على عتبة « الخلاص النهائى » ، كما يعرب عن ثقته التى لا يداخلها الشك فى أن « المسيح » سياتى خلال فترة تتراوح ما بين السنوات الخمس الى العشر القادمة ، وذلك باعتبار ان اليهود ينكرون مجي «المسيح» أو «المخلص» « عيسى بن مريم » عليه السلام الى الأرض ، ويزعمون ان « المسيح الحقيقى » لم يأت بعد ، وأنه – أى المسيح – سوف يأتي لغرض واضح ، هو انقاذ أو تخليص « الشعب اليهودى » من « الآلام » ، ببناء « دولة اسرائيل » ، وسيادة « الشعب المختار » على جميع الشعوب الأخرى !!

اما حدود « اسرائيل » كما يقول كهانا ، فهى « من الفرات الى النيل » ، ويضيف انه اذا وقف أربعون بالمائة من الاسرائيليين الى جانبه ، « فربما أكون ملزماً – فوق الارادة الالهية !! – بأن أسيطر على الحكم بالقوة » !!

ان هذا التبسيط الفكرى « والوضوح فى الرؤية التوراتية » لدى كهانا هو الذى يقف أيضاً خلف دعوته لانتهاج « الارهاب » كاستراتيجية وحيدة لبناء اسرائيل النقية العنصر ، والخالية من العرب ، ولهذا ، رأيناه يقول فى بيان وزعه فى اعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا ، « إننا لا نبكى على هذه المذبحة ، لأنها انتقام السماء من المسلمين ، وما كان يجب علينا تنفيذه بانفسنا ، فعله شخاص آخرون (يقصد ميليشيا حزب الكتائب) » !! ويضيف كهانا ، انه شعر بالرضى فى اعقاب سماعه بالمذبحة ضد الفلسطينين فى بيروت !

الحل عند كهانا !

انطلاقاً من هذه المفاهيم العنصرية التوراتية ، يصل كهانا الى الحل للوجود العربى فى فلسطين ، وهذا الحل يجد أساسه أولا فى تعريف الأمة ، وفى هذا الاطار نرى كهانا يركز على أهمية العنصر الجغرافى فى بناء الأمة ، فالأرض – كما يقول – هى الوعاء الذى يحتوى جماعة من البشر ، ويمكنهم من أن يحيوا حياة متميزة عن غيرهم من الجماعات الانسانية ، وتحقيق رسالتهم القومية والتراثية » . اما الدولة لدى كهانا ، فهي ليست أكثر من أداة لتحقيق هذا الغرض ، وتمكين الشعب ، أو الأمة ، من بلوغ غاياته ، باعتبار أن الأمة هي صاحبة الأرض وسيدتها ، والناس هم الذين يحددون هوية الأرض ، وليس العكس ، « فالشخص لا يصبح اسرائيليا لأنه يعيش في أرض اسرائيل » ، لأن الذي حدد هوية الأرض هم أبناء « الأمة » الاسرائيلية ، والشخص يصبح اسرائيليا عندما ينتمي إلى شعب اسرائيل ، ويكون جزءاً من الأمة الاسرائيلية » !

ومع اعترافنا بأهمية العامل الجغرافي البالغة في تشكيل أي أمة ، فان كهانا أسقط عوامل عديدة أخرى أوردها علماء الاجتماع المعاصرون في تحديدهم لنشوء الأمة ، وجاء هذا التجاهل لهذه العوامل ، بقصد تبرير اعتماد العنصر اليهودي في « الدولة اليهودية » المزعومة ، وبالتالي تبرير نظرية كهانا الارهابية لتصفية الوجود العربي في فلسطين المحتلة ، بل في اسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل » !

ولذلك نرى كهانا يحدد مطالبه ، أو برنامجه الانتخابي بثلاث نقاط رئيسية تصب كلها في مجرى نظريته الفاشية المذكورة حول « الأمة اليهودية . والدولة اليهودية النقية العنصر » ، وهذه النقاط هي :

تغيير مناهج التعليم الحالية في

اسرائيل بحيث تدمج رسميا بالتعليم الديني اليهودي ، ثم سن تشريع لاخراج العرب من أرض فلسطين المحتلة ، لأنهم سيشكلون أغلبية في السكان إذا بقوا في « اسرائيل » لمدة ثلاثين سنة أخرى ، وأخيرا دعوة يهود « الدياسبورا » إلى الهجرة إلى فلسطين المحتلة ، وفي هذا المجال يقول كهانا : « أريد من مناحيم بيغن أن يقول ليهود الشتات ، ما قاله أستاذه رئيس « حركة بيتار » : اهربوا ، فليس لكم أي مستقبل هناك » !

واستنادا الى هذه المقولات العنصرية ، يضع الحاخام مئير كهانا برنامج عمل ، لاقامة دولة يهودية نقية السلالة ، يتالف من عشر نقاط نشير هنا الى أهمها :

١ ـ ان « اسرائيل » هي وطن « الأمة اليهودية » ، لذلك فان حق المواطنة محصور في اليهود ، والانتماء الى اليهودية هو الاساس الوحيد لاكتساب الجنسية الاسرائيلية ، ومن لا يعتنق اليهودية يحرم من هذه الجنسية حتى لو اقام في « اسرائيل » ، ويمكن « للغرباء » ان يقيموا في اسرائيل دون ان يتمتعوا باي حقوق سياسية ، وباعداد تحددها المقتضيات الامنية ، ولمدة عام واحد ، قابلة للتجديد بعد خضوع « الغريب » لتحقيق دقيق في نهاية العام .

٢ـ يمنح كل عربي مقيم في « أرض اسرائيل » فرصة الهجرة الى الخارج خلال شهرين ، على ان ينال تعويضا ماليا عن ممتلكاته ، بعد خصم الديون المستحقة عليه ، كما تطالب الدول العربية النفطية بدفع تعويضات عن املاك اليهود « العرب الذين هاجروا الى اسرائيل .

٣ ـ العربي الذي لا يغادر « اسرائيل » بصورة طوعية ، يتوجب عليه تقديم تعهد بالولاء « للدولة اليهودية » ، والاقرار بالسيادة الاسرائيلية على فلسطين ، ودون ان تكون له أية حقوق سياسية .

٤ ـ استخدام القوة لترحيل وتهجير العرب الى الخارج ، في حال عدم انصياعهم لنداء الهجرة الطوعي ، وحرمان هؤلاء من اي تعويض مالي عن ممتلكاتهم .

٥ ـ العرب الذين تقبل اسرائيل ببقائهم يفرض على كل فرد منهم لدى بلوغه سن الثامنة عشرة ، الانضمام الى معسكرات العمل لمدة ثلاثة أعوام ، ثم لمدة شهر في كل عام بعد ذلك ، ولا يجوز للعربي ان يدرس في الجامعات الاسرائيلية ، الا بعد تعهده بالولاء « للدولة اليهودية » .

٦ ـ يقتصر دفع معونات التامين الاجتماعي على اليهود فقط .

ولتحقيق هذا البرنامج ـ الحل ، الذي وضعه مئير كهانا كدليل عمل لحركة «كاخ» التي يتزعمها ، فان الحاخام النيويوركي لا يخفي طموحه للوصول الى منصب رئيس الوزراء في الكيان الصيهوني ، أو بتعيينه وزيرا للحرب ، وهو يقول ان مثل هذا التعيين يساوي نصف الطريق نحو تصفية الوجود العربي ، « لانهم ـ أي العرب ـ يعرفون بان عليهم الامتثال للطلب والخروج من اسرائيل اذا طلبت ذلك .. ولهذا فانا مستعد لتخييرهم : فمن يريد الخروج من تلقاء نفسه نقدم اليه التعويضات المالية ، ومن لا يريد نقوم باخراجه بالقوة ، فنحن الذين نملك القوة ، وليسوا هم » .

من هو ؟

الحاخام كهانا ، واسمه الكامل مئير مارتن كهانا ، هو أصلا يهودي امريكي ، ومن مواليد عام ١٩٣٣ ، وقد هاجر في مطلع الستينيات الى الكيان الصهيوني ، إلا انه ما يزال يحمل الجنسيتين الاسرائيلية والامريكية ، بموجب القانون الاسرائيلي ، ولذلك فهو يتردد بين فينة وأخرى على الولايات المتحدة الامريكية ، لتفقد انصاره في حركة « كاخ » او رابطة الدفاع اليهودية ، والتي اسسها قبل «كاخ» وكان كهانا قد انضم في مطلع شبابه الى حركة « بيتار » (وهي عصابة صهيونية انشئت في بولندا عام ١٩٢٣ بهدف اعداد الشباب اليهود للحياة في فلسطين) ، وقد تلقى هذا الحاخام الصهيوني تعليمه في مدرسة دينية ، واصبح حاخاما فيما بعد ، ودرس القانون لكنه فشل في اختبار نقابة المحامين . وبدأ اشتهارة كداعية للارهاب الصهيوني مع انشائه « رابطة الدفاع اليهودية » في نيويورك ، وارتبط اسمه هناك بعمليات تفجير سيارات الدبلوماسيين ، والتشويش على الفنانين والممثلين السوفييت ، وتعاطي التجارة بالأسلحة ، واقامة علاقات مع بعض قادة المافيا . وفي الكيان الصهيوني ، خاض مئير كهانا الانتخابات العامة ثلاث مرات حتى الآن ، لكن الفشل كان نصيبه فيها ، وقد مثل امام المحاكم الاسرائيلية حوالي خمسين مرة حتى الآن ، بسبب نشاطاته الارهابية ضد العرب في الضفة الغربية المحتلة ، وسجن في احدى المرات ، كما أشيع ، وتحصن رجاله في احد الملاجيء بمستوطنة ياميت بسيناء ، وهددوا بالانتحار احتجاجا على انسحاب القوات الاسرائيلية واخلاء ياميت .

حركة أم عصابة ؟

بعد هذا العرض لنشوء حركة « كاخ » ، وافكارها واهدافها كما حددها زعيمها ومؤسسها مئير كهانا ، تبدو حركة «كاخ» هذه عصابة من العصابات الصهيونية التي عرفنا وخبرنا على مدى السنوات الستين الماضية ، ولا يبدو امامنا فرق جوهري في الأهداف والنتائج لقيام عصابات صهيونية أخرى اشتهرت في السابق كعصابات « الهاغاناه » و « الارغون » ، وكعصابة « غوش ايمونيم » و « حركة هتحيا » وحركة حيروت » حاليا ، فهذه العصابات يجمعها هدف واحد مركزي هو تصفية الوجود العربي في ما تبقى من فلسطين ، لاضفاء صفة الدولة اليهودية النقية العنصر والموحدة السلالة على الكيان الصهيوني ، وعلينا كعرب ان ندرك ان هناك عملية تقاسم وتوزيع للادوار بين الصهاينة في الحكم والسلطة وخارجها ، واذا كان هناك بعض الصهاينة الذين يدينون حركة « كاخ » وممارساتها في الأراضي العربية المحتلة (مثل النائبين يوسف سريد ، وحنان بورات) ، فما ذلك إلا لاعتقاد هؤلاء بان حركة « كاخ » تلحق ضررا بالاستيطان اليهودي في الأراضي العربية ، عن طريق اعتمادها لأساليب الارهاب المثيرة والمنفرة للرأي العام الدولي ، في حين ان الاستيطان يجب ان يتم ضمن خطوات هادئة ومدروسة ، وبعيدا عن الدعاية المثيرة .

ونعتقد ان الحاخام مئير كهانا ، زعيم « كاخ » يقدم لنا صورة أصيلة وباهرة للفكر الصهيوني النقي ، بعيدا عن التكتيكات السياسية او المرحلية ، وهو أمر يعيدنا الى الاطار الاساسي والموضوعي لمعادلة الصراع العربي ـ الصهيوني : « أن نكون او لا نكون » .

عصام شريح

الورق الأبيض يدافع عن حياته

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

أمسكت يد احد الادباء قلماً بحركة مفعمة بالشوق واللهفة ، وهمت ان تكتب على ورقة بيضاء ، ولكن الورقة البيضاء قالت للقلم بلهجة آمرة : «إياك وأن تكتب كلمة واحدة !» .

قال القلم متسائلا بدهشة : «ألا يوجد على سطح الأرض مكان يخلو من الأوامر ؟»

قالت الورقة البيضاء : «اكتب ما يحلو لك ، ولكن ينبغى لك أن تخبرنى أولا بما تزمع أن تكتب عنه» .

قال القلم باستياء : «هذا تدخل سافر فى شئونى الخاصة ، وأنا ارفضه واستنكره واحتج عليه بشدة» .

قالت الورقة البيضاء بهزء : «أنت تتكلم كمجلس الأمن الدولى الذى لا عمل له سوى أن يقدم الاحتجاج تلو الاحتجاج بينما الشعوب تخر صريعة فى معتقلات الدول الكبرى» .

قال القلم : «ساكتب ما اشاء ، فحرية التعبير تكفلها القوانين للجميع» .

قالت الورقة البيضاء : «يا لك من ساذج مضلل مخدوع ! الفارق الوحيد بينى وبين القوانين هو انى ورقة بيضاء بينما القوانين أوراق مملوءة بالكلمات» .

قال القلم بنزق : «هيا كونى صريحة واطلبى إلي هجر الكتابة» .

قالت الورقة البيضاء : «لا لا . إذا لم تكتب فقدت مبرر وجودى ، وعانيت الضياع واتهمت بانى من أنصار المغفور له جان بول سارتر» .

قال القلم : «أنت تريدين أن اكتب وتريدين أن لا اكتب . هذا تناقض» .

قالت الورقة البيضاء : «لا داعى الى الانفعال والغضب ، وانصت لي . انت قد تكتب ما قد يهدد حياتى بالأخطار ، وحياتى ملكى ، ويحق لي الدفاع عنها وحمايتها» .

قال القلم : «أظن انى فهمت ما ترغبين فيه . اطمئنى . انا انوى الكتابة عن كوكب المريخ» .

قالت الورقة البيضاء : «انا لست بالموافقة . إذا كتبت عن المريخ ، ستتهم بانك من أدباء البروج العاجية ، وهارب من مشكلات الواقع» .

قال القلم : «إذن ساكتب عن مشكلات الواقع ، وسا ..» .

فقاطعته الورقة البيضاء قائلة بصرامة : «ممنوع . اختر موضوعاً آخر لا يجلب المتاعب» .

قال القلم : «ساكتب عن المثقفين الذين يعتقدون أن الارتباط بسفارات دول رأسمالية هو خيانة وعمالة ، وأن الارتباط بسفارات دول أجنبية تقدمية هو أعلى مراحل النقاء الثورى» .

قالت الورقة البيضاء : «عندئذ سيقال عليك إنك عنصرى طائفى شوفينى ، ولن تجرؤ حتى أمك على الدفاع عنك» .

قال القلم : «ساكتب عن الفقر» .

قالت الورقة البيضاء : «اسكت . أين وعيك الفكرى ؟ المرحلة السياسية الآن مرحلة وحدة وطنية ، ولا ينبغى ضربها باثارة النعرات الطبقية» .

قال القلم : «ساكتب عن فلسطين» .

قالت الورقة البيضاء : «هذا موضوع سيعالجه أحفاد الأحفاد فلماذا هذا الفضول المقيت ؟» .

قال القلم : «ساكتب باسهاب عن الانتصارات الجديدة للواقعية الاشتراكية فى مضمار الأدب العربى المعاصر» .

قالت الورقة البيضاء : «سيتثاءب القراء حتى تتمزق أفواههم ، ومن المخجل أن تكذب بصفاقة» .

قال القلم : «ساكتب عن نزار قبانى» .

قالت الورقة البيضاء : «إذا مدحته غضب الرجال ، وإذا هجوته مزقت النساء ثيابهن غيظاً» .

قال القلم : «ساكتب عن القمر والنجوم كتابة حالمة» .

قالت الورقة البيضاء : «قد تحزن الشمس وتمتنع عن الشروق كل صباح» ..

قال القلم : «ساكتب عن حدث تاريخى قديم لا علاقة له بالحاضر . ساكتب عن اغتيال ابن المقفع» .

قالت الورقة البيضاء ساخرة : «أنا أعترف بأن الموضوع جيد وجدير بالتناول والدرس والتحليل ، ولكن من المستحسن قبل البدء به أن تكتب وصيتك ، وتفتش عن أديب يوافق على الكتابة عن اغتيالك» ..

فتجمد القلم كأنه أصيب بشلل مباغت ، وتجمدت يد الأديب ، وتحولت الى ما يشبه ورقة صفراء سقطت من شجرة هرمة ، أما الورقة فقد ظلت بيضاء من غير سوء ..

الحلم الجميل

هؤلاء الذين يزعمون فى كل مناسبة أنهم مثقفو الوطن العربى وطليعته الواعية ، لو ركبوا مصادفة فى طائرة واحدة ، واختطفها رجال قساة لا يرحمون ولا يأبهون للمساومات والمساومات والتهديدات ، فأى فدية ستدفعها الحكومات ؟ .

وما هو الموقف الذى سيتخذه الناس ازاء هذا الوضع الخطير ؟

من المؤكد أن الجواب ليس بالصعب ، فالحكومات ستشكر للخاطفين فعلهم إذ خلصها من ثرثرة فارغة ونفاق ممل يمشى على أقدام .

أما الناس فسيعلقون صور خاطفى الطائرة على جدران غرفهم عرفانا بالجميل ولكونهم انقذوهم من فئة لا تقوم بدورها التاريخى كجسر بين الحاضر والمستقبل بل تكرس جهودها لاقتناص المغانم الشخصية باسم الكفاح فى سبيل الجماهير .

أديب ذو سلاح

أحس أديب من الأدباء أن الحياة بلا سلاح باتت أمراً مهيناً ، كما أحس أيضاً أنه ضعيف محاصر بأعداء كثيرين من النقاد ، تحتاج مواجهتهم الى القوة والعنف المسلح ، فاقتصد واقتصد حتى نجح فى جمع مال أتاح له شراء مسدس .

وما أن أصبح مالكاً لمسدس حتى سعى للقاء النقاد الذين توهم أنهم أعداؤه ، مصمماً على البطش بهم قبل أن يبطشوا به» .

قال له الناقد الأول : «هيا اقتلنى ، فأصبح شهيداً واذهب الى الجنة» .

قال الناقد الثانى بهزء : «الموت أسهل من مغازلة زوجتى» .

قال الناقد الثالث : «لا تتردد . من يشهر مسدساً لا يحملق ببلاهة . هيا اقتلنى ، وساعدنى فى الوصول الى القبر ، وانقذنى من مالك البيت الذى أسكنه» .

قال الناقد الرابع بمرح : «الموت بالتأكيد ليس قاسياً كرؤية مذيع تلفزيونى سمج لا يكف عن الكلام لحظة واحدة ، واثقاً أشد الثقة بأنه الوسيم اللطيف ، منتزع الآهات من قلوب العذارى .

قال الناقد الخامس : «يا مرحبا بالموت الذى سيخلصنى من اضطهاد معدتى !» .

فشعر الأديب الذى يملك مسدساً بخيبة أمل مرة فهو اذا أقدم على قتل أعدائه ، حقق لهم حلماً يصبون الى الفوز به ، فانطلق يسير مبتعداً عنهم ، ولما وصل الى مزبلة ، قذف مسدسه فوقها ، فقالت له المزبلة بلهجة تأنيب : «خذ مسدسك . أتريد أن تكسر أسنان الذين ياتون إلي فى الظلام ويأكلون من خيراتى ؟» .

فاضطر الأديب الى التقاط مسدسه بحركة خجلة ، واستأنف السير وهو يفكر ، ووجد نفسه حائراً ، مضطرباً ، فريسة لليأس ، ثم ضحك فجأة كمن عثر على حل رائع ، والصق فوهة مسدسه بصدغه ، ولكنه حين أوشك أن يطلق النار تذكر أن التلفزيون سيعرض بعد نصف ساعة مباراة فى كرة القدم ، فالقى مسدسه على الأرض ، وركض نحو بيته بسرعة غزال يطارده الصيادون ، شاكراً لرياضة كرة القدم دورها فى انقاذ الانسان الذى مازال يقال عليه أنه أثمن رأس مال .

سؤال العصفور

ـ حين أكون مالكاً لصوت عذب يطرب ، أسجن فى قفص ، فلماذا يسجن المواطن العربى لحظة يصرخ محتجاً على ضياع عمره مع أن صراخه لا يطرب ويشبه استغاثة من تلتهمه النار في أرض بلا ماء ؟

أسئلة الفضوليين

لما كان الفضولى فى الوطن العربى هو ذاك الذى يسأل عما يعنيه وعما لا يعنيه ، فيسمع ما لا يسره وما لا يرضيه ، فقد جرت محاولات خفية للتعامل مع الفضول للتحرر منه ، ولكن تلك المحاولات أخفقت ، وظلت البلاد العربية وطناً لنوع غريب من الفضوليين الذين لا يكفون عن طرح الأسئلة .

وفيما يلى نماذج من أسئلة هؤلاء الفضوليين .

معارك من غبار

الكتاب فى البلاد العربية تملك أيديهم الكثير من الأقلام والورق ، وتملك أفواههم الكثير من الكلمات ، ولذا فهم يعشقون المعارك .

وفى يوم من الأيام ، خاضوا غمار معارك ضارية أسفرت عن نصر ساحق تجلى فى البرهنة على أن الكتابة الأصيلة الحقيقية ينبغى لها أن تستلهم الواقع ومشكلاته ، كما ينبغى لها أيضاً أن تسبح فى بحار التفاؤل ، فالحزن جاسوس يتقن تنفيذ ما يكلف به من مهمات خبيثة سرية ، واليأس عميل للامبريالية واذنابها .

أما فى هذه الأيام فقد نشبت معارك أخرى أدت الى انقسام الكتاب الى فئات ، فئة تقدم بفخر الأدلة المبرهنة على أن العرب هم عرب ، وفئة ثانية تشهق مبهورة باكتشاف جديد مثير تمكنت وحدها من الوصول اليه ، وهو أن المعدة تحتاج الى طعام ، ومن لا يأكل محكوم عليه لا محالة بالهلاك ، أما الفئة الثالثة فهى تضم أغلبية الكتاب ، ولكنها تكتفى بالنوم والتثاؤب .

ولاتزال هذه المعارك مستمرة من غير غالب أو مغلوب بينما الناس العاديون يتطلعون بلهفة ووله الى القبر بوصفه مكاناً نظيفاً حسن الاضاءة ، قادراً على منح الطمأنينة والراحة والسلام .

سؤال الحمار

ـ لماذا يهزأ بي ، وأوصف بالعجز والبلاهة مع أنى اذا أصابنى ظلم ما نهقت ورفست بينما كثيرون من الناس يظلمون فلا يفعلون مثلما أفعل بل يلوذون بصمت يقنع أنهم جثث تمشى ؟

سؤال الغيمة

ـ حين أمطر ، أهب مائى للجميع ، فلماذا لا يقلدنى المنضمون الى التكتلات والعصابات المتنكرة تحت أسماء ايديولوجية براقة ؟

تشابه كبير لم يلتفت إليه النقاد :

عطيل "الإنجليزي" وديك الجن العربي

بقلم : الدكتور نسيب نشاوي

موضوع هذا المقال هو المقارنة بين الشخصيات والأحداث فى مسرحية « عطيل » لشكسبير وسيرة حياة الشاعر العربى ديك الجن الحمصي ، ففى شخصيتى عطيل وديك الجن تشابه ، وفى أحداث حياتهما لقاء على بعد ما بينهما من مكان وزمان يناهز ثمانمائة سنة ، فقد عاش ديك الجن قبل شكسبير بنحو ثمانية قرون وهذا يوحي بأن الشاعر الانكليزى ربما تأثر بحياة الشاعر العربى فاستلهمها فى مسرحيته العظيمة (عطيل) .

ورغم أن عطيل فى المسرحية من « أصل مغربى » إلا أنه انجليزى ، من حيث انتسابه الفنى ، فقد ابتكره خيال الفنان الانجليزى العظيم شيكسبير .. والسؤال الآن هو : هل تكون قصة ديك الجن مصدر! من المصادر الرئيسية لشخصية « عطيل » عند شكسبير ؟

والحديث عن حياة « عطيل » و « ديك الجن » حزين ماساوى مبك : فما ذكر اسم عطيل (أوتلو) فى الآداب الأوربية الا تنهدت العذارى وخجل الرجال ، لقد قتل زوجته الحبيبة من دون اثم اتته ، وهى التى أثرته على ابناء جلدتها ، فتبرا منها والدها بسببه ثم صدق هذا الزوج واشيا لئيما طعن فى شرفها الطاهر فاقدم على خنقها .

وما ذكر الشاعر العربى ديك الجن الحمصي فى الأدب الا صاح صائح فى القبور يندب حظ هذا الشاعر العاثر الذى قتل حبيبته الغالية بالسيف ثم راح يحترق بنار العشق والشوق الى الجسد الطاهر الذى ما خانه قط .

ان ما حدث مع ديك الجن وعطيل يثير المشاعر ويستدر الدموع فالمراتان اللتان أصفتهما الحب والود جرعاهما كأس الموت بلا شفقة ثم انقلبا الى انفسهما يندبان الخطا الفاحش بعد أن تبينا حقيقة براءتهما .

قصة ديك الجن فى التراث العربى

نقل الأصفهانى فى كتاب الاغانى أخبار ديك الجن وصاغ قصة ماساته مع زوجته (ورد) فى رواية نقلها من كتاب محمد بن طاهر عن ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي قال :

ديك الجن لقب غلب عليه واسمه عبد السلام بن رغبان .. وكان جده تميم ممن أنعم الله عليه بالاسلام .. وهو شاعر مجيد مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره وذكر المحققون انه ولد عام (واحد وستين ومائة للهجرة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين (١٦١ ـ ٢٣٥ هـ / ٧٧٧ ـ ٨٤٩م) وكان من ساكنى حمص ولم يبرح نواحى الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدياً لأحد . ويقولون انه كان أستاذ أبى تمام ، وان أبا نواس الشاعر ودعبل بن علي الخزاعى زاراه ببيته بحمص وقدما معجبين بشعره الذى قال أحدهما عنه انه فتن أهل العراق .

أما قصته مع جاريته (ورد) التى هويها وعشقها ثم تزوجها فقد أوردها الأصفهانى على لسان ابن أخى ديك الجن



عطيل وديدمونة فى مشهد من مسرحية عطيل

أبى وهب الحمصي قال :

وكان عبد السلام (ديك الجن) قد اشتهر بحب جارية نصرانية من اهل حمص هويها وكان اسمها (وردا) ، وأورد الأصفهانى الأبيات التى كنى فيها ديك الجن عن اسمها وجمالها ومنها قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها
والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً فى أسود
جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمادى به الحب حتى غلبت عليه وذهبت به ، فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوج بها فاجابته لعلمها برغبته فيها واسلمت على يده ، وعاشا مدة هانئين وهو سادر في مجونه وغوايته

وقال يتغزل :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب (يلومه فى هذا الحب) ويعظه وينهاه عما يفعله ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته وربما هجم عليه وعنده قوم .. فلما كثر ذلك على ديك الجن قال فيه قصيدة عصماء شوه فيها صورته وجعله أبا الخبيث ورسمه على هيئة ملك الموت وحذر الناس بالحرائر وطعنه باعراضهن وكذبه واستجارة الامهات بالله من لؤمه فقال :

يا عجبا من ابي الخبيث ومن
خروجه فى النكائر الدثرة
يحمل رأسا تنبو المعاول عن
صفحته والجلامد الوعرة
كم طربات أفسدتهن وكم
صفوة عيش غادرتها كدره
وكم اذا ما رأوك يا ملك الموت
لهم من انامل خصرة
وكم لهم دعوة عليك وكم
قذفة ام شنعاء مشتهرة
كريمة لؤمك استخف بها
فنالها بالمثالب الاشرة

ذكر الأصفهاني أن ديك الجن كان قد أعسر واختلت حاله فرحل الى سلمية (بلدة بالشام على مسافة من حمص) قاصداً الأمير أحمد بن علي الهاشمي ، فاقام عنده مدة طويلة ، وحمل ابن عمه اياه ـ بسبب هجائه له ـ على أن اذاع على تلك المرأة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه واخوانه وشاع ذلك الخبر حتى اتى عبد السلام ففوجىء وارتاب وأسرع فى التجهز للرحيل الى حمص لاستطلاع النبأ ، فكتب الى احمد ابن علي شعراً يستاذنه فى الرجوع الى حمص ، ويعلمه ما بلغه من خبر زوجته (ورد) فى قصيدة مطلعها :

إن ريب الزمان طال انتكاثه
كم رمتنى بحادث احداثه

وأشار الى هيامه بها بقوله :

ظبي انس قلبي مقيل ضحاه
وفؤادي بريره وكباثه

والمح الى الوشاية التى اتته وخوفه أن تتحول عنه الى غيره :

خيفة ان يخون عهدي وان يضحي
لغيري حجوله ورعاثه

ومدح أحمد بعد هذه وهى طويلة ، فاذن له فعاد (غضبان أسفاً) الى حمص ، وقدر ابن عمه وقت قدومه فارصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه (ديك الجن) خرج اليه (ابن عمه أبو الطيب) مستقبلا ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة (ورد) بعدما شاع من ذكرها بالفساد وأشار عليه بطلاقها ، وانها قد احدثت فى مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها .

(وحبك أبو الطيب الزعم بذكاء خسيس) فدس الرجل الذى رماها به وقال له :

ـ اذا قدم عبد السلام ودخل منزله فوقف على بابه كانك لم تعلم بقدومه وناد باسم (ورد) فاذا قال (ديك الجن) من انت فقل انا فلان .

عطيل "الإنجليزي" وديك الجن العربي

فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً ، فبينما هو فى ذلك اذ قرع الرجل الباب فقال (ديك الجن) :

ـ من هذا ؟

فقال : أنا فلان .

فقال لها عبد السلام : يا زانية زعمت انك لا تعرفين من هذا الامر شيئاً ؟!

ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال فى ذلك :

ليتنى لم أكن لعطفك نلت
والى ذلك الوصال وصلت
سوف أسي طول الحياة
وأبكيك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال فيها أيضاً :

لك نفس مواتية
والمنايا معادية
أيها القلب لا تعد
لهوى البيض ثانية
خنت سري ولم أخنك
فموتي علانية

قال الاصفهانى : قال ابن عم أخى ديك الجن :

وبلغ السلطان الخبر فطلبه فخرج (ديك الجن) الى دمشق فاقام بها أياماً (وتوسط له أحمد بن علي) فكتب له الى أمير دمشق أن يؤمنه (وصعب ذلك على أمير دمشق) وقرر معاقبته واقامة الحد عليه لولا أن تحمل عليه أحمد بن علي باخوانه حتى يستوهبوا جنايته ، فقدم ديك الجن حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته واستيقنه ، وعرف براءتهم فندم ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام الا ما يقيم رمقه وقال فى ندمه على قتلها :

رويت من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
قد بات سيفى فى مجال وشاحها
ومدامعى تجري على خديها
ما كان قتليها لاني لم أكن
أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها
وأنفت من نظر الحسود اليها

وتابع صاحب الاغاني انشاد الابيات التى نظمها ديك الجن فى ندمه وماساته وفيها تصوير ذلك الوله والحب والاشفاق على الزوجة الكريمة المقتولة :

قمر أنا استخرجته من دجنه
لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وله علي كرامة
ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كاحسن نائم
والحزن يسفح عبرتي فى نحره

يقول الدكتور شوقى ضيف : وليس من شك فى أن أروع أشعار ديك الجن ما نظمه في بكاء صاحبته متفجعاً متحسراً نادماً كما لم يندم أحد (قلت) : ومازال يردد ذلك حتى أصابته لوثة اذ صار طيفها يزوره فى كل أن حتى تغشاه كدرة من جنون فيستخفى من الشبح المخيف المقتول كما استخفى أوريست قاتل أمه كليتمنسترا الذى كان يلاحقه شبحها بالقول المرعب :

سوف تصلى فى عذابات الجحيم
وعذاب الاثم نار من حميم

روى صفي الدين الحلى فى كتاب « شرح الكافية البديعية » الذى حققناه وابن حجة الحموي فى خزانته ومصطفى صادق الرافعى فى تاريخ الأدب العربى أبيات ديك الجن فى مناجاة الطيف وهى تبكى الحليم ويحسن إيرادها فى هذا المقام :

قولي لطيفك ينثني
عن مضجعي عند المنام
فعسى أنام فتنطفي
نار تاجج في عظامي
جسد تقلبه الاكف
على فراش من سقام
أما أنا فكما علمت
فهل لوصلك من دوام

ويقول محققا ديوان ديك الجن الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري : « وهزت هذه الماساة الشعراء وصوروها في أشعارهم تصويراً يأخذ بمجامع القلوب ويثير اللوعة والأسى ، ومن أبدع ما قيل فى هذه الماساة قصيدة (كاس) للشاعر عمر أبي ريشة التى قدم لها بقوله : (يروى أن ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء حباً بها وغيرة عليها وجبل من بقايا جثتها المحروقة كاسه وكان ينشد بين شربه وبكائه أبياتاً من الشعر :

أجريت سيفى فى مجال خناقها)

واليكم خاتمة قصيدة ابى ريشة :

قبلتها والليل ينفض عنه أسراب النجوم
ومدامعي تجري ، وكفي فوق خنجرى الأثيم
هى وقفة رعناء ضاق بهولها حلم الحليم
فحملت شلو ضحيتي والنار حمراء الأديم
وجبلت من تلك الجذى كاسي ومن تلك الكلوم
فاشرب ودعها فهى ما مرت على شفتى نديم
تلك هى قصة ديك الجن فى الادب العربى .



وليم شكسبير

مسرحية عطيل فى الأدب الأوربى

شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦ م) سيد من سادات الأدب العالمى ، معجزة من معجزات العبقرية ، كان منافسوه من خريجى الجامعات يحسدونه فى أثناء حياته ويرذلونه ولكن هيهات أن ينال قزم من عملاق تعيش أبطاله حياة فوق الطبيعة فما يعرف الهرم اليها سبيلا ..

كان يتبع الذوق السائد ، فشعاره الحياة . فاذا أصدرت الملكة أمرها الى



ابو الفرج الاصفهانى



عمر أبو ريشة



شوقى ضيف

المسارح أن تعمل على اذكاء الوطنية هب شكسبير يكتب ماسي تاريخية كبيرة فى تمجيد الانتصارات الانكليزية ، واذا كان الجمهور يعنى بالدراما السوداء رأيت شكسبير يكثر من حوادث القتل والتعذيب والانتحار والجنون ..

وقد يكون لحياته اثر فى صنع ماســـاة (عطيل) . ففى الثامنة والعشرين من عمره تزوج (آن هاتاوى) التى تكبره بثمانى سنين وكان الزواج اضطراريا اذ لم ينقض عليه اكثر من ستة اشهر حتى كانت الزوجة قد وضعت غلاما .. بعد ذلك سافر وحده الى لندن يسعى وراء الثروة ، وحالفه الظفر فاندفع عندئذ وراء التاليف الشخصي وقدعالج آلاما عاطفية شاذة ، ففى قصائده ما يشير الى حبه لسيد فتى خانه مع امراة سمراء .. وانك لتحس فى نبراته الما صادقا ولوعة حقيقية ..

وبانقلاب صفحة القرن السادس ينقلب شكسبير الى المأساة الدامية ، وتبدأ المرحلة المظلمة فى تصويره شخصيات مسرحه ، والسلسلة السوداء حقا من آثاره هى مسرحياته الاربع وأولها مسرحية عطيل ـ موضوع المقال ـ ، والثانية (الملك لير) ثم (هاملت) و (ماكبث) ..

عطيل فى مسرحية شكسبير قائد عظيم وقع فى حب (ديدمونة) فتزوجها ثم صدق واشيا بها فقتلها ، قال عنه خليل مطران مترجم المسرحية : « كان عطيل فى زعم القصاص الذى نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية بدوياً مغربياً جلا الى البندقيـــة وخدم فى جيشها حتى أصبح قائده فى الملمات .. وقال مطران ايضا : ان شكسبير وضع هذه القصة لاظهار الغيرة وتاثيرها فى الرجل .. ولذلك اختار عاشقا افريقيا بدوى الفطرة ليكون وثاب الشعور عنيفه ، عسكرى المهنة ليكون سريع التصديق والانخداع ، مكتهلا اى فى أول الانحدار من سن الاربعين ليكون أشد فى التعشق كما هى شيمة امثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب .. وخاصة حين يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الاخلاق مترفين .

تقع مسرحية عطيل فى أربعة فصول وتدور أحداثها الأولى بمدينة البندقية حيث يقع الحب بين (عطيل) و (ديدمونة) وينتهى بالزواج ثم تنتقل الاحداث الى مرفا حربى من مرافىء جزيرة قبرص حيث تتطور الاحداث فيشك (عطيل) بزوجته البريئة ثم يقدم على قتلها ، ثم يندم اذ يتبين براءتهما واخلاصها فلا يجد ما يشفى نفسه سوى الانتحار .

لقد وجدت تشابها فى الاحـــداث والشخصيات بين حياة ديك الجن الحمصي التى رسمها الأدب العربى على النحو الذى أشرت اليه وبين مسرحية عطيل لشكسبير حتى ذهب بى الظن الى أن شكسبير اطلع على حياة ديك الجن من خلال المصادر اللاتينية التى نقلت الآداب العربية الى أوربا ، لولا أن موضوع المقال فى الادب المقارن لمضيت فى بيان أحداث المسرحية العظيمة التى صرف شكسبير قريحته العجيبة فى الوف الجزئيات لتصوير الغرض الكلي فى ابراز الغيرة فى قلوب العشاق والأزواج ، والغرضين الملحقين به وهما :

١ ـ إثبات أن العفة لا تنتفى من مدينة مهما فسقت بل تزداد تمكنا من نفس المراة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة .

٢ ـ تبيين أثر الاحتيال ونهايته وما يبلغه فى نفس رجل ذكى مطماع خسيس أصم الضمير مستبيح كل محرم ومنكر على النحو الذى ظهر فيه (ياجو) الذى حبك بذكاء نادر التهمة الكاذبة ووجهها الى (ديدمونة) وما زال يوقد الشك فى قلب عطيل حتى وقعت المأساة .

وهذه الشئون الثلاثة : (الغيرة ـ العفة ـ الاحتيال) حاضرة بكل قواها فى سيرة حياة ديك الجن . وسانتقل الى المقارنـــة والموازنـــة بين الأحـــداث والشخصيات فى القصتين وفى اثناء ذلك ستظهر بعض تفاصيل مسرحية عطيل لئلا اكررها مرتين .

لقاء الاحداث والشخصيات

ديك الجن الحمصي عربي سكن حمص من بلاد الشام ، وعطيل مغربي عربي قال في اثناء كلامه متباهيا :

« سيعلم القوم مني ـ عندما يبيح الشرف الافتخار ـ اننى سليل بيت من البيوت المالكة وان اعمالي تقف موقفها العالي بجانب اعتى المناصب التي يبلغها بالتوفيق امثالي . واعلم يا (ياجو) انني لولا شغفي بديدمونة التي سحرت لبي لما رضيت بكنوز البحار بدلا من حريتي وبداوتي » .

وهذه الشخصية التي تفاخر بشرف نسبها ، وبمؤهلاتها الخاصة معا تشبه شخصية ديك الجن القائل :

إنى امرؤ بازل فى ذروتى شرف

حرف أمون وراي غير مشترك
وصارم من سيوف الهند ذو شطب
خواض ليل تهاب الجن لجتـــه
وينطوى جيشها عن جيشه اللجب
وليس يعرف لي قدرى ولا أدبـــى
إلا امـــرؤ كان ذا قـدر وذا ادب

وهنا يرد سؤال : لماذا اختار شكسبير شخصية عربية لتمثيل دور قتل المحبوب وما مغزى ذلك ؟ ما مدى اشارة ذلك الى اطلاع شكسبير على الآداب العربية ؟

عطيل "الإنجليزي" وديك الجن العربي

و (ورد) التى احبها ديك الجن كانت نصرانية (مسيحية) ثم اسلمت فتزوجها وهذا الاختلاف فى المعتقد الدينى ثم التقارب بسبب الحب والزواج يقابل فى مسرحية عطيل اختلاف الجنس والمعتقد بين (عطيل) و (ديدمونة) التى خالفت اهلها ورضيت بعطيل بعلا ، يقول والدها (برابنسيو) يوم جاء الى الدوق يشكو عطيلا :

«فتاة تعيش حيية هادئة خادرة تكاد تحمر خجلا إذا ابدت حراكا اتخالف طبعها وسنها وامتها ومنزلتها من الجاه .. لتتعشق شخصاً كانت تتهيب النظر اليه ؟ من قال ان الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة ..» .

لقد وقعت (ورد) فى حب ديك الجن وكذلك (ديدمونة) التى خرجت فى الهزيع الاخير من الليل لتستسلم بين ذراعى (عطيل) وتتزوجه ، ويسال ابوها (برابنسيو) عطيلا فى حضرة دوق البندقية عن هذا السحر الذى خلب لب الفتاة :

«أنت ايها السارق الخسيس اين اودعت ابنتى سحرتها يا رجل النار .. اكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال .. انفة من الزواج الى حد انها لم ترض بواحد من اغنى شبان امتنا واجملهم بعلا لها (تلتجىء) الى صدر اسود دهنى كصدرك .. اليس واضحاً انك رقيتها برقى سيئة وانك خدعت طفولتها بعقاقير ..» .

ولا أريد ان اطيل بذكر الدفاع الذى اجاب به (عطيل) ، ولا موقف ديدمونة فى ذلك الموقف الحار الذى عبرت فيه بجراة بالغة عن مشاعرها وانها تفضل عطيلا عن ابيها واسرتها ، لاننى اريد ان انتقل الى شخصية ثالثة هى شخصية (ياجو) الماكر اللعين الذى عمل كل جهده على افساد العلاقة بين الزوجين فنسج قصة زائفة رمى فيها (ديدمونة) بالزنى وانها عاشرت (كاسيو) ملازم عطيل وصديقه . وشخصية (ياجو) هنا تقارن بشخصية (ابى الطيب) فى قصيدة ديك الجن ف (ياجو) حامل علم (عطيل) ومرافقه ، اما (ابو الطيب) فهو ابن عم ديك الجن وكلاهما اوقع بالزوجة وصنع حولها قصة زنى مزيفة . فبعد سفر ديك الجن الى سلمية جاءه من يعلمه باشاعة ملفقة أن (وردا) عاشرت غلامه ، ولما عاد ديك الجن مسرعاً قدر ابن عمه (ابو الطيب) وقت قدومه فارصد له قوماً يعلمونه بذلك ، ثم خرج الى باب حمص ليستقبل (ديك الجن) ويعنفه على تمسكه بهذه المراة وذكرها بالفساد واشار عليه بطلاقها وانها احدثت فى مغيبه حادثة عظيمة .. وهذا الحدث الدرامى نجده فى موقف (ياجو) فى حواره التالى مع عطيل :

ياجو : انا عليم بطبائع بلادى ، والنساء فى البندقية يظهرن من احوالهن على مشهد من الملا ما لا يجرؤن على ان يظهرنه لبعولتهن فالذمة عندهن لا ان يمتنعن عما يشتهين ولكن ان يخفينه .

عطيل : أجد ما تقول ؟

والفرق بين (ياجو) و (ابى الطيب) ان (ياجو) اشد هدوءاً وانه ادخل الشك فى نفس (عطيل) على مراحل وتعب كثيراً فى حوك مؤامرته ، اما (ابو الطيب) فاعتمد على عنصر المفاجاة والمباغتة فكلاهما ذكى وخبيث . إذ لم يخف ياجو من غضب عطيل عندما صلح به :

عطيل : أيها النمام الواشى جئنى بما يثبت أن حبيبتى فاسدة .. لا تبطىء .. ارنى بعينى .

وياجو أعد دليلا ماديا مزيفاً : فقد سرق منديل (ديدمونة) ورماه فى غرفة (كاسيو) ثم دفعه الى زيارتها فى قصرها لتتوسط له لدى عطيل الذى كان قد نحاه عن منصبه . ثم راح (ياجو) يقول لعطيل إن (ديدمونة) تتبادل الغرام والشهوة الحمراء مع (كاسيو) بقصد الزواج منه .

ياجو : ألم تر قط فى يد امراتك منديلا عليه رسم الشليك ؟

عطيل : اعطيتها منديلا من هذا الشكل



مطران خليل مطران

وهو أول ما اهديته لها .

ياجو : رايت منديلا بهذا الشكل واعتقد انه لها بيد (كاسيو) وكان يمسح به لحيته هذا الصباح .

عطيل : الآن تبينت انها فى الحق زانية .. انظر ياجو هذه نفخة اصعد بها الى السماء ذلك الغرام النارى .. لقد ذهب .

ياجو : لابد من التمالك .

عطيل : دماً .. دماً .. دماً .

وإذا كان (ابو الطيب) قد ارسل الغلام المتهم الى منزل ديك الجن قائلا له إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كانك لم تعلم بقدومه وناد باسم (ورد) فاذا قال (ديك الجن) من انت ؟ فقل : انا فلان .

فان (ياجو) عندما راى (كاسيو) خارجاً من بيت (ديدمونه) يوم ذهب للوساطة بشان منصبه قال لعطيل : إنه « فرفرار المجرم حين راك مقبلا» ، ولتاكيد الخيانة الزوجية المزعومة عمد (ياجو) الى استدراج (كاسيو) الى القصر وهمس فى اذنه بسؤال عن صديقته الشقية (بينكا) .. وعطيل مستخف خلف الستار فى الغرفة ذاتها وبذلك احدث (ياجو) مغالطة منطقية ، إذ ظن عطيل أن الحوار التالى يجرى بينهما حول (ديدمونة) وإنما هو فى الحقيقة حول (بينكا) ولاباس ان نورد نتفاً منه :

كاسيو : ويحها من خاطئة اظن انها تحبنى .

ياجو : تشيع انك ستقترن بها .

كاسيو : انا اقترن بفاسدة .. دابها ان تدركنى فى كل مكان ، ومن جنونها انها لحقت بى الى شاطىء البحر منذ ايام .. وطوقت عنقى هكذا واخذت تترجع وتبكى

وتدفعني وتجذبني .

وفجاة تدخل (بينكا) تحمل منديل (ديدمونة) قائلة لكاسيو :

ـ ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعته الي منذ قليل .. هذا بلاشك هدية من عشيقة ما .. خذه واهده عشيقتك .

عطيل : (فى مكمنه) يا لله لابد أن يكون هذا منديلى .

وعلينا أن ننتقل الى الخاتمة المأساوية المتشابهة لمصارع العشاق فى القصتين العربية والأوربية : ف (ورد) حين سالها ديك الجن عن الغلام وعلاقتها به وأغلظ عليها أجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً وكذلك (ديدمونة) عندما سالها عطيل عن علاقتها بـ (كاسيو) .

عطيل : فكرى فى خطاياك .

ديدمونة : لا إثم لي إلا هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونة : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه .. ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى ..

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت أحبه وأعطيتك اياه أنت أهديته الى كاسيو ؟

ديدمونة : لا وحياتى ونفسى . استدع هذا الرجل وليسأل .

عطيل : ستموتين .. لقد رأيت منديلى فى يديه . ويحك من امرأة خاطئة .

ديدمونة : لعله وجده ضائعاً . أرسل فى طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونة : ماذا تقول يا مولاى .

عطيل : إنه قضى منك مأربا .

ديدمونة : مارب سوء ؟

عطيل : نعم .

ديدمونة : لن يقول ذلك .

عطيل : أجل ، لأن فمه أقفل (الى الأبد) .

ديدمونة : ويلاه قد خانوه واضاعونى .

عطيل : اهلكى يا فاجرة أتبكينه بمشهد منى .

ويهجم عليها ويخنقها ، أما ديك الجن فاخترط سيفه فضرب (وردا) به حتى قتلها ، ثم أخذ كل واحد منهما يهذى على هذا النحو :

«امراتى .. امراتى .. اية امراة .. لا امراة لي .. يا للذكرى الفاجعة .. يخيل الي أن بالشمس والقمر محاقاً فظيعاً فى هذه الساعة .

وتدخل (اميليا) زوجة (كاسيو) .

عطيل :كاسيو ضاجعها . اسالى زوجك عن ذلك .

اميليا : زوجى كان يعلم انها متعففة لوليها .

وتعلمه (اميليا) بكذب زوجها (ياجو) بالأدلة ، فتقع النهاية المسرحية الثانية فى محضر الأعيان الذين احاطوا بعطيل فقال لهم على نحو ما قال ديك الجن تماماً :

«رويدكم اقل كلمة او كلمتين .. (انا) رجل كان خالص السريرة متجاوز الحد فى حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية .. رجل غلب الاسى عينيه على أنهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع أغزر مما تنتجه اشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى .. واضيفوا الى ما تقدم أننى عندما كنت فى حلب وأهان أحد الأعداء رجلا من البندقية وثبت به وجعلت يدى فى عنقه وضربته هكذا (يضرب نفسه بالسيف) ويجر نفسه نحو سرير (ديدمونة) قائلا :

ـ لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لي إلا أن أموت فى قبلة .

تلك قصة عطيل ولقد أشار شكسبير الى أن (أتلو) وصل الى مدينة حلب وأقام بها ، وحلب مدينة على مسافة ساعات من موطن ديك الجن ومشهد مأساته .

وبعد ، أليس هناك لقاء فى الأحداث والشخصيات ؟ وأى لقاء أشد من هذا ؟

(عطيل) و (ديك الجن) شخصان متشابهان فى الطباع والأخلاق والغيرة والتهور أحبا فتزوجا ثم قتلا فندما .. كان مجرى حياتهما واحداً على بعد الزمان واختلاف المكان والبيئة والمجتمع .. ستظل روحاهما تحلق أبداً فى سماء واحدة فوق الحبيبة الزوجة المقتولة بجريرة ما اقترفتها .

(ورد) و (ديدمونة) زوجان ودودان عروبان عفيفتان مخلصتان حيكت حولهما قصة خيانة زائفة .. كلتاها فوجئت بصاحبها او حبيبها الزوج يشهر فى وجهها يد القتل للذبح أو الخنق ويوجه انذاراته بان تعترف بانها خانت الحياة الزوجية مع عشيق غريب ، ولم يكن لهما ذلك .. كلتاهما تبرأت من الخيانة ولكن يد الموت كانت أسرع من البرق فى اجتثاث الرأس الطاهر الذى ما التفت الى حبيب غير الزوج .. كلتاهما ظهر بعد موتها دليل العفاف والطهر والبراءة فاصبحتا رمزاً للعفاف .. فاما زوج الأولى فقد جن ارقاً وسهداً وندامة .. واما زوج الثانية فانتحر كمداً .

تلك هى نقاط اللقاء فى الشخصيات والاحداث اوردتها مقتضبة ، وكنت أريد أن أفتح باباً آخر للأدب المقارن .

الأسلوب الشكسبيرى والأسلوب العربـــــى

بقيت ناحية أحببت بيانها حول اللغة الشكسبيرية العملاقة ، كان هناك لقاء بينه وبيننا نحن العرب فى هذا الكلف بالتعبير الدقيق وتصوير الحالات النفسية والشؤون الخاصة وتلوين العبارة بالتشبيه والمجاز والكناية وتصعيد الآهات عبر الأحداث والمبالغة فى استقصاء أبعاد الصور الحسية ولاسيما المعنوية ، وما يقود فى ذلك الى الاغراق فى التشبيه التمثيلى والمبالغة والغلو ..

وأول من لفت الأنظار الى استشراق شكسبير هو الشاعر خليل مطران الذى عرب مسرحيات شكسبير العظيمة «عطيل» و «ماكبث» و «هاملت» و «تاجر البندقية» استجابة لفرقة جورج أبيض التى مثلتها عام ١٩١٢ م ، قال خليل مطران فى مقدمة «عطيل» :

«إن فى نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان فى نفس فكتور هوجو . أقرأ لغتنا أم نقلت اليه بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فان عنده مثل ما عندنا جراة على الاستعارة وذهاباً بضروبها كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلف بالتنقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد الى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة ، وبه ما بنا من الهيام فى المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين فى تصورهم حدة وجماح كما يكون عادة عند .. وخصوصاً عند العرب» .

الدكتور نسيب نشاوى ـ الجزائر

قضيـــة هـــامة تواجـــه العـــالم الجديـــد

انحطاط مستوى التعليم في أمريكا

بقـلم : فتـــحي رضـــوان

لقد ذكرت قول الشاعر :
كل من ألقاه يشكو دهره
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

حينما سمعت بنبأ اللجنة التى شكلت فى الولايات المتحدة للنظر فى أسباب انحطاط مستوى التعليم العام فى الولايات المتحدة ، فالظن السائد لدينا أن الولايات المتحدة وصلت فى العناية بالتعليم من حيث تقدم البرامج وحداثتها وانطباقها على مقتضيات الحياة العصرية ، ومن حيث استعانة الاساتذة والمدرسين والمعاهد والمدارس ، بالوسائل الحديثة ، من أجهزة وأدوات استماع وخرائط مصورة ، ونماذج مجسدة ، وآلات الكترونية حاسبة ، هذا كله فضلا عن أبنية فسيحة ، وساحات للعب عديدة ، ومكتبات غنية ، ونظام للرحلات ، يزيد من علم الطلاب بحقائق الطبيعة والمجتمع ، وأساليب الصناعة والزراعة ، مع توفير أسباب الراحة والمتعة معاً .

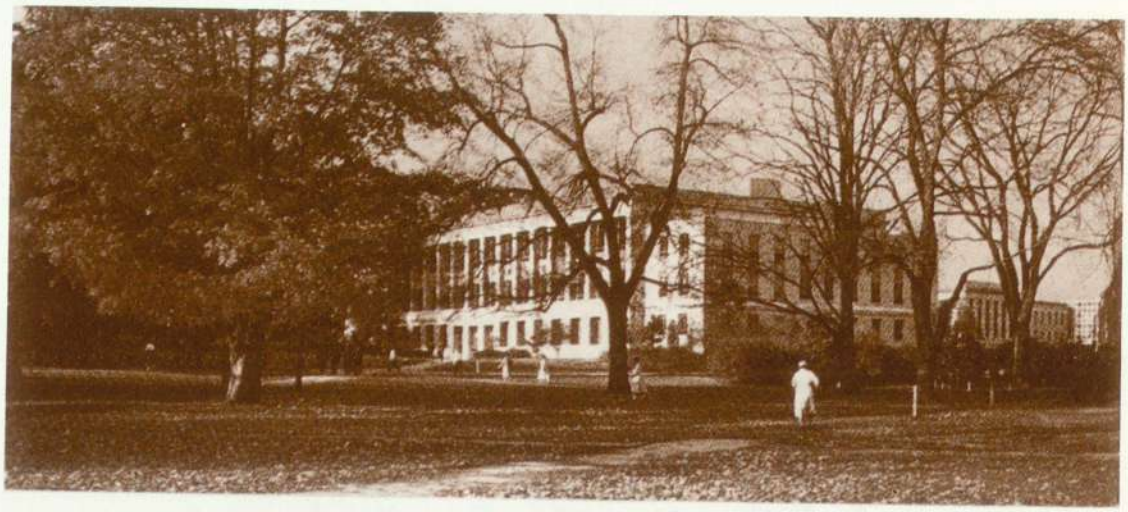
ولذلك كان شيئاً شبيهاً بالصـــدمة ما أطلعت عليه من ان الحكومة الامريكية الفدرالية انشأت لجنة من رجال التربيـــة والفكر وأصحاب التجارب المتنوعـة فى مجالات البحوث والصناعة والزراعـــة والاقتصاد لتكون مهمتها أولا الوقوف على حالة التعليم فى مدارس التعليم العـــام بامريكا ، ثم ما يقوله المدرسون عن هـذه الحالة سلباً وإيجاباً ، ثم ما يقوله التلاميذ ثم ما يراه أولياء الأمور ، ثم ما يشكو منه أولو الأمر فى الجامعات التى تستقبل أفواجاً من تلاميذ المدارس الثانوية ليأخذوا احكامهم فى تلك الجامعات ، ثم ما يلاحظه أرباب الأعمال ، على تلاميذ هذه الأيام الذين انتهوا من التعليم الثانوى من حيث الكفاءة وحسن الاستعداد والقدرة على التكيف مع متطلبات العصر الحديث ، وما يزخر به من آلات جديدة ، ووسائل للعيش طارئة ، ومناهج لادارة الأعمال مستحدثة .

والغريب في الأمر أن هذه اللجنة لم تجد رأياً واحداً من الذين ادخلتهم فى نطاق الاستطلاع بل وجدت مع شيء من التبسيط ـ فريقين جد متناقضين ، فريق الراضين عن حالة التعليم فى الولايات المتحدة ، فخورين بنتائجه ، يباهون بالفارق الضخم بين التعليم فيها ، وبين التعليم فى أوروبا واليابان من جهة ، وبينه وبين التعليم فى امريكا الجنوبية من جهة ثانية ، وبين التعليم فى الولايات المتحدة من جهة والتعليم فى افريقيا وآسيا من جهة ثالثة .

وفريق الساخطين على التعليم الامريكى فى شمال القارة الذى يرى فى كل ناحية من نواحيه عجزاً وقصوراً وانتكاساً ، سواء كان ذلك فى مستوى التلاميذ العلمي وقدر تحصيلهم للمعلومات والمعارف ، أو متوسط قدراتهم على الحفظ ، الى جانب عجز نسبة كبيرة منهم عن مواصلة التعليم الى نهايته وزوال حالة الاستقرار فى المدارس بتزايد نسبة التلاميذ المشاغبين الذين يشيعون فى فصول الدراسة الاضطراب ، ويهددون المدرسين بالعدوان حيناً ويقومون بهذا الاعتداء فعلا حيناً آخر .

على أن اللجنة خلصت الى نتائج مهدت بها الى تقريرها . فقررت أن التعليم فى العهد الحديث فى الولايات المتحدة تغيرت اهدافه عما كانت عليه منذ سنة ١٩٦٠ . فقد كان هدف التعليم الأساسي هو نشر المعرفة الذهنية بين تلاميذ المرحلة الثانوية التى تقع بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمر الفتى الامريكى ، يعنى تهيئته ليحصل المعرفة الجامعية فى مجال العلوم الانسانية ، اى الجغرافيا والتاريخ والأدب وما الى ذلك ، أو المعرفة الرياضية كالهندسة والطبيعة وما يتصل بها ، أو علوم الحيوان والنبات وطبقات الأرض والكيمياء والطب .

وكان ما عدا ذلك من الأهداف غير داخل فى نطاق اهتمام المدرسة ولا المدرسين ، ولكن التغيرات الهائلة التى اصابت المجتمع الامريكى ، بل المجتمع الانسانى ، اضافت الى مهام المدرسة والمدرسين اهدافاً أخرى منها أولا اتاحة فرص التعليم للفقراء والطبقات المحرومة وتحقيق فرص الدمج العنصرى فى المجتمع ثانياً ، وخلق مواهب وقدرات جديدة لم تكن للتلاميذ ثالثاً ، وهى القدرات العملية التى تحتاج الى مهارات يدوية كان التعليم لا يهملها فحسب ، بل



بعض معامل إحدى الجامعات الامريكية

يتعالى عليها ويحتقرها ، ويرى ان خلق النجار او الحداد او النقاش او البناء ليست من اهداف التعليم العام ، وان الاهتمام بالشبان الذين يمكن ان تكون لهم قدرات فى هذه المجالات ، من خصائص ومهام رجال الصناعة والزراعة الذين يديرون مصانع او مزارع كبيرة ، والذين يستقبلون فى هذه المصانع والمزارع اولئك الشبان الذين تخلفوا عن متابعة الدراسة الثانوية ، او الذين اتموها ولم يحرصوا على اللحاق بالتعليم الجامعى .

ثم اشارت اللجنة الى التطورات التى اصابت المجتمع الذى يخرج هؤلاء التلاميذ الذين يملأون فصول التعليم العام ، واشارت الى تغيرات ذات اثر بعيد وعميق على التلاميذ وعلى قدراتهم التحصيلية ، وتركيز عقولهم .

ومن ذلك زيادة نسبة الأمهات اللاتى يتركن البيت مبكرات ليصلن الى مقار اعمال يباشرنها فى المكاتب او المصانع او المستشفيات او سيارات النقل العام الى آخر الأعمال التى تباشرها المرأة الآن ، والتى يزيد نطاقها عاماً بعد عام .

فالصبي الذي كان لا يخرج إلا بعد أن تطعمه أمه في الصباح ، وتلبسه ثيابه ، وتوصله بيدها الى المدرسة ، والذي يعود فيجد نفس الأم في انتظاره ، لا وجود له الآن ، فعليه أن يعد نفسه ويهيىء طعامه ويمضي وحيداً الى مدرسته ، لأن امه تركت المنزل قبله ، أو لأنها موجودة ولكنها مشغولة باعداد نفسها للحاق بعملها فى الموعد المحدد . فاذا عاد ، وجد منزلا خالياً لا احد فيه ينتظره ، ولا احد يسأل ماذا لقى من المشكلات فى المدرسة او المعهد .. لأن اباه وامه يعودان عادة بعد عودته هو ببضع ساعات .

هذا الطفل حين يكبر ويدخل مدرسة التعليم العام لا يكون شبيها بالصبى الذى ينشأ فى رعاية امه وأبيه . صحيح إنه اكثر استقلالا واعتماداً على النفس ، واقل حساسية لقسوة المجتمع ، وشراسة الزملاء وحدة المنافسة ، وانفصال المدرس عنه لكثرة تلاميذ الفصل ، وتضخم هموم هذا المدرس ، الا ان هذا التلميذ نفسه يكون اكثر استعداداً للاستجابة الى اغراءات وتوجيهات زعماء التلاميذ المشاغبين الذين يضيقون بساعات التعليم الطويلة ، وبجفاف الدروس ، فيحولون المدرسة الى هجمات شرسةومشاغبات ، دون ان يهمهم ان ينزل بهم العقاب ، او ان يطردوا تماماً من المدرسة التى يكرهونها ولا يؤمنون بها .

والتطور الثانى الذى طرأ على المجتمع ازدياد نسبة الطلاق فى العائلات الامريكية مما يؤدى الى نشأة العديد من التلاميذ فى بيت ليس به الا احد الوالدين ، الأب أو الأم ، فيحس التلميذ من بداية حياته أن هذه الحياة غير كاملة ، وان النقص يصيبها منذ البداية ، فيخرج وهو يحس بان المجتمع الذى ينتسب إليه هو مجتمع ناقص أو معيب .

وقد طرأ على المجتمع الامريكى عنصر ثالث هو ازدياد نسبة وجود الفتاة فى المدرسة . فالتلميذ الذى لم يكن يسمح له بالاقتراب من الجنس الآخر الا بمقدار وتحت اشراف ورقابة ، اصبح يجد الفتاة معه فى الفصل وساحة اللعب ، وعربة النقل العام ، وهو تطور بالغ الأثر فى اتجاه التعليم ومسلك الفتيات والفتيان ، وضخامة المسئولية الملقاة على الأساتذة والاداريين .

وانتهت اللجنة إلى ان التعليم الامريكى مهما قيل فيه ، فانه مزدهر . فعدد التلاميذ فى الولايات المتحدة الذين يتمون تعليمهم الثانوى ويدخلون الى الجامعة كان فى سنة ١٩٦٠ ثلاثة ملايين ، وهو اليوم إثنا عشر مليوناً ، وما تنفقه امريكا على الطالب هو ضعف ما تنفقه اوروبا واليابان على التلميذ فيهما، وعشرة اضعاف ما تنفقه الدول المتقدمة فى آسيا ،واكثر من ذلك بكثير فى العالم الثالث ، وتزويد الطالب بالمعارف غير النظرية ورعاية قدراته العملية ، والعناية بمتطلبات مديري المصانع والمزارع ، فى تصاعد مستمر .

فاذا كانت هناك شكوى بصفة عامة من ان الطلاب الذين ينجحون فى الامتحانات الاكاديمية التى تؤهل التلميذ الى دخول الجامعة قد هبطت نسبتهم الى ٤٠٪ من راغبى اللحاق بالجامعات ، كما ان نسبة الطلاب الذين لا يتمون تعليمهم الثانوى تزداد بازدياد حالات الشعب التى اصبحت شبه سائدة فى المدارس والمعاهد ، فمرد ذلك كله إلى تطورات المجتمع التى جعلت القلق عنصراً بارزاً فى حياة الناس . وفى مقدمتهم الشبان والصبيان وتلاميذ المدارس . وعلاج ذلك كله يرجع الى جهات غير جهات التعليم ، كالمشرعين ورجال الكنيسة ورجال الاتصال بالجماهير .

فتحى رضوان

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

بقلم: محمد فهمي عبد اللطيف

منذ ان قام المستشرق الفرنسى « انطون جلان » بترجمة قصة « علي بابا » على أنها من قصص « الف ليلة وليلة » ، راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بأنها من الخرافات التى لها عناصر فى الشرقين الأدنى والأقصى .. فقرر بعضهم انها قصة تركية ، وآخر بانها أرمنية ، وأغرب فريق ثالث ، فزعم أنها ترجع الى أصل صينى .

وفى كتاب صدر أخيراً بالفرنسية لميشيل جاك ، الباحث المهتم بالمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصر قصص العجائب والغرائب ، كافح المؤلف كفاحاً علمياً كبيراً فى تلمس العناصر الأولية لقصة « علي بابا » فى مملكة اراراتو واثبات كونها قصة أرمنية .

ولكن الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ينتصف للخيال الشعبى العربى ، ويرد الحق لأهله بهذه المقالة الممتعة ، مبيناً أن الخيال العربى الذى ابدع « علي بابا » وغيرها من القصص قد اتخذ من الواقع فى العصر العباسى أساساً لبناء وجمع عناصر هذه القصة .. لمعالجة قضية الصراع بين الخير والشر .

صدر أخيراً باللغة الفرنسية كتاب جديد عن « الف ليلة وليلة » من تاليف « ميشيل جاك » وهو صحفى اختص بكتابة التحقيقات عن الاحداث التاريخية المثيرة ، والملاحم الشعبية القديمة ، وقد كتب زهاء عشرين تحقيقاً عن قصص الغرائب والعجائب فى « الف ليلة وليلة » عنى فيها بصفة خاصة بالبحث عن مشاكل القصة ، والمجال التاريخى الذى تكونت فيه عناصرها ، ثم تناقلتها الالسنة ، وتداولها الرواة من مكان الى مكان حتى أصبحت حديث الشعوب ، وسمر الجماعات فى مختلف البيئات ، ومن القصص التى تناولها الصحفى الباحث بهذا الأسلوب التحقيقى « قصة علي بابا والاربعين حرامى »

القصة باختصار

وقصة على بابا قصة مشهورة فى المجتمع المصرى ، وقد عاش القصاص الشعبى يرددها على آذان الجماعات الشعبية فى المقاهى والمجالس ردحاً طويلا من الزمن وهى موضع الحظوة والشغف عند السامعين ، ومجمل القصة أن علي بابا كان رجلا حطاباً فقيراً طيب القلب ، وكان له شقيق اسمه «قاسم» غنى بالمال ، وفى سعة من العيش ، ولكنه كان شحيح النفس جشعاً طماعاً ، وفى يوم لم يجد علي بابا القوت لأهل بيته ، فأرسل زوجته الى شقيقه تسأله أن يعطيهما مكيالا من قمح أو عجنة من دقيق ، وتولت زوجة شقيق على بابا الرد فرفضت قائلة : ليس عندنا قمح ولا دقيق ، ثم قالت ساخرة : وإذا كان عندنا وأعطيناكم فمن أين تردونه لنا وأنتم دائماً فى حاجة وعوز !؟

وعادت زوجة علي بابا مكسورة الخاطر تحمل الجواب الأليم الى زوجها ، فصبر الرجل على ما هو فيه من الشدة ، وأخذ حبله وخرج ليحتطب كعادته ، إلا انه فى هذه المرة أوغل فى شعاب الجبل حتى يستطيع أن يجمع أكبر قدر من الحطب ليسد حاجته ، ولكنه فوجىء على طريق الجبل بمنسر كبير من اللصوص ، فأسرع واختبأ فى جذع شجرة وهو يختلس النظر اليهم ، فرأى زعيم اللصوص يقف أمام صخرة على باب كهف وينادى بصوت مرتفع : افتح ياسمسم ، فانفرجت الصخرة ودخل اللصوص الى كهف عميق وراء الصخرة ، ووضعوا ما كان معهم من أحمال وخرجوا ، ثم وقف زعيم اللصوص أمام

الصخرة ونادى بصوته الحازم المرتفع : اقفل يا سمسم ، فتحركت الصخرة وأغلقت باب الكهف فى أحكام . وعاد اللصوص من حيث أتوا على طريق الجبل ..

ودفع حب الاستطلاع علي بابا لمعرفة الحقيقة فى أمر هؤلاء اللصوص ، وفى هذه الصخرة التى تتحرك على باب الكهف ، وكان علي بابا قد حفظ الكلمة التى نادى بها زعيم اللصوص : فوقف أمام الصخرة كما وقف وقال : أفتح يا سمسم .. وظهر أنها كلمة السر . فانفرجت الصخرة ، ودخل فاذا به فى مغارة عميقة مملوءة بالجواهر والذهب وتملكته الدهشة مما رأى ، ونظر الى ناحية من المغارة فوجد أكواماً من العملات الذهبية التى يستخدمها الناس فى شراء القوت وما يحتاجون اليه من مطالب المعاش ، وتحركت فى دخيلته الحاجة الى هذه العملات لشراء القوت ، فوضع الغرارة التى كان يحملها ، وعبا فيها من هذه العملات بقدر ما يحمل ، ثم حملها على ظهره ، وخرج ووقف أمام الصخرة ، ونادى بكلمة السر ، فعادت الصخرة إلى مكانها ، وأغلقت الكهف وكأن شيئاً لم يحدث ..

وعاد على بابا الى زوجته بما يحمل من العملات الذهبية الوهاجة ، وفزعت الزوجة مما رأت ذهولا ودهشة ، وجلست لتحصى الذهب ولكنها وجدته شيئاً كثيراً لا يحصى عدداً ، فذهبت الى قاسم شقيق زوجها لتستعير منه مكيالا تكيل به النقود ، ولكن زوجة قاسم شكت فى الأمر ، وتساءلت فى نفسها : ماذا يكون عندهم من الحبوب أو الدقيق ليكيلوه وهم لا يجدون القوت ؟ ولأجل أن تعرف الحقيقة لصقت فى قاع المكيال من الداخل قطعة من العجين لتعرف ما يلصق بالعجين ، أى نوع من الحبوب عندهم أو الدقيق ، ولما أعادت زوجة على بابا المكيال اليها كانت الحيلة قد نجحت ، إذ لصقت بالعجين قطعتان ذهبيتان ، فأخذها العجب والدهشة ، ونادت على زوجها قاسم وأطلعته على السر وتساءلت من أين لهم هذا الذهب الذى يكال بالكيل ، وهم لا يجدون القوت ، فلابد أن يكونوا قد عثروا على كنز من الذهب .

وتحركت نوازع الجشع فى نفس قاسم ، وأخذ بلبه بريق الذهب الذى لا يحصى عدداً ، وغمه أن يصبح شقيقه الفقير المعدم أكثر منه مالا وغنى ، فتوجه الى شقيقه وساله عن سر هذا الذهب الكثير الذى يكال بالكيل ، وقص على بابا الرجل الطيب على شقيقه قاسم القصة بتفاصيلها . دله على الكهف والصخرة وكلمة السر ، وحكى له حكاية المنسر وشبحه ، وانطلق قاسم وهو يطير فرحاً . ولكنه لم يذهب الى الكنز وحده بل أخذ عدداً من الدواب وعليها الغرائر والأخراج ليحمل فيها الجواهر والذهب ، وذهب الى الجبل فى الوقت الذى يذهب فيه المنسر ، ووقف أمام الصخرة ونادى بكلمة السر ، فانفرجت الصخرة ودخل الى مغارة الذهب والجواهر ، فأخذ ينهبها نهباً ، وكأنه يريد أن يحملها كلها ، وأفقده الذهب صوابه فنسى كلمة السر عند الخروج ، وبقى سجيناً فى المغارة ، وعاد اللصوص على عادتهم الى المغارة بما جلبوا من سرقات الذهب والجواهر ، فرأوا العبث بكنوزهم ، ووجدوا قاسماً داخل المغارة ، فانهالوا عليه طعناً حتى قتلوه ومزقوا جثته .

وطالت غيبة قاسم وساور علي بابا القلق على مصير شقيقه ، فخرج الى الجبل يبحث عنه ، فوجد جثته ممزقة أشلاء عند المغارة ، فأدرك السر فيما يجرى ، وجمع أشلاء أخيه الممزقة وحملها سراً الى إسكافى فخاطها ، وأعاد الجثة الى هيئتها حتى يدفن أخاه بطريقة لائقة أمام الناس ، حتى لا يعرف أحد السر فى تمزيق جثته ، وعندما عاد اللصوص الى مغارتهم لم يجدوا أشلاء الجثة ، فساورهم الشك والقلق وخافوا أن يكون أحد من الناس قد وقف على سر مغارتهم ، وانطلقوا يستمعون أحاديث الناس حتى وقفوا على الاسكافى الذى خاط الجثة فأفضى اليهم بكل شىء ، ودلهم على منزل علي بابا الذى حملت اليه الجثة بعد أن خاطها ، فرسم اللصوص على باب المنزل «صليباً» ليعرفوا به المنزل عند العودة اليه ، ثم انصرفوا وقد بيتوا فى أنفسهم أمراً ..



علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

ورات «مرجانة» جارية علي بابا «الصليب» مرسوماً على باب المنزل ، فاسرعت بازالته لان الصليب على باب رجل مسلم أمر منكر ، ومع هذا فقد عاد اللصوص وعرفوا منزل علي بابا ، وتخفى زعيمهم فى زى تاجر زيت وطلب من علي بابا الضيافة وهى واجب مقدس عند العرب ، ففتح له علي بابا منزله مرحباً ، ووضع زعيم اللصوص فى فناء المنزل تسعة وثلاثين زيراً قال إنها مملوءة بالزيت حتى لا يحركها أحد او يقرب منها ، ولكنها فى الواقع كانت تحتوى على تسعة وثلاثين لصاً كل منهم مدجج بسلاحه لتنفيذ المؤامرة فى الوقت المقرر ، وساور «مرجانة» حب الاستطلاع فاخذت تتبين ما فى الازير، وسرعان ما ادركت السر ، وعرفت انها خدعة فجاءت بماء مغلى واخذت تصبه فوق اللصوص حتى اهلكتهم الواحد بعد الآخر ، ولم ينج إلا زعيمهم ..

ولم ييأس زعيم اللصوص ، واصر على قتل «مرجانة» ، فعاد مرة ثانية متخفياً فى زى آخر الى منزل علي بابا وطلب الضيافة ، ورحب به علي بابا كعادته ،وبعد ان استقر المقام بزعيم اللصوص طلب ان يراقص مرجانة رقصة الخناجر وكان فى نيته ان يغدر بها ، وقبلت مرجانة الطلب على الرغم من انها ادركت السر فى هذا الطلب الغريب ، وفى اول جولة من الرقص اسرعت واغمدت الخنجر فى قلب زعيم اللصوص فخر صريعاً لوقته ، وتقول القصة ان علي بابا تزوج من مرجانة مكافاة لها على ما صنعت ، وفى نص آخر من القصة إنه زوجها لابنه ، لان علي بابا الرجل الطيب لم يشأ ان يفارق زوجته التى شاركته شظف العيش ، وعاشت معه الايام التى كان لا يجد فيها القوت ..

.. ليست من ألف ليلة

هذا هو مجمل قصة علي بابا التى راجت فى المجتمع المصرى ، والمجتمع العربى عامة ، كما راجت فى المجتمع الاوربى ، وكانت بما تتضمنه من المفاجات والمفارقات والصراع بين الخير والشر ، معيناً فنياً يلهم الكتاب الاوربيين فاخرجوها فى السينما ، واقتبسوا منها للمسرح ، واستلهموها فى كتابة القصص الفنى ، وتناولها عدد من المستشرقين بالبحث والدراسة ضمن ما تناولوه من قصص الف ليلة وليلة .

وقصة علي بابا فى الحقيقة ليست من ليالى الف ليلة وليلة كما يتوهم بعض الباحثين ، ولكنها قصة مستقلة ، وقد وصلت الى يد المستشرق الفرنسى «انطون جلان» مع بعض القصص الاخرى مثل قصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وكان «جلان» يقوم بترجمة الف ليلة وليلة فوجدت اقبالا لا مثيل له ، واخذ ناشر كتبه يستحثه على الترجمة لهذا القصص الباهر فترجم قصة «علي بابا والاربعين حرامى» ، وقصة علاء الدين والمصباح المسحور ، وغيرهما من القصص على انها من قصص الف ليلة وليلة ، ومن هنا راج الاعتقاد بين عامة المستشرقين بأن قصة علي بابا من قصص الف ليلة ولياليها ، ولما تناولوا قصص الف ليلة بالدراسة ، وقسموها الى طبقات واقسام حسبوها من قسم الخرافات التى لها عناصر فى القصص الواردة من الشرق الاقصى .

.. ولم يبدعها الأتراك

وبعض المستشرقين يقرر ان قصة علي بابا قصة تركية ، ويستدل على هذه الخرافة بان اسم علي بابا تركى ، وهو يطلق على الاب وعلى الجد وعلى كبار السن ، ولست ادرى لماذا لم يقل إن القصة فارسية ، فان اسم علي بابا شائع كذلك بينهم ، والامر على العكس عند الترك فان اسم علي نادر بينهم ، كما ان كلمة «بابا» تسبق الاسم دائماً عند الترك على عكس الوضع فى الفارسية ، ثم إن الاتراك يطلقون كلمة بابا عادة على شيوخ الصوفية ودراويش التكايا ، وكان آخر دراويشهم فى مصر بابا سرى شيخ البكطاشية .

.. وليست صينية

والاغرب من هـــذا كله ان بعض المستشرقين يزعم ان القصة ترجع الى اصل صينى ، وانها ذات صلة بقصة الاربعين وزيراً ، وبقصة الشقيقين والخمسة والاربعين – تنيناً ، والذى اغراهم بهذا الزعم المشابهه فى عـــدد الاربعين المذكور فى هاتين القصتين وقصة علي بابا ..

ثم جاء المستشرق البريطانى « ادوين بالمر » الذى ذبحه عرب سيناء وهو يعمل جاسوساً للاحتلال البريطانى ايام الثورة العرابية ، فقال إنه عثر على قصة علي بابا فى سيناء ، وفى رايه انها قصة سينية او سينائية ، ولكنه لم يذكر لنا هل وصلت القصة الى سيناء من اى جهة ، او ان سيناء كانت منشاها الذى نشات فيه .

أهى أرمنية

اما ميشيل جاك فيقول ان القصـــة ارمنية ، ويحدد مجالها التاريخى فى مملكة الاراراتوا القديمة ، وهى مملكة ازدهـرت حضارتها فى القرن العشرين قبل الميلادى وكانت تقع فى بلاد ارمينيا والاناضول حيث يقوم جبل ارارات الذى تقول التوراة ان سفينة نوح رست عليه ، ولاتزال منها الى اليوم بقايا حصون وقلاع واطلال مكان « فوشـــبا » عاصمتها و « توبراكال » اعظم مدنها فى اقصى جبال طوروس شرق الاناضول ، وميشيل جاك ينظر إلى قصة علي بابا كما ينظر إلى قصص الف ليلة وليلة الحافلة بكنوز واكوام الذهب والفضة والاحجار الثمينة المخبوءة بعد سرقتها من القبور القديمة والكهوف التى تحرسها الطلاسم السحرية ، ويقول ان منطقة ارارات غنية بالمغارات والكهوف والتجاويف المنحوتة فى الجبال والصخور ، وكانت مدينـــة «توبراكال» تعرف عند سكانها باسم « ريمزيم داج » ، اى جبل السمسم ويتعلق ميشيل جاك بهذا الاسم على انه مفتاح القصة ، ويفسر به كلمة السر فى قصة علي بابا ، وهى كلمة افتح يا سمسم ..

قصة الراعى والمغارة

ثم يقول إن الحفريات الحديثة كشفت عن صفوف من الجرار الكبيرة كان السكان يخزنون فيها الحبوب والنبيذ ، وهذا فى رايه مما يفسر لنا وجود الجرار التى اختبأ فيها اللصوص الاربعون الذين تامروا لقتل علي بابا ، ثم يواصل ميشيل جاك الحديث فيسهب فى وصف ما كان فى المنطقة من كنوز الذهب المدفونة والمخبوءة فى الكهوف

والمنارات ، وما كان من عمل اللصوص فى نهب هذه الكنوز وسرقتها ويقول : إن جبل «فان» ذا المنحدر الصخرى للعاصمة توشبا يوجد فيه باب وراءه غرف وأبهاء تحت الأرض يعتقد السكان أن المردة والعفاريت يسكنونها ، ثم يروى أسطورة قصها فلاح على أحد رجال الآثار تقول : ان أحد رعاة الغنم نام فى يوم بجوار هذا الباب وسمع هذه الصيغة السحرية لفتح الباب ، ورأى فى المغارة التى وراءه كنوزاً وثروات لا تحصى ولا تعد ، ثم استيقظ الراعى من النوم ، ونادى بالكلمة المسحورة فانفرجت الصخرة ، ودخل فى المغارة ولكنه أصيب بذهول من روعة ما رأى من الذهب والجواهر فنسى كلمة السر ، ولم يجد منفذاً للخروج .

والحق أن ميشيل جاك كافح كفاحاً علمياً كبيراً فى تلمس العناصر الأولية للقصة فى مملكة أراراتو ، واثبات أنها قصة أرمنية . ولكنا نسأل بعد هذا : هل القصة أرمنية حقاً كما زعم ميشيل جاك ، أو تركية أو صينية كما زعم غيره من المستشرقين ، أو أنها نبتت فى وطن آخر ومن صنع شعب آخر هو شعب مصر ..

إن القصاص الشعبى لا يخلق قصة من العدم ، ولا يجيش خياله بقصة فى غير مناسبة ، وانما لابد من المناسبة التى تحرك خياله ، وتهز مشاعره ، فيبحث عن واقعة تاريخية تتفق فى جوها مع هذه المناسبة التى تثيره وتحفزه للحديث ، ومن الواقع التاريخى الملائم والمثير يبدأ القصة ، ولكنه لا يلتزم بهذا الواقع مكاناً وزماناً ، وأحداثاً وأشخاصاً ، انه يتخذ منهم أساساً للبناء ، ولجمع العناصر التى تلائم القصة ، ولكنه بعد ذلك ينسلخ من هذا الأصل التاريخى انسلاخاً تاماً ، وينطلق مع خياله فيذهب الى مكان غير المكان ، ويخلق أشخاصاً غير الأشخاص ، انه يقصد الى التعبير والتصوير لمفهوم آخر أثارته فى نفسه أحداث ذلك الواقع التاريخى ، ولكنه على أى حال ليس هو ذلك الواقع التاريخى ، وهكذا صنع القصاص الشعبى فى قصة علي بابا والأربعين حرامى .

خلفية القصة العربية

والواقع التاريخى لقصة علي بابا كان فى مصر ، وأصل مبعثها ومجالها فى أرض النوبة على حدود مصر ، ومعناها أرض الذهب ، وكان علي بابا ملكاً على النوبة وبلاد البجة ، وهى تشمل الاقليم الواقع بين البحر الأحمر والنيل والممتد جنوباً الى بلاد الحبشة ، وكانت هذه البلاد ذات ملك مستقل من قديم الزمن ، ولكنها كانت فى غزوات وحروب مستمرة مع الفراعنة والرومان نظراً لما فى أرضها من معادن الذهب والزمرد حتى كانت تعرف بأرض المعادن ، وقد سكن فى تلك البلاد خلق من العرب من ربيعة ابن نزار ، وتزوجوا فى البجة وقويت البجة بهم ، ولما دخلها الاسلام فى إمارة عبد الله بن أبى السرح على مصر سكن فيها جماعة من المسلمين بخاصة فى بلاد معدن الذهب ، والعلاقى وعيذاب .

علي بابا ملك البجة

وكانت البجة فى صدر الدولة العباسية خاضعة للخليفة العباسى ، وتؤدى للخليفة خراجاً معلوماً كل عام ، ولكن ملكهم علي بابا أعلن العصيان على عهد الخليفة المتوكل ، وقطع ما كان يؤديه الى بغداد من خراج ، ومنع المسلمين الذين كانوا يعملون فى معادن الذهب والزمرد ، وتطاول البجة فى غاراتهم على صعيد مصر ، حتى أجفل أهل الصعيد من بلادهم ، ولما رأى عنبسة بن اسحاق والي مصر أن خطرهم قد تفاقم بعث بأمرهم الى الخليفة المتوكل ، وجمع المتوكل أهل الرأى للمشاورة فاقنعوه بأن



الوصول الى بلاد النوبة أمر عسير جداً ، لأن بينها وبين بلاد المسلمين مفاوز موحشة وجبالا مستوعرة ، وأهل البجة أهل شراسة ، وقد يكون فى الخروج اليهم الهزيمة ، ففترت عزيمة المتوكل عن ارسال جيش لحرب النوبة .

ولكن القائد محمد بن عبد الله القمى طلب أن يخرج اليهم على أن يكتب للخليفة الى والى مصر ليتولى تجهيزه بالرجال والخيل والجمال وما يحتاج اليه من الأسلحة والأزواد والأموال ، وأن يوليه صعيد مصر يتصرف فيه كيف يشاء فاذا انتصر فهو نصر للخلافة ، والغرم كله على مصر ، فكتب له الخليفة بما طلب ، وجاء ابن القمى الى عنيسة والي مصر بكتاب الخليفة فقام له بكل ما طلب ، وأمده بسبعة آلاف مقاتل ، كما جهز له سبع سفن من ساحل السويس محملة بالامدادات من المؤن والعتاد لتكون فى مساعدته اذا ما وقعت الواقعة .

ووقعت بين محمد بن القمى والبجة معارك ووقائع ، .. وأخيراً تغلب عليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، فتقدم علي بابا الى محمد بن عبد الله القمى وطلب الأمان على أن يعود الى طاعة الخليفة وأن يقدم له ما قطعه من الخراج خلال أربع سنوات ، وأن يقيم على العهد الذى قطعه من قبل ... فبذل له محمد الأمان ، وخلع عليه وأكرمه ثم شرط عليه أن يتوجه معه الى بغداد ليطأ بساط الخليفة المتوكل وليدخل فى طاعته وليفوز منه بالأمان ، فامتثل علي بابا للأمر ، وولى مكانه ابنه (ليعيش بابا) ، وجاء الى القاهرة فاستقبله الوالي عنيسة بالحفاوة ، وأحاطه بالاكرام ، ثم خرج به محمد بن القمى الى بغداد وأحضره بين يدى الخليفة المتوكل وأمره الحاجب أن يقبل الأرض بين يدى الخليفة فامتنع ، فغضب الخليفة وعزم على قتله ، وقال له : انك تحمل صنماً من حجر أسود تسجد له كل يوم مرتين ، فكيف تأبى تقبيل الأرض بين يدى واحد غلمانى قد قدر عليك ، وعفا عنك فلما سمع علي بابا ذلك قبل الأرض ثلاث مرات ، فعفا عنه المتوكل ، وأفاض عليه الخلع وأكرمه وأعاده الى بلاده ..

العناصر النوبية للقصة

هذا هو الواقع التاريخي لقصة على بابا فالقصة ليست تركية كما زعم بعض

علي بابا

قصة عربية لا أرمنية ولا تركية

المستشرقين وكل حجتهم في ذلك ان بابا من الاسماء الشائعة في التركية ، ولكنها قصة مصرية بواقعها التاريخى ، فان علي بابا كان ملكاً على بلاد النوبة والبجة ، وكانت له مع مصر احداث كما رأيت وكل العناصر التي قام عليها كيان القصة انما هي من تلك البيئة ، فالذهب كانت النوبة بلاده ومناجمه ومغارات الجبال والكهوف كثيرة في تلك البلاد ، ولصوص الذهب والكنوز

لهم قصص كثيرة في الصعيد الاعلى والنوبة ، والجرار او على الاصح الازيار التي اختبأ فيها اللصوص مازالت الى اليوم تصنع في تلك البلاد كبيرة لخزن الحبوب والصغيرة لغير الحبوب ، ورقصة الخناجر هي الرقصة الشعبية لرجال البجة ولهم فيها مهارة وبراعة ، أما اختباء اللصوص في الجرار او الأزيار فقد نقله القصاص الشعبي عن قصة الزباء وجزيمة بن الأبرش عندما دخل الفرسان الى قصره

محملين في غرائر على الجمال ، وبقيت كلمة السر وهي من الطلاسم التي تستخدم في جميع القصص الشعبي لفتح المباني والأواني المسحورة ، والسمسم والسمسمان في اللغة العربية هو الخفيف اللطيف السريع الحركة ، فكان حين يقول : افتح ياسمسم يعني افتح بسرعة ..

قصة صراع الخير والشر

على ان قصة على بابا ليست قصة الذهب الذي يتكدس اكواماً ، وليس مفهومها هو ذلك الكنز العظيم الذي ظفر به على بابا في مغارة الجبل كما زعم ميشيل جاك ، ولكنها قصة الصراع بين الخير والشر ، الصراع بين الخير الاعزل ينتصر بنوازعه الطيبة ودوافعه الانسانية ..

والشر المدعم بالقوة والمال ولكنه يندحر بقوته وجبروته وطغيانه ، هذا هو المفهوم الذي أراد القصاص الشعبي تصويره وابرازه في قصة على بابا ، فالذهب لم يكن إلا عنصر الصراع ومادته وموضع الاثارة فيه ، أعني الصراع بين الخير والشر ، ثم تتابع أحداث الصراع ومواقفه في القصة بشكل غير مالوف ، اي مدهش ، كما هو الأسلوب المثير في كل قصة ، وفي النهاية ينتصر الخير على الشر ..

والصراع بين الخير والشر هو قصة الحياة للناس ، وهو من المعاني الشائعة في القصص الشعبي عند كثير من الامم ، واكثر ما يكون شياعاً في قصصنا الشعبي ، وفي كثير من الحوادث والحكايات والاعمال المصرية ، وهناك قصة يتداولها ابناء القرى في ريف مصر تتفق في صورتها وفي مفهومها مع قصة علي بابا .

وفي رواية أخرى ..

وتقول هذه القصة ان فلاحاً فقيراً ضاقت به الحال ولم يجد القوت لاولاده ، وكان له اخ



صاحب ثراء ومال وزرع وماشية ، ولكنه لا يفعل الخير ابداً ، فارسل الرجل الفقير زوجته الى اخيه هذا تسأله ان تعطيهم كيلتين من القمح لاطعام العيال ، وان يردهما اليه عند موسم الحصاد ، واسرعت زوجة اخيه وقالت :

ليس عندنا قمح ، واذا كان عندنا واعطيناكم فمن اين تردونه الينا وليس لكم زرع ولا قلع ..

وعادت الزوجة حزينة واخبرت زوجها بما حصل فاسلم الرجل امره لله ، وكانت عنده عجلة يقوم على تربيتها حتى تكون جاموسة يجد منها ابناؤه ما يبل رمقهم من اللبن ، فعول على ان يبيعها ليشتري من ثمنها قوتاً لاولاده ،

وفي اليوم التالي اخذ العجلة وخرج مبكراً مع نور الفجر من القرية متوجها الى السوق ، وفي منتصف الطريق جلس يستريح تحت شجرة ووضع كومة من البرسيم امام العجلة ، فاخذته سنة من النوم ، ولكنه استيقظ فوجد نفسه ومعه عجلته تحت الارض بين ناس يبدون فى أشكال غريبة ، وعلى الفور اخذوا العجلة وذبحوها ، وصنعوا وليمة فاخرة ودعوا الرجل لياكل معهم ، وكان الرجل جائعاً وبه قرم الى االحم فاقبل وأكل في شهوة وتقبل للطعام ثم حمد الله ،

وبعد الوليمة اقاموا حلقة ذكر وطلبوا منه أن ينشد على الذكر فقبل ، ولم يكن الرجل يحفظ من الكلام ما ينشده ، ولكنه نظر الى حالته وما هو فيه فانطلق في انشاده يقول : يجي يوم فسود من يوم ، واخذ يردد هذه الجملة في انشاده والذاكرون يطربون ويظهرون سرورهم ، حتى اذا ما انتهى الذكر نادوا عليه ، ثم احضروا غرارة ووضعوا فيها من جنيهات الذهب بقدر ما يستطيع الرجل ان يحمل ، ثم طلبوا منه أن يغمض عينيه فاغمضهما ، ولم يلبث أن رأى نفسه بغرارة الذهب على سطح الارض في نفس المكان الذي كان يجلس فيه مع عجلته تحت الشجرة .

وحمل الرجل غرارة الذهب الى زوجته ، فطارت من الفرح والسرور ، وسالته عن مصدر الذهب فروى لها القصة .

ثم ارادت الزوجة ان تقدر الذهب الذي لا يعد لكثرته فذهبت الى دار شقيق زوجها وطلبت من زوجته ان تعيرها الكيلة لتكيل

بها حبوباً اشترتها ، ولكن الزوجة اصرت بدافع الفضول ان تعرف صنف الحبوب التي عندهم ، وهل هي قمح او شعير او ذرة فوضعت في قاع الكيلة قطعة من العجين حتى يعلق بها شيء من الحبوب التي ستقوم بكيلها فتعرف الصنف ، ونجحت الحيلة ، فلما اعادت المراة الكيلة وجدت زوجة الاخ جنيهين من الذهب علقا بالعجينة ، فذهبت الى زوجها واخبرته الخبر وشارك الرجل زوجته فى الدهشة والعجب ان يكون عند اخيه ذهب ، وفي نفس الرجل شراهة الى المال ، فذهب الى شقيقه علي بابا الرجل الطيب وساله عن قصة الذهب ، فروى له القصة بكل تفاصيلها في صدق وامانة .

ورجع الرجل الى زوجته واطلعها على القصة ، فعولا على ان يصنع الرجل ما صنع شقيقه ، فاخذ جاموسة اكتنزت لحما وخرج الى السوق في الوقت الذي خرج فيه شقيقه ، وفي منتصف الطريق جلس عند نفس الشجرة ، ولم ياته النوم ، فتصنع النوم ، ورأى نفسه والجاموسة تحت الارض مع الناس الذين كان شقيقه معهم وذبحوا الجاموسة وصنعوا الوليمة وطلبوا منه ان ياكل معهم ولكنه اعتذر بانه شبعان وان اللحم في بيته كثير ، واقاموا الذكر وطلبوا منه ان ينشد ، فقام للانشاد ولكنه قال في نفسه ان شقيقه قال : يجيء يوم اسود من يوم فاكرموه بالعطاء ، فلابد ان يقول هو : يجيء يوم احسن من يوم ، وتمايل الذاكرون في الذكر ، وبدا عليهم الملل والاشمئزاز من كذب الرجل فى انشاده ففضوا الذكر وضربوه علقة ،وجاءوا بغرارة وملأوها بقشر البصل وعظام الجاموسة وطلبوا منه ان يغمض عينيه فاغمضهما ، ثم وجد نفسه على سطح الأرض بالغرارة ، وعاد الى زوجته بالغرارة ، وانما عاد بالخيبة والتعاسة .

هذه هي القصة التي يتناقلها ابناء القرى فى مصر ، وهي صورة طبق الاصل من قصة علي بابا ولكن بدون المغارة والجبل واللصوص ، على اننا لا ندري هل اعتمد القصاص الشعبي في صياغة القصة الريفية ، او ان القصة الريفية كانت تقترا من الآثار التي تركتها قصة علي بابا في المجتمع المصري ، ولكنها تلونت بلون البيئة الريفية التي ليس فيها مغارات ولا جبال ولا لصوص لكنوز الذهب ولا تعرف رقصة الخناجر .. والواقع ان هناك قدراً مشتركاً كما قلت من قبل من التشابه بين القصص الشعبي الموغل في القدم يستطيع به الباحث ان يفصل فيه بالاسبقية لاية قصة من هذا القصص .

رواية عربية ثالثة

وعلى اى حال فان قصة علي بابا قد تركت آثارا واضحة فى المجتمع المصرى ، فقد ظهرت هذه القصة فى صور اخرى بين طائفة الدراويش واهل الطريقة الرفاعية ، وهى القصة المشهورة بقصة الشـــيخ « ابو شباك » .

وتتلخص هذه القصة فى أن اربعين لصاً من خارج مصر اتفقوا فيما بينهم على ان يتنكروا فى زى الدراويش وان ينتسبوا للطريقة الرفاعية التى يقيم شيخها السيد احمد الرفاعى فى بطائح العراق ، ثم يدخلوا الى مصر لسرقة التجار المصريين وقتل والى مصر ..

ودخل الدراويش أو اللصوص الأربعون مصر ، واخذوا يسطون فى الليل على المتاجر ويسرقون التجار ويخبئون سرقاتهم فى « برج الظفر » وفى النهار يتظاهرون بالصلاح والتقوى والدروشة ، وضج التجار بالشـكوى من كثرة السرقات وسـاورهم الشك فى هؤلاء الدراويش .. ولكنهم لم يستطيعوا ان يعلنوا ذلك ، وفكروا فى وسيلة يكشفون بها الحقيقة ، فاتفقوا فيما بينهم على ان يقيموا وليمة كبيرة لاولئك الدراويش يكون اللحم فيها من لحوم القطط والكلاب ، فاذا ما عرف الدراويش انها لحوم قطط وكلاب وامتنعوا عن اكلها كانوا دراويش واولياء حقا ، والا فهم لصـوص

ولما كان الشيخ احمد الرفاعى شيخ الطريقة الرفاعية عالما ومتصلا ، فقد علم بامر الوليمة ، وخشى ان يلطخ هؤلاء الدراويش سمعة الطريقة الرفاعية اذا ما انكشفت حقيقتهم فارسل ابن شقيقته الشيخ على الرفاعى الى مصر لانقاذ سمعة الطريقة ، ودخل الشيخ علي الذى اشتهر بعد ذلك باسم « ابو شباك » الى المادبة التى اعدها التجار للدراويش .. وقبل ان يمد الدراويش ايديهم الى الطعام سالهم التجار من نقيبكم فاجاب الشيخ علي : انا النقيب ، وجاء التجار باللحوم لياكل الدراويش .. فصاح الشيخ علي ابو شباك : « بسك بسك قوم انت وهو باذن الله » ، فقامت القطط تموء والكلاب تنبح .

والتفت الى الدراويش والتجار وقال : ان هؤلاء الدراويش هم اللصوص الذين سرقوكم وقد جاؤا الى مصر لتخريبها وقتل واليها ، وقد قذف بى السيد احمد الرفاعى من الشباك الى هنا لانجى مصر من شرهم ، ولارد اليكم المسروقات وهى مخباة فى برج الظفر ومن يومها اصبح الشيخ على الرفاعى ابو شباك نقيب الطريقة الرفاعية فى مصر ، أما الدراويش أو اللصوص الاربعين فقد تابوا وصاروا اولياء ، ومن هنا انتشر فى البيئة المصرية لقب الشيخ الاربعين ..

كلها ابداع عربى

فالقصص الثلاث كما ترى ـ قصة علي بابا ـ وقصة الفلاح فى القرية وقصة الرفاعى ابو شباك ـ تبدو فى صورة واحدة ونسق متفق .. ولكنها تختلف فى الاعتماد على القوة المتسلطة التى تحل عقدة القصة وتسير احداثها ، فهى فى قصة علي بابا الطلسم والشعار السرى : افتح يا سمسم ، وهى فى قصة الفلاح الجن الذين كانوا تحت الأرض ، أما فى قصة الشيخ ابو شباك فهى الولاية والكرامة الأولياء الواصلين اصحاب السر الباتع ، وهذا يفسر لنا اختلاف العقائد فى القوة الخارقة المتسلطة بين المجتمع بين طوائف المجتمع المصرى ، وكيف تختلف هذه العقائد باختلاف البيئات ووضع الطوائف فى هذا المجتمع هى عقائد لا تزال متمكنة من النفوس الى اليوم .

ولم يقف الأثر الذى تركته قصة علي بابا على المجتمع المصرى .. بل تجاوزه الى اوربا ، فقد عاد الصليبيون بعد ان انتهت دولتهم فى فلسطين الى بلادهم يحملون عشرات بل مئات القصص الشعبى مما كان ذائعاً فى مصر وغير مصر ، ومنها قصة على بابا ، وقد سجلها « الاخوان جريم » فى المجموعة الضخمة التى جمعاهـــا من الحكايات الشعبية التى كانت شائعة فى منطقة الرين بالمانيا ، وهى تعرف عندهم باسم حكاية « جبل سمسمى » أو جبـــل سميلى وهى تتفق فى الصورة تماماً مع قصة علي بابا ، ولكن عدد اللصوص فيها اثنا عشر بدلا من أربعين .

محمد فهمى عبد اللطيف

هـــذه الظـــاهـــرة الغـــريبـــة:

الرمـــال الموسـيقيـة

بقلم: درويش مصطفى الفار

من أروع ما قدمه الاسلام للانسانية تحرير العقل من الشرك بمختلف مظاهره وأساليبه الخفية والظاهرة ، وفك قيود جميع أنواع الكهنوت والوساطة بين الانسان وخالقه ، والمساواة ، أمام الله ، بين جميع بنى آدم وحواء ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود إلا بالتقوى . حتى أنك لتجد فى الصدر الاول بلالا الحبشى الاسود وسلمان الفارسى الذى كان لا يتقن العربية تمام الاتقان ، وصهيب الرومى كذلك يتساوون بالاسلام مع ابى بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم من اشراف قريش لا تمييز ولا عنصرية ولا تفرقة ...

وجاء الاسلام ، والعرب ، شانهم شان الامم حولهم ، غارقون فى الوثنية وعبادة الاصنام واتخاذ التعاويذ والتمائم ، والتبرك بالتماثيل والحجارة والايقونات والكواكب والنجوم ، وكان لديهم من الاصنام التى يعبدونها ، او تقربهم بجهلهم الى الله زلفى ، ما أحصاه الى حد ، ابن الكلبى فى كتابه الاصنام وذكره الدكتور جواد على العلامة العراقى فى المجلد السابع من سفره الضخم عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

كانت لديهم اللات والعزى ومناة وهبل وسواع ويعوق ويغوث ونسر وعميانس وأساف ونائلة ومناف وذو الخلصة وسعد وذو الكفين وذو الشرى والاقيصر ونهم والفلس واليعبوب والمحرق ورئام والاشهل والفيزن وجريش والقليس ، وعشرات اخرى لكل عندهم قصص وأساطير واباطيل لا يحصيها العد ، ولا يدركها التقصى . وتبع الوثنية وعبادة الاصنام ، التشاؤم والتطير والسحر والشعوذة والخرافة والتنجيم ، وما الى ذلك مما يكبل العقل باغلال الجهالة والانغلاق والانقياد للكهنة والدجالين وضاربى الرمل والودع ، ويصرفه عن حقيقة التفكر فى ملكوت الرحمن والبحث فى فهم نواميس هذا الكون وقوانينه والسنن التى يجريه الله تعالى بمقتضاها فى نظام محكم دقيق مقدر عجيب فيه آيات لأولي الالباب .

وخلال القرون الاربعة عشر المنصرمة ، منذ بلغ الاسلام رسالته للعقل البشرى ، ونادى بالعبودية لله وحده لا شريك له أبداً، كانت ميكروبات الوثنية الكامنة تهتبل فترات الجهل والعزلة والامية ، فتطل برءوسها البشعة الكريهة فى أوساط المسلمين ، وتلبس مختلف الثياب والازياء ، وخاصة عندما تضعف دولة الاسلام وتغلب على أمرها عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، كما هى الحال اليوم ... ولم تكن سيناء ، فى الشمال الشرقى لمصر ، عند التقاء آسيا بافريقيا استثناء من القاعدة التى اسلفنا ..

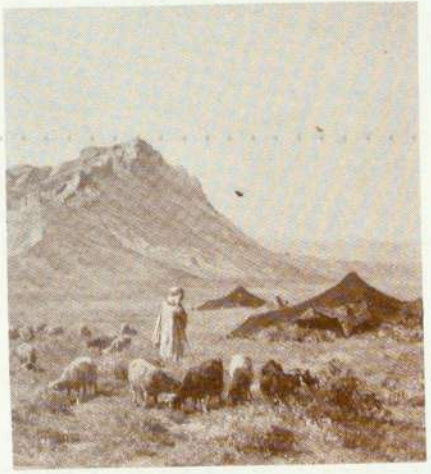
فاذا كانت مساحة شبه جزيرة سيناء تقارب واحداً وستين الف كيلو متر مربع من الارض السبخة والرملية والجبلية ، فانك تكاد تحصى قرابة ستمائة (مزار) اختلط فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب والواقع بالخيال ، حيث يتصرف الناس بدواً وحضراً تصرفاً يكاد يكون وثنياً صرفاً حيال تلك المزارات ، ويقومون لديها بطقوس غريبة قد لا تختلف عن تلك التى كان يمارسها أجدادهم فى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ، حيث يقربون القرابين ويغنون ويرقصون ويطعمون الطعام ، ويدعون بادعية غريبة قد تقربهم من الشرك الواضح الصريح ...

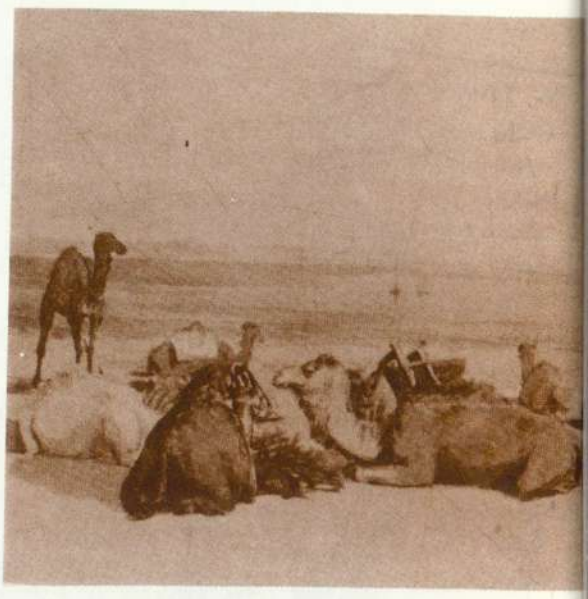
ولعل أشهر المزارات فى سيناء هو «الابرقين» ...

والابرقين ، جاء اسمه من «البرق» بفتح الراء والباء ، وهو فى لغة العرب الحجارة التى تكسوها الرمال السافية من بعض نواحيها ومن هنا تجد أسماء البرقاء والابرق والابيرق فى كثير من الصحارى العربية ومنها سيناء ، دلالة على أن الرمال السافية تكسو أجزاء من تلك التلال ...

والدى نحن بصدده تل لا يتجاوز ارتفاعه ثلاثمائة وستة وسبعين متراً فوق

هكذا يبدو الابرقين
ترى اية شاة سوف تقدم قربانا ؟؟؟





هكذا تستريح الابل بعد رحلة المولد الى الابرقين



لعل الصهاينة لم يتركوا وراءهم خرافات اخرى لبدو سيناء بين هذه التلال

سطح البحر ، ويقع الى الغرب من كتلة جبل الحلال الذى نكتبه خطا فى الخرائط العربية باسم (هلال) على نحو خمسين كيلو متراً جنوب العريش ...

ومن الروايات الكثيرة بين البدو والحضر ، يبدو أن هذا التل الذى يتكون من طبقات صخور جيرية تكسوها الرمال السافية ، تحدث فيه ظاهرة (الرمال الموسيقية) التى اجتهد كثير من علماء الجيولوجيا فى محاولة تفسيرها تفسيراً مقنعاً محدداً .

وظاهرة الرمال الموسيقية هذه شائعة فى كثير من الصحارى العربية وغير العربية ... ويقول العلماء الذين سمعوها فى آسيا او افريقيا او امريكا او استراليا ، أن أصواتاً تشبه جلجلة السلاسل او احتكاك اوراق (الصنفرة) او الطبل الضخم ، تنبعث من تحرك الرمال السافية على التلال الصخرية بفعل الجاذبية فى الأيام او الليالى التى يكون فيها الهواء ساكناً تماماً، ويفسر بعضهم تلك الحركة فى الكتلة الرملية السافية بأن الرمال قد سخنت اثناء النهار بفعل حرارة شمس الصحراء الساطعة ، فلما برد السطح ليلا او بعد زوال الشمس حدث فرق فى الكثافة وتكون مستوى فاصل يؤدى الى التزحلق ومن هنا تصدر الاصوات ، التى قد يكون سمعها بعض رعاء الشاء او الابل او عابرى السبيل قرب تل الابرقين منذ قرون ، فاعتقدوا فى انه مكان مقدس ونشات عادة زيارته فى موسم معين ، كما يزار ذلك الكم من المزارات فى سيناء من اقصاها الى اقصاها .

يذبح الزائر ، من البدو او الحضر ، قربانه الذى نذره للابرقين ، عنزاً او جدياً او نعجة او خروفاً سميناً ، ويسلخه ويلقى براسه وفروته طبقاً لطقوس معينة ، ويرمى شيئاً من اللحم فى الفلاة غذاء للوحش واوابد الطير من رخم ونسور ، ويطبخ الباقى ويطعم القادمين من كل حدب وصوب لهذا الموسم ، وينصرف الجمع ، كل قد علم وجهته وتزود بكمية من اللحم المسلوق ...

وهنالك علامات للقبول او الرفض للقربان ، منها سلسلة ضخمة مثبتة من طرفيها فى الأرض اسفل التل من الغرب ، إذا اجتازت الذبيحة تلك السلسلة دون ان تقع فهى مقبولة !!!

وليست زيارة الابرقين بالذات وقفاً على قبيلة بعينها ، فهو مزار عام لكل سكان شبه الجزيرة بدواً وحضراً ...

كانت امى يرحمها الله ، لا تزور الابرقين لبعد الشقة ، وعدم الاستطاعة ، فكانت تقتصر على زيارة البحر ، شان صويحباتها من نساء العريش . فكانت تربى جدياً ، لابد ان يكون اسود فاحماً لاشية فيه ، وتسمنه بالعلف الجيد ، ثم تنطلق بنا فى يوم إثنين معين صوب اليزك (النبى ياسر) ، وهنالك يذبح الجدى ويسلخ ويحمل فروته وراسه وجزء من لحمه ليلقى فى البحر بعد (سبع موجات) ثم تطبخ بقية اللحم ، وتهشم لنا الثريد فى المرق ، وتطبخ بعض جريش القمح وتشبعه سمناً طيباً ، وبعد العشاء تدعو الله بالقبول ، ثم ينصرف الجميع ...

ولقد ظلت على تلك العادة العجيبة حتى كبرنا وقرانا لها فى الكتب عن الشرك وانواعه ومظاهره فتركت ماكانت تعتقد انه من الاسلام ، يرحمها الله ...

والى جانب المزارات ، فلدى البدو فى سيناء ، معتقدات ، لا اعلم ان علماء الأزهر الشريف كلفوا انفسهم مشقة النهى عنها ليصلح دين القوم ويخلص معتقدهم من ادران الجاهلية . كالاعتقاد فى ان الأشجار فى واد بعينه كوادى الشيخ حميد او وادى المشايخ او منطقة رجال الخلا ، على سبيل المثال لا الحصر ، اشجار مقدسة لا تعصد ولا تقطع ولا يوقد حطبها ، لدرجة ان إنساناً قد يحلف بالله عدة ايمان مغلظة ، فاذا جاءه القاضى بفرع من شجرة سيال او طلح فى وادى المشايخ ليقسم عليها قال الصدق والحق ، خوفاً من اللعنة ان تحل عليه او يبتلى إذا كذب !!

فهل آن الأوان لاستطلاع علمى دقيق عن هذه الاعاجيب خاصة بعد احتلال اليهود لسيناء على مدى خمسة عشر عاماً لا يمكن ان تخلو من تقوية بعض الخرافات والأفكار الضالة ؟؟

وهل آن الأوان لعلماء المسلمين ان يتقصوا على سعة العالم الاسلامى كله ، ما لدى المسلمين فى كل القارات من مثل هذا الذى ذكرناه عن سيناء ؟؟

إن المسلمين اليوم احوج منهم فى اى وقت مضى لنفض آثار الجاهلية التى ابعدتهم عن حقيقة ونورانية وعقلانية هذا الدين الذى جعلهم يحكمون الدنيا كلها قروناً عدة يوم كانوا يمارسونه دون جهل الجاهلية .

درويش مصطفى الفار

هذا العبقري المتشرد

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

أجرى الحوار: محمد يوسف



جويس .. الروائى العبقرى



د. طه محمود طه

أكثر من خمسة عشر عاماً قضاها الدكتور طه محمود طه فى ترجمة رواية «عوليس» للكاتب الايرلندى العالمى «جيمس جويس» ، وتعتبر هذه الرواية إحدى أصعب وأعظم روائع الأدب العالمى فى القرن العشرين ، وقد تمت ترجمتها الى كل اللغات الكبرى فى العالم وأخيراً وجدت هذه الرواية مكانها فى المكتبة العربية ، وقد جاءت الترجمة فى أكثر من ألف صفحة ، وكان الدكتور طه محمود طه ، قد ألف منذ أكثر من عشر سنوات كتابه المعروف «موسوعة جيمس جويس» ... وحول «جويس» ، ذلك العبقرى المتشرد ، الذى ملأ دنيا الأدب وشغل الناس ، يدور هذا الحوار مع الدكتور طه محمود طه :

● دكتور طه .. «جيمس جويس» بعالمه ورؤيته الابداعية المركبة .. وصعوبة ترجمته الى العربية بابعاده الرؤيوية المتشابكة .. لماذا وقع عليه اختيارك ، هو بالذات دون غيره ؟

– فى البداية كان الأمر بالنسبة لي مجرد محاولة للدخول الى عالم هذا الروائى الفريد ، والتعرف على غموض عالمه وغرابته ، فلما اكتشفت أن الاهتمام بأعمال جويس لم يكن يتعدى دائرة ضيقة من المعجبين بفنه ، والأصدقاء والجامعيين فى أربعينيات هذا القرن ، قررت أن أساهم بجهد أكاديمى وعلمى متواضع فى الكشف عن عالم جويس وانجازاته الابداعية الثرية

● بالمناسبة .. من يقرأ «جويس» يجد صعوبة فى قراءته .. لماذا ؟

– أولا .. إن «جويس» يفترض فى قارئه أن يكون واعياً .. وهو يختبر وعي قارئه باستمرار . مثلا .. احدى شخصياته تحاول أن تتذكر كم من الفلوس وضعتها فى حافظة النقود .. ويضطر القارىء الى العودة الى الفصل الأول ، عند خروج الشخصية من المنزل .. وهناك لا يجد القارىء الجواب .. كأن «جويس» يريد أن يخرج لسانه للقارىء قائلا : ضحكت عليك .. ! أو عليك واحد .. !

ثانياً .. من يقرأ «جويس» لأول مرة يتوقع أن يأخذ منه كل شيء لأنه متعود على القراءة السهلة .. لكن إذا أمعنا النظر فى الاعمال العظيمة فاننا نجد اننا لا نتعرف على أسرارها عند قراءتها لأول مرة أو قراءتها لمرة واحدة ، بل لابد من قراءتها عدة مرات .

إننا مازلنا نقرأ «شكسبير» الى الآن ، ونفسر أعماله .. أليس كذلك ؟!

ثالثاً .. بالنسبة لعالم «جويس» الابداعى .. هناك أجزاء سهلة .. وأجزاء تحتاج الى مجهود عند القراءة بمعنى الغوص الى عمقها .. وهنا يحجم القارىء

عن قراءتها بالقفز عليها ، فيكتشف انه قد تاه فى عالم «جويس» لسبب بسيط هو أن «المفاتيح» قد تركها فى الاجزاء التى قفز عليها .

بعض الناس يسالون : لماذا تعمد جويس ذلك ؟

والجواب : لانه معتز بفنه اشد الاعتزاز وكانه يقول لقارئه لا تقرانى مثلما تتصفح الجريدة .

● إذن .. هناك علاقة بين مستوى قارىء «جويس» ونوعية إبداعه ؟

ـ المطلوب أن يكون قارىء «جويس» قارئا جاداً .. مع ملاحظة اننا فى ذات الوقت لا نستطيع القول ان كتابة «جويس» تتضمن قدراً من التعسير أو التعقيد . إنها كتابة مركبة .

التعقيد بدون مبرر غير موجود لدى «جويس» .

ومن ثم .. فان قارىء «جويس» يجب أن يكون مؤهلا من ناحية المسئولية والثقافة ، بمعنى ان يكون مسئولا ومثقفا .

مسئولية القراءة ودرجة الثقافة تحددان نوعية قارىء جويس الذى يرصد وينقد ، ويكتب بحس مرهف للغاية .

إن «جويس» يشبه نفسه بالفنانين الايطاليين الذين كانوا يرسمون لوحات زيتية ، ويرسمون انفسهم فى إحدى زوايا اللوحة ، ولا يلحظ ذلك احد من مشاهدى تلك اللوحات .

خذ عندك «هيتشكوك» الذى كان يظهر فى مشهد سينمائى خاطف ، وهو يسير فى الشارع ، والمشاهدون يصيحون :

ـ ها هو «هيتشكوك» .. !

جويس يريد أن يقول لك : انا فى كل مكان .. لكننى منزو فى أحد الاركان .. !

١٥ عاماً مع عوليس

● د. طه .. رواية «عوليس» التى استغرقت فى ترجمتها حوالى خمسة عشر عاماً .. تطرح هذا السؤال : لماذا كل هذا «الوقت» ، ولماذا كل هذا الارهاق ، زمانياً ومكانياً ، فى ترجمتها ؟

أحياناً أقول لنفسى إن رواية «عوليس» أو «يوليسيس» تشبه «المولد» بالمعنى المصرى الدارج ..

وفى «المولد» (بهذا المعنى) هناك حلقات الذكر ، والمداحون ، ولاعبو السيرك ، والراقصون والراقصات ، والمطربون المتجولون ، ولاعبو الثلاث الورقات ، ومدمنو الحشيش ، والساعون الى ضريح «الولى» الذى اقيم «المولد» باسمه ..

«مولد» عوليس عبارة عن لوحات ثرية الالوان والايقاعات ..

لماذا ـ .. لسبب بسيط هو أن «جويس» كتب روايته باساليب مختلفة ، ومستويات متباينة .. موزيك .. كولاج .. ارابيسك ..

باختصار .. كان جويس منسجماً مع طابع العصر الفنى وهو الكولاج (التلصيق والانتقائية ..) .

ورواية «عوليس» خليط من هذه الأساليب الفنية .. ففى الحانة لا يتوقع احد أن تتحدث إحدى الشخصيات بلغة كلاسيكية قحة .. لأن الناس يتكلمون فى الحانة بلغة المشارب ..

مثلا .. إحدى الشخصيات الموجودة فى الحانة تخرج منديلا لتمسح به وجهها .. والمنديل مرسوم عليه الآثار المشهورة فى مدينة «دبلن» .. فماذا يصنع «جويس» ؟ يتوقف ويكتب فقرة أو فقرات يصف فيها المنديل باسلوب محكم ، ثري ، رصين .. ثم يعود مرة اخرى ، بعد الانتهاء من الوصف الى الحوار الذى يدور فى المشرب ..

إن «جويس» يكتب نصاً لعقد قانونى ، داخل عمله الروائى ، مثلا .. وكان محامياً محنكاً خبيراً هو الذى كتبه .

إنه يكتب باساليب متعددة داخل الفصل الواحد .

جملة موسيقية شعبية .. ثم جملة أخرى كلاسيكية ..

ولتوضيح وجهة نظـــرى .. اقول ـ للقارىء العزيز ـ إنه توجد ثلاث «نوتات» موسيقية فى رواية «عوليس» ، واضطر «جويس» لطبعها داخل الرواية ، لأنه أيقن انه مهما كتب لتصوير النوتة فانه لن يعطى الأثر المطلوب ، فضم «النوتات» الثلاث الى روايته .

ايضاً .. أجاد «جويس» الكتابة عن الأصوات تعبيراً وتصويراً .. أصوات الفئران ، والكلاب ، وأصوات الأبواب ذات «المفصلات» الصدئة .

شخصيات عوليس

وللعلم فان «جويس» لم يترك أحداً فى دبلن إلا وتكلم عنه .. أعضاء البرلمان ، ضباط ، ابطال ، صعاليك ، سراة القوم ، وكل شرائح المجتمع الى درجة أن كل ايرلندى كان يسأل صاحبه : هل وضعك «جويس» فى روايته .

ولكي أتقصى وأتحرى خلفيات «شخصيات عوليس» زمانياً ومكانياً ، فقد كنت أنتقل الى الأماكن التى عاشت فيها هذه الشخصيات ، و «استدعيها» (فى الزمان عبر الذاكرة) ، وفى المكان عن طريق الانتقال الى الاماكن التى ظهرت فيها هذه الشخصيات كما قلت .

أضف الى ذلك .. محاولتى الجادة فى نقل «المصداقية» الابداعيـــة لعالـــم «يوليسيس» (عوليس) بمستوياتها المتعددة كماً وكيفاً ..

لذلك .. قضيت قرابة خمسة عشر عاماً فى التشبع بأجواء هذا العمل الروائى الفذ ، وترجمته فنياً وابداعياً .. أى اننى كنت أحاول الابداع فى الترجمة ، والابداع فى عدم المساس بشخصيات الرواية ، وخلفياتها ، وايقاعاتها ، وحالاتها ، واحوالها المزاجية والانسانية والفنية .

● هل لهذه الأسباب كان عالم «جويس» الابداعى مستغلقاً بالنسبة لنا طوال هذه الأعوام ؟

ـ نعم ..

وبشىء من التفصيل أقول لك ، وللقارىء العزيز : إن عقلية «جويس» كانت موسوعية .. وان قدرته على استيعاب وهضم التراث الانسانى كانت متميزة .. وبعبارة موجزة .. كان «جويس» ، حسب تصور كارل جوستاف يونج ، ينهل من منهل التراث الانسانى حيث «المستودع الأعلى» ، والدائرة الأكبر التى تضم آدم ، واديسون ، ونيوتن .. وغيرهم .

وبرغم ذلك يقول بعض دارسيه إن «جويس» غير مبتكر ، بمعنى ان عقليته لم تكن عقلية خلاقة ، وإنما عقلية منظمة تشبه الكمبيوتر الذى يخزن المعلومات ، وعند الضغط على «زرار» الكمبيوتر فان «التيمة» أو «المعلومة» المطلوبة تظهر على الشاشة ..

هنا يمكن أن يتوقف النقاد ويتساءلوا : ما هو الابتكار .. ؟ هل هو خلق شىء من لا شىء .. ؟ أم هو تنظيم ما لديك من معلومـــات ومعـــارف وملاحظـــات واحصائيات .. ؟

الشرط الابداعى الذى أدركه وطبقه «جويس» على نفسه هو أن التراث الانسانى ينبغى أن يقراه ، ويستوعبه مع تمرير ما قراه واستوعبه من خلال رؤيته الابداعية الذاتية .

● هل الشرط الابداعى ، فى مفهوم جويس ، مقترن باستيعاب تراث البشرية استيعاباً شاملا ؟

التاريخ والكابوس

ـ «جويس» كان يقول : إن التاريخ كابوس علي أن أصحو منه .



هذا العبقري المتمرد

كيف يستقبله العالم العربي وكيف يفهمه الأدباء؟

« جيمس جويس » في سطور
(١٨٨٢ ـ ١٩٤١)

- روائي ايرلندي ولد في ٢ فبراير ١٨٨٢ بمدينة دبلن .
- (كان متقلب المزاج ، مرحا احيانا ، ومكتئبا احيانا اخرى) .
- (تتناسج حياة « جويس » مع فنه في اعماله) ، فهناك نوع من الهارموني ، بين حياته وفنه .
- تطور أسلوبه الفني ، كما يقول د. طه محمود طه في « موسوعة جيمس جويس من الترجمة الذاتية في « ستيفن بطلا » إلى السرد الرمزي والايحاء في « صورة للفنان » ، ثم من نظريته في « الظهور » أو الاستنارة او الكشف المفاجىء في مجموعة قصصه القصيرة « ايرلنديون من دبلن » ، أو الكشف الدرامي في مسرحيته اليتيمة « المنفيون » ، واخيراً من طريقة المونتاج السينمائي في « عوليس » إلى مركب معقد من الاسطورة والسيمفونية والكابوس في « فينيجانز ويك » .
- أعمـــاله :

١ ـ ايرلنديون من دبلن (١٩١٤) .
٢ ـ صورة للفنان في شبابه (١٩٠٤ / ١٩١٤ ـ ١٩١٦) .
٣ ـ البطل ستيفن .
٤ ـ المنفيـــون (١٩١٨) .
٥ ـ عوليس (١٩١٤ / ١٩٢١ ـ ١٩٢٢) .
٦ ـ فينيجانز ويك (١٩٢٢ / ١٩٣٩) .

- مات في ٣ يناير ١٩٤١ في زيورخ من جراء اصابته بقرحة متهتكة في المعدة ! ! .

التاريخ ـ الكابوس كان يسيطر عليه تمام السيطرة .

آخر روايات «جويس» (فينيجانز ويك("Finnegan's wake" (١٩٢٢ ـ ١٩٣٩) تجسد هذا المفهوم .

إن كلمة (ويك) "Wake" معناها هنا التراث .. تراث «فينيجانز» .. مع أن الكلمة من الناحية اللغوية الحرفية ، معناها «استيقظ» .. لكن المعنى الذى اخذه «جويس» هو المعنى الذى شرحته .

إن هذه الرواية ، فى إطار المعنى الأشمل تمثل تراث ال فينيجانز او تراث البشرية .. من أيام آدم وحواء الى عصرنا هذا .

كان التاريخ يتلبس «جويس» إذن ؟

ـ بل كان يتقمصه تقمصاً شاملا . لو تناولت بطلا من ابطال رواياته او قصصه فانك ستسال نفسك : من هو هذا البطل ؟ هل هو النبى محمد ؟ هل هو النبى عيسى ؟ هل هو سيدنا موسى ؟ هل هو سيدنا ابراهيم ؟ هل هو نابليون ؟ هل هو هتلر ؟

- هل هو نبي ام صعلوك ؟

ـ أجل .. إن «جويس» يريد أن يقول ذلك بالضبط ..

- د. طه .. أيهما أصعب فى الاستيعاب والمتابعة ، «عوليس» أم «فينيجانز ويك» ؟

ـ «عوليس» مشكلتها أهون إذا قورنت بـ «فينيجانز ويك» ..

لماذا ؟

فى رواية «فينيجانز ويك» فتيات وأولاد ورجال وانهار وأشجار ورياح ، وأسماء ، تختلط ببعضها ، وتكاد تمتزج امتزاجا الى درجة أنك لا تستطيع أن تميز ـ مثلا ـ «نابليون» من «الاسكندر الاكبر» .. إضافة الى اللغة التى استخدمها «جويس» .. فاللغة فيها غريبة الشكل .. و «العجينة» اللغوية انجليزية أما تقطيع هذه «العجينة» الى فطائر وشطائر ورقائق فانه اتخذ حوالى ٦٩ شكلا متباينا .

مثال بسيط على ذلك ..

«جويس» يريد أن يذكر كلمة الالمان فى روايته التى كان قد انتهى من كتابتها فى عام ١٩٣٩ (أى فى بداية الحرب العالمية الثانية) ، فاطلق على الالمان «جيرم ـ هنز» (Germ-Huns) .. والكلمة مشتقة من الجراثيم والمغول .

- توليفة تنطبق على الالمان فى ذلك الوقت ؟

ـ تمام الانطباق ..

- ولها دلالة تاريخية فى الزمان والمكان؟

ـ وهذا يعنى أن «جويس» كان يكتب كلمة واحدة تحوى عوالم عديدة .. والكلمة من هذا النوع عبارة عن حصالة أو حوصلة .

- أو محارة ؟

ـ إذا فتحتها .. اكتشفت ما فى داخلها ، وإذا رتبتها اكتشفت اصلها ، فربما تكون كلمة ذات مقطعين .. انجليزى والمانى ، او انجليزى وعربى ..

ـ فينيجانز ويك .. معجزته الابداعية .

هذه هى اللغة فى رواية «فينيجانز ويك» على امتداد ٨٠٠ صفحة .

والغريب أن الصفحات الخمس الأولى من هذه الرواية تتحدث عن الاسلام .. فهناك ذكر للصلوات الخمس ، واستعمال المسواك والحج ، وجبل عرفات .. أى أن افتتاحية الرواية يمكن أن نقول عنها انها افتتاحية اسلامية ، خاصة وان «جويس» اتى على ذكر سور القرآن الكريم التى يبلغ عددها ١١٤ سورة .. مع بعض مقتطفات من الآيات القرآنية .

وعلى سبيل الاختصار .. اقول لك إن «جويس» كان يعتبر روايته «فينيجانز ويك» معجزته فى عالم الابداع الفنى ؟

- وبرغم ذلك لم يخل «جويس» بمقاييس الابداع الفنى ؟

ـ ابداً ..

- أليس هناك زوائد او حشو فى اعماله الابداعية ؟

ـ لا .. وإذا وجدت فان «جويس» يضعها عن عمد .. بعد الساعة الثانية عشرة (أى بعدمنتصف الليل) وتكون الشخصيات ، فى عالم جويس الروائى ، قد أرهقت ، وبالتالى تكون سيطرتها على اللغة قد ضعفت .. والعكس صحيح ، فبعد استرداد الحيوية والطاقة يصفو الذهن ، ويتجدد نشاطه .

وكما يقول وليم جيمس : إنك بعد الارهاق تعود الى حالة الصحو ، وينفتح باب «مستودع» المعلومات والخبرة ، وتنتعش الذاكرة ، ويبدأ المبدع فى استغلال «المستودع» ..

هذا هو ما فعله «جويس» .. فالارهاق ينعكس على اللغة .. والصحو ينعكس عليها أيضاً .. ففى لحظات انتعاش الذهن كتب الفصل العلمى .. وهو فى هذا يطبق ما قاله وليم جيمس .

● ما هو السبب الجوهرى الذى جذبك الى عالم جويس ، ومرافقته على امتداد هذه الأعوام الطوال ؟

ـ جذبتنى عملاقيته وسط الروائيين والمبدعين .. سواء الانجليز أو الأمريكان ..

إنه يذكرك بـ «كولن ولسن» فى تشرده وصعلكته .

وأنا مندهش كيف كان يجد «جويس» كل هذا الوقت للقراءة .

عالم «جويس» عبارة عن صعلكة مع احساس شديد بالتفرد .

لقد خرج «جويس» من ايرلندا وقد أقسم على تعرية كل شىء فيها ..

لقد كرمت ايرلندا «ييتس» ولم تكرم «جويس» مما ولد لديه نوعاً من المرارة والسخرية انعكست على كتاباته .

● هل بامكان المؤرخ الاستفادة من عالم «جويس» الروائى ؟

ـ نعم ..

إذا أردت أن تعرف أسعار المشروبات ، والملابس والعقارات .. ونسبة العوائد .. بدقة .. فاقرأ جويس .

كما أن لدى جويس «مستودعاً» ضخماً للمعلومات الرياضية والفيزيائية والموسيقية ، والهندسية والحسابية .

وفى اعتقادى فان «جويس» كان يسخر من المنادين بالواقعية المفرطة وكأنه كان يقول لهم : هل تريدون واقعية مفرطة ؟ هذه هى بضاعتى من الواقعية المفرطة .. ؟؟!!

● هل كان جويس يتبنى موقفاً طبقياً أو سياسياً محدد الملامح ؟

ـ لا ..

لكنه اتهم مرة ، من جانب الراسماليين ، بانه شيوعى ، لأن كل شخصياته من الطبقة الوسطى ، كما غضب منه الشيوعيون واتهموه بانه يكتب منطلقاً من نظرية الفن للفن ، وقال «جويس» لهم : لماذا تغضبون منى ؟ أنتم بالذات لا ينبغى أن تغضبوا منى لأن «أغلى» شخصية عندى لا تساوى أكثر من خمسين جنيهاً ..؟؟!!

جويس وبروست

وقد قابل الروائى «بروست» صدفة ودار بينهما الحوار التالى ، وكلنا يجلسان فى أحد المشارب .. قال جويس لبروست :

ـ هذه النافذة ياتى منها هواء بارد .. هل تسمح لي باغلاقها ؟

فقال له بروست : تفضل .. أغلقها .. !

وكان هذا هو محتوى الحوار بين الروائيين العملاقين .. !

● د. طه .. الى أى مدى تأثر الروائيون الأجانب والعرب بعالم «جويس» الروائى ؟

ـ الحقيقة ان الروائيين (أجانب كانوا أم عرباً) تأثروا بعالم «جويس» الروائى تأثراً كبيراً .

الروائى الانجليزى المعاصر «انتونى دورجس» كتب رواية Clock work orange وحاكى فيها رواية جويس «فينيجانز ويك» من زاوية توليد لغة جديدة ، فزاوج بين اللغة الانجليزية والروسية ، وفى نهاية الرواية وضع قائمة للكلمات والتعبيرات التى زاوج فيها بين الانجليزية والروسية .

وهذا يذكرنا بالهوامش والتذييلات التى وضعها إليوت لقصيدته الشهيرة «الأرض الخراب» ..

كما أن «جورج أورويل» فى روايته التى كتبها عام ١٩٤٨ وسماها (١٩٨٤) أو «نينتين إيتى فور» ذيل روايته بقاموس صغير أطلق عليه اسم اللغة الجديدة .

سانت اكزوبيرى .. الفرنسى تأثر به أيضاً ..

والرسامون والسينمائيون تأثروا به كذلك ..

أما فى مجال اللغة ، واللعب باللغة ، والتوليد اللغوى والمزاوجة بين اللغات ، والتصرف فى الحبكة والشكل والمضمون الروائى ، فقد ترك جويس على كل هذا بصمات بارزة .

تكنيك النظام داخل الفوضى

● هل معنى ذلك أن لغة «جويس» لا تحمل قدراً من الترابط .. ولنقل الترابط الظاهرى توخياً للدقة ؟

ـ «جويس» كان يكتب بتكنيك النظام داخل الفوضى

وعليك ، عند قراءة «جويس» أن تمسك بمفاتيح «التيمات» وانسجامها الباطنى ، لأنه يكرر وحدات منسجمة إذا دققت النظر فيها أمسكت بمفاتيحها ..

وهذا التكنيك ينسجم مع روح العصر الحديث .. وينطبق على الفيزياء والأدب والرسم والموسيقى .. وغير ذلك من الفنون البصرية والسمعية .

● نعود الى الروائيين العرب .. من منهم تأثر بـ «جويس» ، واستفاد بفنه ؟

ـ كل من استخدم تكنيك «تيار الوعى : فى الكتابة الروائية » .. مثل نجيب محفوظ ويوسف ادريس وغيرهما تأثر به ..

أقصد .. إن أى واحد من الروائيين العرب لم يتأثر بـ «جويس» نفسه .. وإنما سمع عن «تيار الوعي» .

● هناك شك أن نجيب محفوظ قرأ «جويس» بدقة وشمولية ؟

ـ هذا صحيح ..

لا أظن أن «نجيب محفوظ» قرأ «جويس» استيعاباً وتفصيلا .. لكنه قرأ فرجينيا وولف (تلميذة جويس) ، وقرأ ما كتب عن تيار الوعي ..

● كلمة أخيرة .. عن جويس .. ؟

فى اعتقادى .. أن «جويس» بتمايزه وتفرده وشموليته سيظل يتحدى «المعاصرين» ، فى هذا الجيل ، والأجيال القادمة .

محمد يوسف ـ الكويت

د . طه محمود طه :

● أستاذ الأدب الانجليزي الحديث بكلية الآداب ـ جامعة الكويت .

● من مواليد مدينة طنطا (مصر) في ٢٣ سبتمبر ١٩٢٩ .

● حاصل على درجة الدكتوراه من كلية « ترينيتي » ـ جامعة دبلن (ايرلندا) في فبراير عام ١٩٦١ .
وكان موضوع رسالته : المفكر والأديب « الدوس هكسلي » .

● عمل بجامعة « عين شمس » (بمصر) من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٦ ، وبجامعة أسيوط من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٦٨ ، ثم بجامعة الكويت من عام ١٩٦٨ وإلى الآن .

● من إنجازاته الابداعية المشهورة ترجمته لرائعة « جيمس جويس » يوليسيس Ulysses والتي ترجمها تحت عنوان « عوليس » ، والمرجع الأكاديمي الببلوجرافي النقدي التوثيقي (موسوعة جيمس جويس) التي أصدرها في عام ١٩٧٥ .

النظام الاقتصادي في الإسلام

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

وضع الاسلام المبادىء العامة والقواعد الشاملة لحياة اجتماعية سليمة . وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات . وهو بهذا الشمول ، وهذه المرونة ، قد كفل لأحكامه التطبيقية النمو والتجدد ، ومسايرة ظروف الحياة المتغيرة .

وقد ظلت الانسانية دهوراً طويلة تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية تنكر احداهما لتثبت الاخرى ، او تعترف بوجودهما فى حالة تعارض وخصام ، حتى جاء الاسلام فاذا هو يعرض فكرة جديدة كاملة ومتناسقة فجمع بين الدنيا والآخرة فى نظام الدين ، وبين الروح والجسد فى نظام الانسان ، وبين العبادة والعمل فى نظام الحياة . وعن تلك المواءمة الحكيمة بين العقيدة والسلوك ، وبين مايتصل بالروح وما يتصل بالمادة ، تصدر تشريعاته وفرائضه ، وتوجيهاته وحدوده ، وآراؤه فى سياسة الحكم وسياسة المال . وهذه السياسة تنطوى على عدالة انسانية واجتماعية شاملة ، لاعدالة اقتصادية محدودة .

والعدالة فى نظر الاسلام مساواة انسانية ينظر فيها الى تعادل جميع القيم ، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة ، وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص ، وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحدود التى لاتتعارض مع الاهداف العليا للمجتمع . قرر الاسلام مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحاً للتفاضل بالجهد والعمل ، واتاحة الفرص المتساوية للجميع معناها ألا يقف امام اى فرد حسب ، ولانشاة ، ولاأصل ، ولاجنس ، ولاقيد واحد من القيود التى تغل الجهود .

والتسوية بين الناس هى مظهر احد الاساسين اللذين قام عليهما الاسلام ، وهما التوحيد والعدل ، وقد سار النبى فى اصحابه بمكة ثم المدينة مسيرة قوامها العدل فى الجليل من امرهم والخطير ، حتى استقر فى نفوس المسلمين أن العدل ركن أساسى من أركان الاسلام ، وان الانحراف عنه انحراف عن الاسلام ، والاخلال به اخلال بالدين ، والذين قرأوا سيرة النبى الكريم وسنته يعلمون انه لم يكن يؤثر نفسه بخير دون اصحابه ، إلا أن يؤثره الله بهذا الخير فى أمر يوحيه اليه فى القرآن ، وانتقل الى جوار ربه وهو لايملك من الدنيا بيضاء ولا صفراء .

وسار ابو بكر الصديق سيرة النبى نفسه ، فتحرج أن يموت وعنده من أموال المسلمين شىء ، وأوصى أهله أن يردوا على عمر هنات كانت عنده من أموال المسلمين .

أما عمر فقد أرانا من ذلك مالا تصدقه النفوس : لقد أبى حين رأى الشدة التى نزلت بالمسلمين فى عام الرمادة ، الا أن يشارك الناس فى شدتهم . فعرف أن عامة الناس من حوله لايجدون السمن فحرم السمن على نفسه ، وصبرها على الخبز الجاف والزيت . وقد أثر ذلك فى صحته ، فتغير لونه ، وعرف المسلمون ذلك فلم يستطيعوا أن يردوه عنه ، لأنه أبى أن يخصب حتى يخصب عامة الناس .

أسس العدالة الاجتماعية

واذا بحثنا عن الأسس العامة التى أقام عليها الاسلام بناء العدالة الاجتماعية ، وجدنا أنه يمكن اجمالها فى ثلاثة :

- التحرر الوجدانى .
- المساواة الانسانية الكاملة .
- التكافل الاجتماعى .

وقد ذهبت المسيحية الى أن التحرر الوجدانى هو التحرر من لذائذ الحياة وشهواتها . والتوجه الى ملكوت الله فى السماء . وهذا حق ولكنه ليس الحق كله .

فدوافع الحياة لاتقهر فى جميع الاحوال . والحر الوجدانى الذى يدعو اليه الاسلام معناه الاعتزاز بالنفس والحرص على طلب الرزق « دون فقدان الكرامة » . وعدم الشعور بالخوف عند المطالبة بالحق .

واذا استشعر الضمير البشرى هذا التحرر الوجـــدانى ، فســـيطلب حقه فى « المساواة » ، وسيجاهد لتقرير هذا الحق ، ولن يقبل عنه بديلا . وقد قرر الاسلام مبدأ المساواة فى الوقت الذى كان يباح فيه للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم لانهم من نوع آخر غير نوع السادة . فى هذا الوقت جاء الاسلام ليقرر المساواة أمام القانون وأمام الله . فى الدنيا وفى الآخرة ، لافضل إلا للعمل الصالح « لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى » .

اما التكافل الاجتماعى فيضع فى اعتباره أن للفرد ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عنـد حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لابد أن تنتهى عندها حرية الافراد . ولذا يقرر الاسلام مبدأ التكافل بين الفـرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الجيل والاجيال المتعاقبة .

وقيمة التكافل فى محيط الأسرة أنه قوامها الذى يمسكها ، لأن الاسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع . ومن مظاهر التكافل العائلى فى الاسلام نظام الميراث .

أما التكافل بين الفرد والجماعة فانه يوجب على كل منهما تبعات ويرتب لكل منهما حقوقاً . فكل فرد مكلف أولا أن يحسن عمله الخاص . لأن ثمرة العمل الخاص ملك للجماعة . وكل فرد مكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها . والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة فى حدود البر والمعروف . والأمة مسئولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم . وعليها أن تحفظ لهم أموالهم حتى يرشدوا وهى مسئولة عن فقرائها ومعوزيها بان توفر الرزق بما فيه الكفاية . فتتقاضى اموال الزكاة ، وتنفقها فى مصارفها ، فاذا لم تكف فرضت على القادرين بقدر ما يسد عـوز المحتاجين ، بلا قيد ولا شرط الا هذه الكفاية . فالأمة الاسلامية كلها جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وهكذا نرى أن الاسلام حينما حاول أن يحقق العدالة الاجتماعية كاملة ارتفع بها عن أن تكون عدالة اقتصادية محدودة ، فجعلها عدالة إنسانية شاملة ، وأقامها على ركنين قويين : الضمير البشرى من داخل النفس ، والتشريع القانونى فى محيط المجتمع .

ويسير الاسلام فى سياسة المال على هدى فلسفته العامة ، وفكرته الشاملة ، يلاحظ مصلحة الفرد ويحقق مصلحة الجماعة ، وهو يتبع فى تحقيق هذه السياسة وسيلتيه الأساسيتين : التوجيه والتشريع .

ويعتبر الاسلام المال ، فى ذاته ، فتنة خلقها الله ليمتحن بها البشر فينظر كيف يعملون . فقد يكون اداة يسخرها الانسان لخدمة الناس واسعاد حالهم ، وتعميم الخير بينهم . وقد يستخدمه ، بعكس ذلك لايذاء الناس والاضرار بهم والضيق عليهم وفى القرآن الكريم آيات تنظر الى المال على انه ابتلاء وفتنة : « واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ، وأن الله عنده اجر عظيم » كما أن هناك آيات تعتبره نعمة وفضلا : « ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهارا » « المـال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

بين هاتين الصفتين يقف المرء حائراً ماذا يصنع ؟ ولكنه يهتدى الى طريق الصواب حين يدرك أن الدين يدعو الى تهذيب الطبيعة ، وعدم ترك الحبل على الغارب . فالمال وسيلة ، واذن يجب الا يتخذ غاية . لذلك حرم الاسلام الربا حتى لايكون ـ كما قال الغزالى ـ وسيلة لاستجماع المال واكتنازه دون أن تعم الاستفادة منه فى الامة . وقد انذر القرآن من يكنزون الأموال ويحبسونها بقوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكـنزون » . ويحرم الاسلام تكتيل الأموال الى أن تصبح فى يد اقلية تتداولها بينها ويحرم منها عموم الامة ويحث على أن يقسم الفيء بين جميع الأفراد ، معللا ذلك بقوله تعالى : « كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم » ، أى حتى لايصبح المال المكتسب مقصوراً على ذوى الثراء يتداولونه فيما بينهم دون أن يشيع تداوله بين الجميع .

ذلك أن تضخم المال فى جانب ، وانحساره فى الجانب الآخر مثار مفسدة عظيمة ، فوق ما يثيره من احقـــاد. فالمحرومون الـــذين لايجدون ما يسعفون ، إما أن يحقدوا على ذوى الثراء الفاحش ، وأما أن تتهاوى نفوسهم وتتهافت ، وتتضاءل قيمتهم الذاتية فى نظر انفسهم . فتهون عليهم كرامتهم أمام سطوة المال .

ويبيح الاسلام لكل فرد أن يكتسب ، ويحثه على ذلك ، بل يريد منه أن يكون غنياً شاكراً ، لكنه لايسمح له باستعمال ما اكتسبه وفق ما تريده اهواؤه وطبيعته . ذلك المال فى نظر الاسلام « مال الأمة كلها » وهو قوام المجتمع باسره فلا ينبغى أن يصرف فى غير الوجوه التى تعود على المجتمع بالمنفعة .

والفرد اشبه بالوكيل فى هذا المال عن الجماعة ، وحيازته له انما هى « وظيفة » اكثر منها « امتلاكاً » ، اذ أن المال فى عمومه انما هو حق للجماعة ، والجماعة مستخلفة فيه عن الله ، الذى لامالك لشىء سواه : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . (سورة الحديد ٧٠)

وشرط بقاء هذه الوظيفة ، هو الصلاحية للتصرف . ولذا كان لولي الأمر أو للجماعة استرداد حق التصرف من السفيه : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم» (النساء : ٥) فحق التصرف مرهون بالرشد ، واحسان القيام بالوظيفة . وما من شك فى أن شعور الفرد بانه مجرد موظف فى هذا المال ، الذى هو فى أصله ملك الجماعة ، يجعله يتقبل الواجبات التى يضعها التشريع الاسلامى على عاتقه ،والقيود التى يحد بها تصرفاته كما أن شعور الجماعة بحقها الأصيل فى هذا المال ، يجعلها أكثر جراة فى فرض الفروض ، وسن الحدود .

وقد ترتب على هذا المبدأ تحريم الاسلام لكل نفقة تعود بالضرر على صاحبها أو على أسرته ، أو على المجتمع فالقمار محرم وتبذير الثروة فى اللهو محظور ، والتحلى بالذهب والفضة والحرير لا يباح للرجال ،

النظام الاقتصادي في الإسلام

واتخاذ أوانى الذهب والفضة لا يسمح به ، والتباهى فى تزيين المساجد وتحلية جدرانها ، وتشييد الأضرحة وتانيقها كل ذلك مكروه .

وللانسان أن ينفق ما اكتسبه على حاجته وحاجة ذويه دون بخل ولا اسراف «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» . وله أن يستغل فضول ماله فى الفلاحة أو التجارة ، ولكن بشرط الا يتجاوز فى ذلك حدود التوجيهات الشرعية التى تدور كلها على اعتبار المال وسيلة ، فاذا توفر من هذه المعاملات ربح كبير يتجاوز الذى يحتاجه أصحابه ، فان الاسلام يوجب الانفاق على الأهل والأقارب المحتاجين ، ثم يحث على الانفاق فى سبيل الله .

ولكن من الناس من يفضلون ادخار القليل أو الكثير مما فى أيديهم ، ويعتبرون ذلك فضيلة اجتماعية مشكورة . وهنا يتدخل التشريع الاسلامى بحل اجتماعى عادل ، وهو الزكاة .

الزكاة

الزكاة هى حق المال ، وهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى . وكلمة الزكاة معناها الطهارة والنماء ، فهى طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض ، وهى طهارة للنفس والقلب من فطرة الشح وحب الذات ، وهى طهارة للمال باداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا .

والزكاة حق الجماعة فى عنق الفرد ، لتكفل للمحتاجين الكفاية ، وشيئا من المتاع بعد الكفاف أحيانا . وبذلك يحقق الاسلام جزءا من مبدئه العام : «كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» . فالاسلام يوجب ، أولا ، أن ينال كل فرد كفايته من جهده الخاص حين يستطيع ، ثم من مال الجماعة حين يعجز لسبب من الأسباب . ويكره الاسلام أن تكون فوارق الطبقات بين الامة بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف ، وتعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف ، ثم أن تتجاوز الشظف الى الحرمان والجوع والعرى . يكره الاسلام هذه الفوارق لما وراءها من احقاد تحطم أركان المجتمع ، ولما فيها من اضرار المحتاجين ، إما الى السرقة والغصب ، وإما الى الذل وبيع الشرف والكرامة ، وكلها منحدرات يتجافى الاسلام بالجماعة عنها .

ولهذه المعانى جميعها شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها فريضة فى المال ، وحقا لمستحقيها لا تفضلا من مخرجيها ، حقا تتقاضاه الدولة بحكم القانون . ولكنه راح يحفز الوجدان على أداء هذا الحق ، حتى يجعل اداءه رغبة ذاتية من القادرين على الأداء ـ فالزكاة ركن من أركان الاسلام ، وضرورة من ضرورات الايمان : «وقد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون» (سورة المؤمنون) . فاذا لم يحفز الضمير الى تادية هذا الفرض ، فللامام أن يقاتل الناس ليجبرهم عليه ، بل ان الاسلام جعل للامام الحق فى أن ياخذ بعد الزكاة ما يمنع به الضرر ، ويرفع به الحرج ، ويصون به المصلحة لجماعة المسلمين ، فليست الزكاة وحدها هى حق المال ، بل انها الحد الأدنى المفروض حين لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلة الزكاة . فاما حين لا تفي ، فان الاسلام لا يقف مكتوف اليدين ، بل يمنح ولي الأمر سلطات واسعة للأخذ من رؤوس الأموال بقدر معلوم فى الحدود اللازمة للاصلاح ، ويروى عن الخليفة عمر «أنه قال فى عام الرمادة : «لقد هممت أن أنزل على كل بيت مثل عددهم ، فان الرجل لا يهلك على نصف بطنه» . واستنبط الفقهاء من ذلك أن لولي الأمر فى أيام المسغبة أن يوزع الفقراء على أهل السعة بقدر لا يجحف بهم .

نظام الميراث

ويشرع الاسلام نظاما اخر من اجل اتمام التوزيع للثروة الفردية ، وعدم تكتيلها فى أيد قليلة ، ونعنى به نظام الميراث .

فبينما نجد عددا من التشريعات عند الأمم الأخرى تجعل الميراث من اختصاص الابن الأكبر استحسانا منها للاحتفاظ بالثروة متجمعة ، وبينما اعتبرت استمرار الثروة فى يد الابن الأكبر ضمانا لاستمرار العائلة ـ بينما نجد ذلك فى الأنظمة الوضعية ـ حتى الديمقراطية منها ـ ، نجد الاسلام يجعل تركة المتوفى ميراثا للورثة ، يقتسمونها بينهم . وهؤلاء الورثة معينون ، حسب نظام دقيق وردت تفاصيله فى آيتي الميراث (سورة النساء) . وهذا النظام له حكمته وله مبرراته . كما اباح الشرع «الوصية» فيما لا يزيد عن ثلث التركة ، وذلك لتلافى بعض الحالات التى تحرم فيها من الارث أقرباء توجب صلتهم أن يكون لهم نصيب . ولكن درجتهم تجعل غيرهم من الورثة يحجبونهم عن الميراث ، وهى بهذا الاعتبار وجه من وجوه البر والصدقة . ولا يحق لواحد من الورثة ان يجمع بين مال الميراث ومال الوصية ، «فلا وصية لوارث» .

فاذا لم يخلف المتوفى وارثا قريبا او بعيدا فان بيت المال يرث ما يتركه . ولذلك ، فالثروة مهما عظم مقدارها فانها بنظام الميراث هذا تتوزع بعد ثلاثة مواريث وتصبح عامة ، مقسمة كما كانت قبل اكتسابها . وبذلك يتحقق المبدأ العام الذى يسيطر على سياسة المال ، ونعنى به الحيلولة دون تكدس الثروات ، ويكون نظام الميراث الاسلامى على هذا النحو ، اداة لتفتيت الثروات المتضخمة على توالى الأجيال ، فالملكية الواحدة تنتقل الى العديد من الذرية والاقارب بمجرد وفاة المالك ، فتستحيل الى ثروات متوسطة او صغيرة .

هذا بالاضافة الى ما يحققه نظام الميراث من التكافل العائلى ، ومن مراعاة التكافؤ بين الجهد والجزاء . فالوالد الذى يعمل ، وفى شعوره أن ثمرة جهوده لن تقف عند حياته القصيرة المحدودة ، بل ستمتد لينتفع بها ابناؤه ـ هذا الوالد يبذل اقصى جهده ، فى العمل والانتاج ، وفى هذا مصلحة له ، وللدولة وللانسانية . كما أن فيه تعادلا بين الجهد الذى يبذله والجزاء الذى يلقاه ، فابتاؤه جزء منه يشعر فيهم بالامتداد والحياة .

نظام الملكية

يقر الاسلام الملكية ، ولكنه مع ذلك يسعى لتضييق نطاقها خشية أن تصرف صاحبها عن الرشد ، فيحيد عن طريق الصواب . وهى ميزة امتاز بها الاسلام عن كثير من الأديان الأخرى ـ فالبرهمية بالهند مثلا تعتبر أن السعى لامتلاك الثروة إثم . والبوذية تعد حياة عامة الناس من اتباعها الذين يملكون ويباشرون المهن أحط منزلة من حياة الرهبان الذين يحرم عليهم ملك شيء أو مباشرة مهنة . واذا كانت اليهودية لم تغل فى هذا الامر غلو البرهمية والبوذية ، إلا أنها أيضا لم تكن تنظر الى اقتناء الثروة أو مهنة التجارة بعين الرضا واكتفت فقط بتحبيذ الزراعة . لذلك كان اليهود ينظرون الى التاجر نظرة احتقار الى

● قيمة التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يمسكها . لأن الأسرة هي اللّبنة الأولى في بناء المجتمع. ومن مظاهر التكافل العائلي في الإسلام : نظام الميراث.

● الزكاة هي حق المال . وهي عبادة من ناحية. وواجب اجتماعي من ناحية أخرى .. وكلمة الزكاة معناها طهارة الضمير والذمة بأداء الحق المفروض

درجة كبيرة ويسمونه «كنعانى» . وفى «سفر المكابين» ذكرت الزراعة ولم تذكر التجارة . كذلك كانت المسيحية الأولى ترى فى ملك الأرض والرقيق عقاب الله النازل على المالك لمعاصيه . وحرمت على الرهبان وعامة الناس من النصارى ، التجارة والربا وملك الثروة .

والحق أن تحريم الملكية لا يلائم طبع الانسان ، لأن التفكير فى مستقبله ومستقبل ذريته من صفاته الطبيعية . وان ما وصل اليه علماء الاقتصاد فى الغرب ، وفى العصر الحاضر ، بعد نقاش طويل ، ورد وقدح بين الآراء والأفكار والنظريات حول تحديد الملكية . كل هذا قد عالجه التشريع الاسلامى ووضع مبادئه قبلهم بقرون .

فالاسلام لا يحول بين الناس وبين الملكية الفردية بوسائل التملك المشروعة . فهو يعطى المالك حق التصرف فى ملكه بالبيع والاجارة والرهن والهبة والوصية .. الى آخر حقوق التصرف الخلال ، وفى نطاق الحدود التى سنها للتصرفات .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين الجهد والجزاء ، فوق مسايرته للفطرة ، واتفاقه مع الميول الأصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول التى يحسب الاسلام حسابها فى اقامة نظام المجتمع .

ولكن الاسلام لا يدع حق الملكية مطلقاً بلا قيود ولا حدود . فهو يقرره ويقرر بجواره مبادىء أخرى ، تكاد تحيله حقا نظرياً لا عملياً . ومصلحة الجماعة كامنة من وراء هذا كله .

ويرى الأستاذ « شارل جيد » وغيره من علماء الاقتصاد أن منشأ حق الملكية هو الاستيلاء ولكن الشرع الاسلامى لا يقول بالاستيلاء المطلق ، ويرى أن استيلاء الغاصب على المغصوب لا يثبت حق الملكية ، كذلك لا يوجد ذكر للعمل كاساس للملكية ، لا فى نصوص القانون الرومانى ، ولا فى مواد القانون الفرنسى المدنى . ولكن الشريعة الاسلامية لم تقتصر على ذكر العمل كمصدر للملكية فحسب ، بل رجحته على جميع المصادر الاخرى : ففى الحديث الشريف «ما اكل احدكم طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» .

مصادر الملكية

وبينما يرى معظم رجال الاقتصاد فى الغرب أن أهم مصادر الملكية المعترف بها لدى القانون ثلاثة : الاشتراء ، والهبة ، والارث (سواء بوصية أو بغير وصية) . نجد أن هذه المصادر لدى الشريعة الاسلامية كثيرة ، فمنها : الكسب ، والاشتراء ، والمعاوضات المالية (مثل أجور الخدمة ، وضمان التلف وغيرها) ، والمهور والخلع (وهو ما يدفعه الزوج عند التطليق) والميراث ، والهبات ، والصدقات ، والوصايا والوقف ، والغنيمة ، والاحياء (أى احياء الأرض الموات) ، والاقطاع (أى اقطاع الأرض لأحد من قبل الامام) ، ودية القتيل وغيرها . ولا يدخل عن طريق تلك المصادر شيء فى ملك الانسان إلا باختياره ، ما عدا بعض الأشياء فانها تدخل ملكه دون اختياره ، قبلها أو لم يقبلها ، مثل الارث ، وغلة الوقف يملكها الموقوف عليه وان لم يقبل . وكثرة تلك المصادر تدل على حرص الشريعة الاسلامية على تعدد المسالك لادالة الثروة بين طبقات الأمة المختلفة ذكوراً وإناثاً .

والاسلام يرى أن التفاوت فى قسمة الثروة بين أفراد الشعب راجع الى التفاوت الخلقى الموجود فى قوى الأفراد المختلفة ، ومصدر مشيئة الله ، وليست الملكية الخاصة . ففى القرآن الكريم : «والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق» (سورة النحل : ٧١) وقد اعترف بهذا التفاوت الخلقى ، بعض كبار رجال الاقتصاد فى العصر الحاضر ، ومنهم الاقتصاديان الانجليزيان الفرد مارشال ، واللورد كينز . فقد اعترف الأول أن التفاوت بين الناس فطرى لا يمكن اقصاؤه كاملا . وهو يرى أن الفقر يرجع الى ضعف ، إما فى جسم الانسان أو فى عقله أو اخلاقه . أما الثانى ، وهو الذى كان لآرائه وأفكاره اثر بليغ فى النظم الاقتصادية فى أوروبا وأمريكا فى العصر الحاضر ، فقد عد هذا التفاوت مصدراً لاختلاف أحكام الناس بشان توفير المال واستثماره في المشروعات الخاصة .

وسائل التملك الفردي :

ولما كان العمل ـ كما قدمنا ـ هو الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك في الاسلام ، فقد عدد الشرع عدداً من انواع العمل المشروع التي تعطي هذا الحق . نذكر منها :

● الصيد : وهو الوسيلة البدائية الأولى في حياة البشرية .

● احياء الموات من الأرض التي لا مالك لها : باية وسيلة من وسائل الاحياء ، ولابد من أن يقوم الفرد باحيائها في ظرف ثلاث سنوات من وضع يده عليها ، والا سقط حق ملكيته لها .

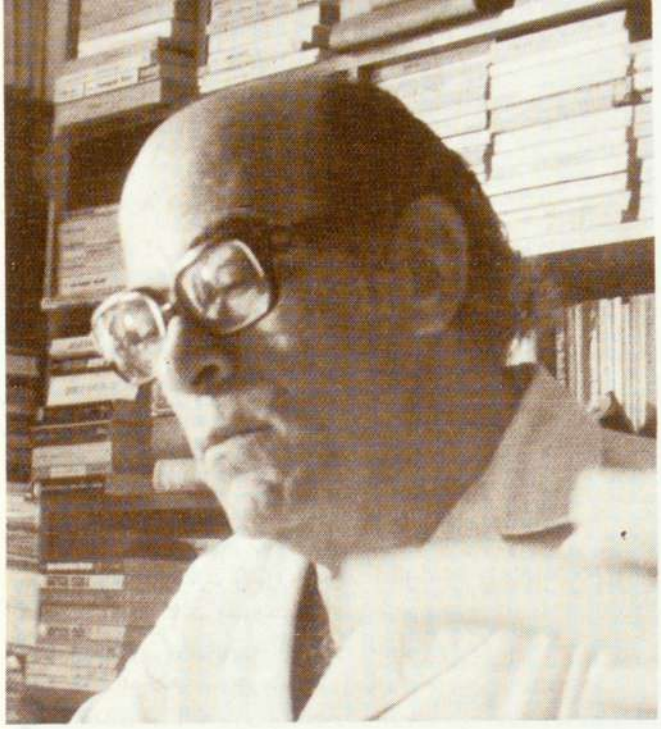
● استخراج ما في باطن الأرض من المعادن : وهذا العمل يجعل اربعة اخماس ما يستخرج من معدن ملكاً لمن استخرجه . والخمس للزكاة .

● الغزو : وينشأ عنه ملكية السلب ، وهو كل ما مع القتيل الذي يقتله مسلم . كما تنشأ عنه ملكية الغنيمة ، واربعة اخماسها للمحاربين وخمسها لله وللرسول : « واعلموا انما غنمتم من شيء ، فان لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » (الأنفال : ٤١)

● العمل باجر للآخرين : فالاسلام يحترم هذا العمل ويعظمه . ويروى أن الرسول قبل يدا ورمت من كثرة العمل وهو يقول ـ « تلك يد يحبها الله ورسوله » . كما يدعو الى توفية العامل اجره معجلا كاملا غير منقوص ، وفي الحديث الشريف : « اعطوا الاجير حقه قبل أن يجف عرقه » ولقد طلب الاسلام الى العامل ، في مقابل هذه العناية بحقه أن يقوم هو من جانبه بتجويد العمل واتقانه « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وما دام العمل هو اساس التملك ، فتقرير حق الملكية الفردية في الحدود التي بينها لا يضار به أحد ، بل يصبح مجالا لحث الفرد على بذل اقصى الجهد ليرضي رغبته في التملك ، ما دام يعمل في الحدود المشروعة .

بقيـــة الدراســـة
في العدد القادم



إدوار الخـــراط

ماجـــد يوســـف

حوار مع القـــاص والروائي
إدوار الخـــــــراط

حول أزمة العقل العربي

تتمثل فى الحوار مع الفنان الرائد والمثقف العربى المعروف إدوار الخراط ـ ولو كان حواراً جافاً حول «أزمة العقل العربى» ـ تلك الخصائص والسمات التى يستشفها المرء من حواره الحميم والخاص مع أعماله الابداعية فى القصة والرواية . فهو من هذا النوع النادر من المثقفين والفنانين والمفكرين الذين تتبلور فى كافة ما يصدر عنهم من ابداعات وتصريحات وحوارات وكتابات نقدية .. وحدة موقفية شديدة الاتساق تنجم بدورها عن رؤية واضحة ومحددة ولا لبس فيها من أى نوع . وهذه الرؤية المحددة لا تعكس جموداً ما ـ كما قد يبدو لوهلة ـ بقدر ما تشى بقدرة هائلة على الاحاطة الواسعة بآفاق هذه الرؤية حتى آخر نقاطهـــا البعيدة . ولذلك فأنت حين تقرأ له قصة أو رواية تحاوره حواراً اكتشافياً يمتلىء بالجدة والخصوبة والامتاع ، وحينما تحاوره فعلا حول أى موضوع يعن لك .. حواراً حياً مباشراً .. فأنت تدخل ـ وبدون أن تدرك ذلك تماماً ـ فى مناخ إبداعى لاشك فيه ! .

وهنا لابد لك أن تتساءل .. هل ثمة علاقة بين «ابداع الحوار» فى لقائك الشخصى به وبين «حوار الابداع» فى لقائك بعمله الفنى وأظن أن الاجابة تتلخص فى أن ادوار الخراط ذو قوام فكرى شديد الانضباط مع نفسه أولا ، ومع الآخرين بالضرورة . هذا القوام يعتمد الدقة فى العبارة ، والاناة فى اختيار اللفظة ، والتكثيف الذى ينأى عن خبث التزيد ، والتحديد الصارم المبتعد عن ميوعة ترهل العبارة ، والخلق الدؤوب للغة جديدة .. لا للفن فقط ، وإنما للفكر أيضاً .. ولذلك فادوار الخراط يبدع محاوراً (حينما يتكلم) ويحاور مبدعاً (حينما يكتب) . هى حالات متنوعة لحضور واحد . وربما يكون السبب الثانى لهذا الحضور المتسق والشديد التناغم عند ادوار الخراط ـ محاوراً ومبدعاً وناقداً .. الخ ـ حضور «الآخر» دائماً فى مقدمة وعيه .. وهو يعطى هذا «الآخر» (كموضوع أساسى لتجليات «الذات») ـ فناً وفكراً ـ مكان الصدارة فى ابداعاته جميعها . ومع انه من المستحيل فى هذه العجالة الاحاطة بعالم فنان كبير ومثقف ضخم كادوار الخراط ، فهذا كتاب وحده ، ومهمة صعبة ليس من السهل أن ينبرى لها ناقد واحد ، بالاضافة الى أنه ليس موضوع حوارنا معه ، إلا انه يبقى من الاهمية بمكان الاشارة ـ مجرد الاشارة ـ الى بعض الخصائص والسمات التى ألمحنا الى وجودها فى بدء هذه المقدمة ، كمقومات ومحاور تحكم رؤيته الفكرية والفنية فى أعماله الابداعية ، وكتاباته النقدية ، وحواراته الفكرية جميعاً .

وأهمية هذه الاشارة تنبع من مسألتين :

أولاهما أنها تؤكد على عامل الوحدة فى الرؤية والنظر فى كل ما يصدر عنه من فن وفكر ، وثانيتهما أنها تحدد لنا آفاقاً مبدئية لحوارنا معه .

فادوار الخراط ـ فناً وفكراً ـ حالة مستمرة من التوق المحموم الى «الاقتراب من روح العصر» .. «الاقتراب من خصائص المكان والزمان الذى نعيش فيه» .. ونشدان لاينى للحرية ، الحرية المتحققة والمحبطة معاً ، وسعى لاعج دائب لا يتوقف أبداً نحو

«الحقيقة» . وهذا السعى هو مناط الصدق الفنى عنده . كما يرتبط الخراط ارتباطا حميما .. «بما هو مقوم للانسان .. حريته التى لا يمكن أن تهدر .. توقه الى العدالة والى الجمال .. مأساته الكونية المحتومة كانسان .. وقدره المجيد فى مجابهتها» . ولادوار الخراط علاقة خاصة ومتميزة وشديدة الخصوصية والفرادة باللغة العربية .. فهو عميق الايمان بها ، وعميق العشق ايضا ، يوقن انها شديدة الغنى ، وصارمة الدقة ، وبارعة المدخل الى النفس. ويرى انها الاداة والخامة التى يصوغ منها الكتب وبها عمله ، إن لها أهمية قصوى عنده . وليس مناط هذه الاهمية مناطا شكليا خارجيا ، فلا فكر ولا حس بدون لغة ومسعاه الدائم هو فى أن ينطق هذه اللغة بحساسيته وفكره فى سياق العصر بل وسياق المستقبل ايضا ، ولا يمكن أن تحمل هذا الوعد لغة مكرورة ومعادة ومستهلكة ، ولذلك فهو يدمر وينسف القوالب اللغوية المصطلح عليها . إنه يمارس نوعا من التفجير للأبنية التى يتقلص تحتها الفكر والحس ، محاولا أن يجد بين انقاض هذه الركامات الجوهر الثمين الحي . وليس الأمر مجرد تفتيت وانفلات بقدر ما هو «فتح لأبواب موصدة تضرب وراءها سيول عارمة تريد أن تندفق» .. ويريد لها الخراط أن تندفق «وفقا لقانونها الخاص وحريتها الخاصة» .

إدوار الخراط .. أب من آباء القصة والرواية العربية الحديثة ، ولا يسع أى تاريخ ادبى منصف وذو قيمة للحداثة أو للحساسية الجديدة فى الأدب العربى بعامة ، وفى القصة والرواية بشكل خاص ، إلا أن يبوئه مكان الصدر والصدارة فيه ! . هذا الرائد الكبير حملت أعماله الأولى فى أوائل الأربعينات بذور الحداثة والتجديد التى لم تؤت أكلها إلا بعد ما يزيد على العشرين عاما على الاقل بعد ذلك !!

والآن ، هل نتسلل معا الى عالم هذا العاكف المتبتل فى محراب الفن والحقيقة ، لنخوض حوارا معه حول : «أزمة العقل العربى» .

عزلة المفكر العربى .. لماذا ؟

● هناك تساؤل مبدئى يلح علي فى بداية حوارى معك ، وربما ترسبت طبقات هذا السؤال من مجموعة الحوارات السابقة التى خضتها مع مفكرين آخرين حول هذا الموضوع . وهو سؤال حول «الجدوى» من أمثال هذه الحوارات . هل تعتقد ـ مع الوضع المعزول للمفكر فى عالمنا العربى نتيجة لعدة عوامل نعرفها جيداً ـ أن افرازات هذا المفكر او ذاك ، وتشخيصه لأزمات الواقع وتحليله لأمراض مجتمعنا ، سيكون له صدى ما ـ ناهيك عن التاثير ـ فى تغيير هذا الواقع المتردى ، نحو الأفضل والأحسن ؟!

السؤال بصيغة أخرى :

هل نطمح أنا وأنت ونحن جميعاً ، أن يتمخض جهدنا المزمع هذا ، وأمثاله عن نتيجة ما ، وفعالية ما ، ودور ما ، أكثر من مجرد نشر هذا الكلام على الملأ وانتهاء الأمر عند هذا الحد ؟!

هل مثل هذا الجهد ـ فى مثل هذا الواقع ـ من الممكن أن تكون له ثمرة حقيقية ، أم انه محكوم عليه بان يظل مونولوجا احاديا مع النفس ـ أو مع النخبة المثقفة ـ لا يتعداها ؟!

لماذا ـ فى مجتمعاتنا ـ دائما ما تجهض العلاقة التبادلية «للجدل» بين المفكر وهو يحلل ويشخص واقعه ويصل الى اطروحة فكرية ما لحله وحل تناقضاته من ناحية ، وبين المجتمع الذى من المفروض أن يصب فيه هذا السعى اساسا . ولكنه على العكس يقف منه موقفا شديد التعنت بأستمرار . هناك حلقة مفقودة بين جهد المفكر عندنا ، وبين قدرة المجتمع ـ أو رغبته فى تتويج هذا الجهد ، حتى ليبدوان فى حقيقة الأمر على طرفى نقيض . فالمفكر تستولده احتياجات واقعه ، وهو حينما يولد ويتبلور يود لو يحل اشكاليات هذا الواقع ، فاذا به يلفظه بقسوة ، ويأبى على الدائرة أن تكتمل اكتمالها الطبيعى .. لماذا ؟ .

الدور المنوط بالمثقف إزاء الواقع

يقول ادوار الخراط : انت فى هذا السؤال تمس القضية او المشكلة التى ما فتئت تراودني ، وتلح على اذهان ـ لا أقول المفكرين فقط بل أقول ـ المثقفين بصفة عامة منذ فترة طويلة وربما عبر التاريخ ، أى تاريخ الوعى الانسانى كله ، وماتزال قضية ملحة بل شديدة الالحاح فى العصر الذى نعيشه ، سواء كان ذلك فى الغرب او بصفة خاصة فى الشرق ، والقضية : ما هو دور المفكر ، أو بعبارة أوسع . دور المثقف فى المجتمع ، ما هى مهمته ؟ ما هى فاعليته ؟ .

هى قضية بلا شك تؤرق ضمائر قطاعات كبيرة جداً من المثقفين والمفكرين فى مصر وفى العالم العربى والعالم الغربى على السواء ، لست أزعم أن عندى إجابة جاهزة حتى لما تحدثنا فيه من قبل فى هذا الموضوع . كنت أميل للتكلم بلسان القصاص والروائى ، وبلسان المهموم بالوسائل الفنية ، عندما قلت لك إنه يخامرنى شك كبير فى أن الفنان الحق ، الفنان الأصيل ، يستطيع أن يصل الى جمهور عريض ، دعك من استطاعته أن يؤثر فيه ، على الأقل فى المرحلة الراهنة التى تعيش فيها جماهيرنا العريضة فى مصر ، أو فى سائر البلاد العربية .. وأن دور الاعلام والصحافة ، والسياسة ، وفنون «بيع» المنتجات «الفنية» التى تتخذ ـ زوراً وبهتانا ـ شكل الفن ، هذه كلها تلعب الدور الاساسى ، أما الخبرة الفنية الأصيلة ، فما زالت على هامش حياتنا الاجتماعية ، جداً. لكن هذا لايعنى انه من المقبول أو حتى من الممكن أن تنفى من البداية دور المثقف ، لاشك أن خبرتنا فى التاريخ تشير الى نوع من الدور الفعال يقوم به ذلك الذى اصطلحنا على تسميته بالمثقف بصفة عامة كانت هناك حقب تاريخية أو مراحل اجتماعية كاملة وجد فيها هذا التكامل بين المثقف والمجتمع ، وكان المثقف أو الفنان يقوم بدور عضوى فى المجتمع ، اننى أشير بالطبع الى الفترات التى ازدهرت فيها أنواع من «الميثولوجيا» الكاملة ، تكامل فيها دور الفنان والمجتمع ، أشير الى فترة مرت بها المجتمعات البدائية كان للفنان أو «للكاهن» أو «للساحر» فيها دور عضوى ، أشير الى الفترة التى كان فيها المثال أو النحات أو الفنان .. مجهول الاسم ، نحن لانعرف من هم أصحاب التماثيل الرائعة فى مصر القديمة ، من هم بناه الكاتدرائيات الشامخة ، من هم أصحاب الموسيقات والتمثيليات الدينية الوسطية .

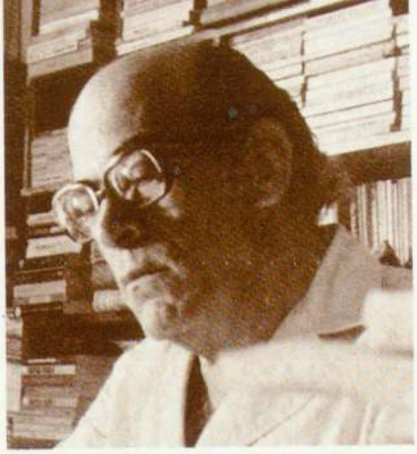
لم يكن للفرد فى تلك المراحل الدور الذى أصبح له فيما بعد . وهو موضوع طويل لا أريد أن استطرد فيه بحيث أبعد عن القضية الآن . المهم انه عقب نمو النهضة الصناعية ، عقب عصر الاستكشافات الجغرافية ، عقب ظهور ما يسمى « بالعصر البرجوازى » عقب تاكد الفرد بشكل حاسم بعد النهضة الاوربية ، ظهر وتاكد نوع من الانشقاق بين الفرد والمجتمع ، وبالتالى تضاعفت وتفاقمت الأزمة الى أن وصلت الى مرحلتها الحالية التى يحس فيها المثقف الفرد والمفكر الفرد انه معزول عن المجتمع ، وانه كم مهمل ، وانه ليست له فاعلية ، وليست له سلطة ، او ليست له فرصة المشاركة فى اتخاذ القرار الذى يهمه كما يهم مجتمعه . صورة تبدو قاتمة حقا . ولكن يجب أن نفكر قليلا : هل حقيقة اختفى دور المثقف فى المجتمع ؟ . الا يمكن للمفكر أو المثقف أن يجد لنفسه دوراً فى

حول أزمة العقل العربي

وسط أجهزة الثقافة أو أجهزة الاعلام .. مع ما يبدو من تناقض اساسى بين كلمة « أجهزة » وكلمة « ثقافة » .

هل أصبحت المؤسسات والاجهزة من القوة بحيث لا يملك الفرد الا ان يكون مجرد ترس دوار فيها .. اظن لا .. اظن ان استقراء الواقع يشير الى الاجابة فى ناحية الامل لا فى ناحية الياس ، ولكن هذا يتوقف على عوامل كثيرة جداً . من البداية لست اقطع بانه لن يكون للمفكر دور ـ دور حاسم واجتماعى على الاقل ـ كما اننى لست اقطع بانه لن يكون له دور .

الاحتمالان مطروحان ، والاجابة تتوقف على عديد من العوامل ، هناك ايمان ما عند المثقفين والفنانين بصفة عامة يتجاوز معطيات الواقع ، يستمد من الواقع عناصر ولكنه لا يسلم لها بكل الحتمية التى تبدو انها تومىء اليها بمعنى ما . يبدو لى من مجرد إثارة المشكلة والالحاح عليها وتقليب اوجهها وتحولها الى هم مقيم ومضن ، انها تعكس عاملا واقعياً . لو ان المشكلة كانت مجرد مشكلة تدور بين المفكر ونفسه ، لو كانت مشكلة فيما يصح ان نسميه « ذاتية بحتة » لما كان لها هذا التردد ، وهذا الصوت ، وهذا الالحاح . إذن فهذا كله يشير الى وجود احتياج ، احتياج يعبر عن ذاته ، احتياج يبحث عن المنطلق . هناك تمرد اساسى ما فى الانسان يستمده من الاستبصار الداخلى كما يستمده من الاستقراء الواقعى للتاريخ ، التمرد على قمع الاجهزة ، وعلى قمع المؤسسات ، بل اضيف الى هذا انه التمرد على قمع الواقع نفسه ، سواء كان هذا الواقع اجتماعيا او حتى كونياً . هذه الحاجة الانسانية الأساسية تكاد تبدو ثابتة كانها خالدة فى وسط الظاهرة العرضية اساساً ، ظاهرة الانسان . هذا كله يشير الى انه يمكن ان يكون للمثقف دور . هذا كله يشير الى منطق هذه الحاجة الانسانية ، منطق هذا المتطلب الانسانى الذى يبدو مستعصياً على الزمن وعلى التقلبات والتطورات الاجتماعية ، خالداً : انه يجب ان يكون للمثقف دور ، وللمفكر دور .



حرية المفكر العربي .. بين المنح والمنع

قلت له : قد اسلم مع سيادتكم بان هذه المشكلة قد توجد فى الغرب كما هى موجودة فى الشرق . اقصد مشكلة « إبعاد المثقف او المفكر عن لعب دوره المفترض الذى تؤهله له قدراته الطبيعية ووعيه المكتسب » . ولكن ثمة فارق هام بين المفكر فى اوروبا والمفكر فى عالمنا العربى ـ او فى العالم الثالث برمته ـ هو ما يعنينى رصده هنا ، وهو ما عنيته بسؤالى او على الاقل فى بعد من ابعاد هذا السؤال . فالمفكر فى اوربا او المثقف قد « يغترب » احياناً نتيجة لظروف معينة ، ولكن المفكر او المثقف عندنا « معزول » من البداية وفى كل الاحوال .

بصيغة اخرى :

قد يعانى المفكر فى الغرب معاناة مترتبة على عوامل ليست احدها « الحرية » .. حرية الفكر والتفكير والابداع الفكرى . اما المعوق لدى مفكرنا فهو يتمثل اساساً فى حرمانه من هذا الحق المبدئى . ولازالت ماثلة فى الاذهان امثلة كثيرة من عصر نهضتنا ـ او ما نسميه كذلك ـ طه حسين وعلى عبد الرازق وقاسم امين .. الخ ، هذا هو الشق الاول من السؤال ، الشق الثاني : اننا نعرف من حركة النهضة الاوروبية انه كان ثمة سعى فكرى للتحرر من ربقة الكنيسة ، وان هذا السعى لم يكن يتم فى فراغ ، وانما كان له ثمراته باستمرار . كان هناك هذا التوازى المتنامى بين المعاناة الفكرية والابداعية الاوروبية فى طور نهضتها وبين حركة المجتمع ككل الى الامام .

فى عالمنا العربى ، وبدون مبالغة كبيرة نستطيع ان نقول إننا نرتد وبخطى واسعة حتى عن إرهاصات رفاعة ، وعبده ، والافغانى . فهذه الروح التى اسميناها بالنهضة والتى املنا فيها كثيراً ترى مظاهر انتكاستها وتبديات ارتكاستها ماثلة امامنا فى كل يوم وعلى كل صعيد ، وكما لم يحدث فى طور النهضة الاول . والسؤال هنا : هل ذلك لانه ازداد احكام الحصار المضروب حول الفكر والمفكرين لنفيهم عن لعب دورهم الطبيعى (والذى المح من حديثك انك لازلت مؤملا فيه برغم كل شىء) ام لعل السبب يكمن فى ان المفكرين انفسهم اصيبوا بما اسميه التقوقع والانعزالية و « البرج عاجية » ـ اذا جاز الاشتقاق ـ إن إيثاراً للأمان والسلامة ، وان ياساً ، وإن ركونا الى حل فردى ما .. الخ ؟

عقل عربى .. أم .. عقل انساني ؟!

ادوار الخراط يجيب : لا .. تعال ، تعال نرتب افكارنا ونتحدث فى محاولة التلمس للاحاطة بموضوع معقد كل التعقيد وشامل وواسع جداً ، ولا حوار واحد ولا عشرة تكفى للاحاطة به . لكن نحاول ان نضع ايدينا على المحاور الرئيسية . دعك من مسالة الرصد والتوصيف فقد شبعنا واتخمنا من الرصد والتوصيف ، ونكاد نتفق جميعاً على المظاهر الملموسة الآن .. تمزق المثقف وغربته وعزلته ، وانعدام الحرية ، سيادة القيم الاستهلاكية ، ومشكلة الامية ، وقصور التعليم ، وهجرة العقول ، ونزيف دم الحياة للمثقفين والفنانين فى مجارى العمل الادارى والمكتبى ، وطغيان التسلية السهلة التى تحمل تدميراً خفياً للقيم الثقافية وسيطرة أجهزة الدولة ، وتسخير مؤسسات الثقافة لخدمة المؤسسات غير الثقافية ، واكثر .. واكثر ..

افاض الكثير من مثقفينا فى رصد هذه الظاهرة بما يكفى وزيادة .

هل جرؤنا على ان نرجع هذه الظاهرة الى اسبابها ؟

يمكن ان تكون الأسباب اجتماعية اذا اخذنا بالتفسير الاجتماعى ، ويمكن ان تكون تاريخية ، بل هى قطعاً كذلك ، إلى حد معين ، وبمعايير معينة ، وحتى لو اخذنا بالأسباب « الثقافية ـ الحضارية » فيمكن ان يندرج هذا الفهم فى سياق التفسير « الاجتماعى ـ التاريخى » ، ويمكن ان تكون الاسباب خلقية او ميتافيزيقية اذا شئت . علينا ان نطرح من البداية سؤالا : هل نحن فى « العالم الثالث » كما قلت بصفة عامة ، او فى « العالم العربى » اى فى مصر ، او فى العراق ، او سوريا ، او الخليج او المغرب ، او الجزائر .. الخ ، هل هناك خصائص متميزة « للعقل » فى هذه المنطقة من العالم لا توجد فى غيرها من المناطق ؟ هل هناك

عناصر خلقية ـ بكسر الخاء ؟ .

هل هناك اسباب جبلت عليها هذه الشعوب ؟ وما يسمى « العقل العربى » او « العقل الافريقى » او « العقل الصينى » هل له خصائص تختلف جذرياً ، خلقياً ، تكوينياً ، عرقياً .. عن غيره من العقول ؟ اظن اننا من البداية نستطيع ان نتفق على نفى هذا التصور ، نستطيع ان نتفق على انه ليس هناك ما يمكن ان نسميه « العقل العربى » ، كما لو كان هناك شىء عرقى خاص . هو « العقل الانسانى » فى كل مكان وفى كل زمان . ولا ينفى هذا وجود خصائص ومقومات للثقافة ، لكل ثقافة على حدة ، ترجع بوضوح إلى تراثها وعناصرها التاريخية والحضارية . اريد ان اهدف بهذا إلى ما يمكن ان يسمى « التعدد داخل الوحدة » . هل يمكن ان نضع ايدينا لنتلمس العلل والأسباب فى هذه الموروثات التى اصبحت مقوماً للثقافة العربية ؟ اريد ان ننفى اولا حتى الاصطلاح الذى يسمى « العقل العربى » الذى لا استريح اليه كثيراً لانه يكاد يوحى من بعيد ان فيه تفرقة عنصرية مـا .

قلت : قصدت باستخدامى لمصطلح « العقل العربى » الاشارة الى « ثقافة » معينة ، وطريقة تفكير ، وطبيعة رؤية ، وتراث له ملامح وسمات بعينها ، وانماط سلوكية ، وعادات اجتماعية ، وخبرة خاصة بالحياة ، واقنوم قيمى متميز ، ومجموعة من العقائد والاديان والقناعات .. الخ ، ولم اقصد اى امتياز خلقي ـ بكسر الخاء ـ او عضوى او بيولجى .. الخ ! .

قال : اذا تحدثنا اذن عن الثقافة العربية فسوف ندخل على الفور الى ظاهرة عريقة ، ولها مقومات غنية وطويلة المدى ، ولها اثرها او عواملها الفاعلة الآن .. اقصد عوامل فاعلة ناتجة عن التراث .

قلت : إن سلباً او ايجاباً !

ثقافة عربية .. أم .. ثقافات عربية ؟

قال ادوار الخراط : نعم .. فاعلة فى الاتجاهين . اولا : اريد ان اخلص من وهم الوحدة المصمتة التى تريد ان تصب كل روافد ومكونات الثقافة فى هـــذا « العالم » العربى العريض فى قالب واحد ! لست اظن ان هناك ما يسمى بالوحدة الواحدة المغلقة للثقافة العربية بمعناها المصمت القالبى الحجرى الذى يكون قالباً واحداً ليس فيه اختلاف . اريد ان أؤكد على فكرة الاختلاف فى داخل الثقافة العربية . واريد ان أؤكد ان هذا الاختلاف عنصر إثراء وغنى وليس عنصر تفرقة وتشتيت ، وبالعكس هناك اشياء عامة توحد بين الثقافات العربية . وها انت تلاحظ اننى استخدمت ، كما ينبغى لى ـ اذا صح لى منطقى ـ عبارة « الثقافات » العربية بدلا من « الثقافة » العربية ، ولكنى لم اتخل عن وصفها جميعاً بانها عربية فى النهاية ، وان كانت تصدر عن منابع لها قوامها وتكوينها وتراثها الخاص بكل منها . هناك عوامل عامة توحد بين الثقافات العربية بعضها البعض ، وتوحد بينها وبين الثقافة الانسانية العامة كلها ، لاخلاف فى هذا .

لست ادعو الى انفصالية مصطنعة ، ولكن ادعو الى تاكيد او اريد ان نتنبه الى تاكيد الاختلافات ، لكى تثرى وتستفيد هذه الثقافات المتعددة التى توحد بينها قنوات اتصال عريضة ومشتركة وتاريخية ، لكى تثرى وتستفيد من تلاقح بعضها البعض ومن ترافد بعضها إلى البعض . نتجاوز اذن مسالة الرصد والتوصيف الاولى الى الأسباب .

اظن ان هناك ثلاث او اربع نقاط احب ان اركز عليها . النقطة الاولى ، ليست مسالة اختلاف الثقافات بين شعوب المنطقة العربية مع اشتراكها العريض الذى اشرت اليه ، بل ازدواجية او تعدد الثقافة داخل الشعب الواحد . عندما نتحدث عن هموم المثقفين ودورهم ، وازمة الثقافة التى يعانونها ، نريد ان نتلمس حقا ما هى صلة المثقف او المفكر المصرى او العراقى او المغربى بالطبقة العريضة التحتية التى تمنحه ماء الحياة نفسه ؟ ما هى الصلة التى تربط الآن حقيقة بين المثقف فى مصر او فى المغرب وبين شعبه ؟ سنلاحظ على الفور من مجرد إثارة السؤال ان هناك اكثر من حضارة ، او اكثر من ثقافة على الاقل فى داخل كل شعب ، وان القنوات بينهما ليست موصولة كما ينبغى ان تكون ، ولا وسائل التفاعل متوفرة كما يجب ان تكون ، بين القاعدة العريضة من الثقافة الشعبية التى نعيشها فى مصر مثلا ، وهى ثقافة ارفض ان اسميها متخلفة . اننى ارفض فكرة « التخلف » الثقافى فى هذا السياق ، وازعم ان الشعب او الفلاحين او الجماهير العريضة ليست متخلفة ثقافياً ، قد تكون متخلفة ـ هنا ـ بمعنى من المعانى ، بمقياس انها لا تملك ثقافة كاملة متفاعلة مع العصر الذى نعيش فيه ، هل هذه الثقافة ـ او الثقافات التى يعيشها الشعب ـ هى الثقافة الصحيحة او السليمة او الايجابية او ما شئت من الأوصاف ؟ يبدو ان هذه المنطقة لم يتطرق اليها كثيراً !

ما هى الثقـافة التى يعيش بها ولها الناس فى بلادنا ؟

اليس هذا من اسرار او اسباب التمزق الذى يعيشه المثقف فى العالم الثالث بصفة عامة ؟ احساسه بالاغتراب عن ثقافة شعبه ؟ احساسه بانتمائه الى ثقافـــة لا يعرفها هذا الشعب ؟ . فى ثقافة الشعب بلاشك هناك الثقافة التحتية العريضـــة والسليمة ، رواسب تاريخية ما تزال تعيش فى وجدان الناس وهى مؤثرة سلباً او ايجاباً . وصحيح ايضاً ان التراث القديم وبالتحديد التراث المحكى ، والتراث الموسيقى ، وما اصطلحنا على تسميته بالفنون الشعبية ، قد اضاف اليه الشعب ، او الفنان الذى لا اسم له من بين صفوف الناس ، كما كان دابه فى المراحل التى تكامل فيها الفنان مع المجتمع ، مما جعل هذا التراث حياً ومرناً الى فترة قليلة خلت ولكن من الصحيح كذلك ان هذا كله يندثر بسرعة ويسير بشكل يكاد يكون حتمياً الى الانقراض ازاء التقنية الكاسحة ، ونحن نشرف على نهاية القرن العشرين ، وندخل بلاشك الى عالم التقنية الجارفة التى لا يقف فى سبيلها شىء والتى تتسلل الى ابعد الكفور ، واصغر القرى ، واظلم الغابات ، وافسح السهوب .. تتسلل بدون عائق ، وتؤدى إلى التسطح ، وتؤدى الى نوع من التوحيد فى حدود القاسم المشترك الاصغر ، وتؤدى الى تغريب الانسان عن نفسه وعن ثقافته . كل هذا يحدث بسرعة . اظن ان هنا ازمة حقيقية ، وان هذه الغربة بين المثقف او المفكر و « ذاته الاخرى » التى هى شعبه يجب ان تنمحى ، مما يعود بنا الى فكرة المثقف ، كمكون عضوى فى المجتمع ، التى بدأت بها الحديث .

المثقف عندما يكون متكاملا مع المجتمع وعنصراً عضوياً فيه يؤدى وظيفة ليست اجتماعية فقط ، بل اجتماعية وحضارية وتؤدى الى تحقيق ذاتى ايضاً للمثقف . وهنا تنتهى الأزمة .

كيف يمكن ان ننفى هذه الازدواجية بين المفكر والناس ، او بين ثقافة النخبة اذا شئت وثقافة الشعب ، هذه هى القضية الاجتماعية ، قضية إثارتها مهمة . والوعى بها مهم جداً .

دور المفكر هو ان يحاول ان يرى صورة واضحة وان يريها للناس . مجرد اثارة الوعى هو البدء بالتحرك ، البدء بالحركة هنا دور المثقف ، على الاقل فى المرحلة الحالية ، ودوره هو اثارة الوعى ، لانه البدء بالحركة .

ماجد يوسف

معركتنا واحدة:

استفادة البادئة الحضارية

بقلم: إلياس سحاب

منذ أن بدأت الأمة العربية تستيقظ على العصر الحديث ، وحركتها تدور اصلا بين محورين : الاصالة والحداثة ، في وتيرة تتسم بالتوازن بين المحورين احيانا ، وبالانجذاب المتطرف تارة الى هذا المحور ، وطوراً الى المحور الآخر ، كل ذلك وفقا للحاجة المحسوسة في ظرف من الظروف .

ولو راجعنا حركة الفكر العربي الحديث ، منذ رفاعة الطهطاوي ، بل حتى منذ الجبرتي ، الذي سجل بدقة هائلة يوميات صدمة المجتمع العربي المملوكي في مصر ، بحملة نابليون العسكرية ـ العلمية ، اكتشفنا أن موجات الريادة الفكرية تنشد دائما الى موقع الخطر الداهم وتركز عليه .

فحين يكون الخطر هو التخلف ، اي حين تصل تجليات التخلف وانعكاساته في ظروف معينة الى سقوط كبير في تحد ما ، فان الدعوة الى التقدم والى ضرورة الاخذ بكل اسباب العصر الحديث تصبح الفكرة الاساسية ، بل الفكرة المسيطرة على دعوات رواد الفكر ، اما عندما يتجلى الخطر ، في ظروف اخرى ، في الخوف على الشخصية القومية المميزة ، فان الدعوة الى الاصالة تصبح هي الفكرة المسيطرة يصاحبها حنين جارف الى التراث بكل تجلياته .

وقليلة هي الفترات والدعوات التي كان التوازن فيها واضحا بين ضرورتي الاصالة والحداثة ، واقل منها واندر هي المنجزات التي تجلى فيها هذا التوازن ، بوعي من صاحبها او بلا وعي احيانا .

لقد اخذ مفكر عربي ، لعله عبد الله العروي ، اخذ على الشباب العربي الجامعي انه يذهب الى اوروبا للتخصص ، فاذا به ينكب على دراسة ابن تيمية او القرن الهجري الأول ، بينما لا نرى الشباب الفرنسي الجامعي ـ مثلا ـ محصور الاهتمام بمفكريه في القرن السادس عشر ، بل هو يخوض دراساته الفكرية مع عصره الحديث في الغالب .

الاتصال الوثيق بالتراث

ومع الصحة النظرية لهذا المأخذ ، فانه لا يلتفت ابداً الى الاسباب العملية لهذا الواقع ، وهي الاهم في هذه المشكلة بالذات فالشعوب التي تقود الحضارة العالمية المعاصرة ، هي بالذات شعوب اوروبا وامريكا الشمالية ، هي شعوب مكتملة الاتصال بتراثها ، عبر خطين متوازيين :

ـ خط الاتصال الاكاديمي الذي لم ينقطع ، والذي اكتمل منذ اجيال طويلة بتصنيفات علمية اكاديمية شاملة ودقيقة ، اصبحت في متناول اصغر الباحثين واقلهم شانا .

ـ وخط الاتصال الحياتي الذي لم ينقطع . فاذا كان التراث هو في النهاية المحصلة العامة لمزاج شعب ما ، وفلسفته ، واسلوبه في الحياة ، فان ذلك كله متجسد في الحياة اليومية للمواطن الفرنسي ـ مثلا ابتداء بالمواطن العادي ، وصولا الى كبار المثقفين ، وابتداء بتقاليد الحياة اليومية وصولا الى التقاليد الاكاديمية العريقة .

وبما ان العلاقة مع التراث طبيعية على جميع الاصعدة في الغرب (وهذا هو المطلوب) فان الانطلاق الى التجديد العصري ينطلق في جميع المجالات حراً قوياً . وهذا عنصر اساسي من عناصر قوة الابداع المتجلية في العصر الحديث في ما

يسمى بالدول المتقدمة . ولا حاجة لاي فرنسي او بريطاني او بولوني ، ان يجدد الحديث عن التراث ، وضرورة الاتصال به ، بمناسبة وغير مناسبة ، طالما ان ضرورات تجلي التراث القومي مؤمنة بشكل طبيعي ، ابتداء من المجال الاكاديمي ، وصولا الى اسلوب ومزاج الحياة اليومية . ومع ذلك فان دعوات الصمود في وجه مسخ الاسلوب المميز للحياة تتصاعد اليوم في بلاد اوروبية مثل اليونان واسبانيا ، في وجه غزو اسلوب الحياة الامريكي (غير المسلسلات التلفزيونية ، وملابس الجينز والهامبرغر والكولا وموسيقى الديسكو الخ ....) ولكن هذا حديث جانبي ، نشير اليه اشارة عابرة فقط .

هذا هو الموقف في اوروبا والدول المتقدمة ، فما هو الموقف لدينا ؟

تيه معطل للابداع

لقد بقيت البيئة الشعبية ، في الريف والمدن ، هي الخزان الوحيد لتفاصيل الشخصية الحضارية العربية المتوارثة والمتطورة عبر الاجيال (كما اشرنا في المقال الاول) ، ولكن شرائح المثقفين واهل المدينة بشكل عام ، اصبحت تمثل يوما بعد يوم جزيرة غربية هجينة ، تابعة للغرب في اسوا حالاتها ، تائهة بينه وبين بيئتها الاصلية ، في احسن حالاتها . وهو تيه لا نراه فقط في الكتلة العامة للمثقفين ، بل داخل الفرد المثقف نفسه ، في ازدواجية قاتلة ، معطلة لاي ابداع حقيقي .

ان انحصار السعي الى التقدم في هذه الشريحة التائهة ، المهزوزة الشخصية ، قد خلق خصاما او سوء تفاهم تاريخيا بين الشرائح الاصيلة في المجتمع العربي وبين التقدم ، لان هذا التقدم كان في معظم الاحيان لا ينجلي الا كانسلاخ حتمي عن البيئة الاصلية ، والتحاق قسري بالغرب . وهذا ما يفسر لنا كيف ان كل انجازات «التقدم» العربية لم تنجح لا في اضافة شيء اصيل ومتميز الى الحضارة الانسانية المعاصرة ، ولا في اجراء تحول عصري حقيقي وجذري في اعماق البيئة العربية المحلية .

وهكذا ، ولد الحاجز الذي يكبر يوما بعد يوم ، بين ما هو نظري وما هو عملي في هذا المجال ، وهنا تكمن الازمة الحقيقية ، التي ستظل مستمرة بل ومتفاقمة ، طالما بقي هذا الحاجز الكبير قائما .



رفاعة رافع الطهطاوي



نابليون



الجبرتي

فعلى الصعيد النظري ، نرى تيار الاصالة المتجلي بالتمسك بحذافير التراث ، وهو يضم اكثر من رافد ، ولكنها تصب في النهاية في تيار واحد ينقسم الى خطين اساسيين : خط عملي يحلم باستعادة حياة السلف استعادة كاملة في القرن العشرين ، وخط يقف عند حدود التمسك المطلق بالذات ، من غير قدرة على تجاوز هذا الى اقتراحات عملية ونرى من جهة اخرى روافد فكرية عديدة تدعو الى الحداثة ، ولكنها تصب كلها في النهاية في موقف المعتبر للغرب نموذجا اوحد للتقدم الممكن في هذا العصر ، باعتباره نموذج التقدم الوحيد القائم عمليا ويوميا امام عيوننا والمتجلي في كل فروع الحياة المعاصرة .

قصور تيار المصالحة

ومن تناحر هذين التيارين ولد تيار ثالث يحاول المصالحة بين الاصالة والحداثة كضرورتين متلازمتين ، متكاملتين لا متعارضتين ، ولكن هذا التيار بقي عند حدود المصالحة النظرية بين الاصالة والحداثة ، ولم يجرؤ بعد على مقارعة انصار التيارين الآخرين في الميدان الحقيقي للمقارعة وهو الميدان العملي الذي ينسحب على نواحي الحياة ، ابتداء بالحياة الاكاديمية وانتهاء بالحياة اليومية العادية التي تشمل شؤون الماكل والملبس والمشرب والمسكن والمواصلات وما شابه ذلك .

طغيان التلقي الهامشي

كل هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي ، فنحن امام حالة فظيعة من الفوضى لا ندري هل هي فوضى البلبلة الكاملة ام فوضى مرحلة المخاض ، فنحن من جهة امام طغيان كامل للحضارة الاوروبية ـ الامريكية ، لم يعد يقف عند حدود التاثير الثقافي ، بل تعداه الى صياغة الحياة اليومية العربية بادق واصغر وابسط تفاصيلها وفي مناطق ريفية وداخلية واسعة (وليس في المدن فقط) وفقا للنموذج الاوروبي الاميركي ، يدعم ذلك تطور في وسائل الاتصالات لم يسبق له نظير في التاريخ ، يجعل تفاصيل الاحداث والحياة اليومية للدول المتقدمة ، تفاصيل واحداثا مشتركة بين جميع شعوب الارض دون ان يكون لشعوب العالم الثالث اي ضلع في صناعة هذه التفاصيل والاحداث او حتى في وضع اللمسات الخاصة عليها الامر الذي يعطي الغرب اقصى قدرة تمتعت بها مجموعة بشرية على مر التاريخ لصناعة المزاج البشري العام على صورة مزاجها الخاص ، يقابل ذلك في الطرف الآخر وخاصة عند العرب ، ذروة سياسية من التشرذم الاقليمي الذي لم يسبق له مثيل حتى في اسوا ايام الانحطاط العربي في القرون الخمسة او الست الأخيرة ، الامر الذي يسحب من يد العرب (في الوقت الحاضر على الاقل) اية قدرة على المبادرة والابداع ، ويضعهم في موقع المتلقي الهامشي العاجز حتى عن التقليد المتقن ، المحروم الا من القدرة على الاستيراد الاستهلاكي ، وحتى هذه القدرة تبدو ذات

معركتنا واحدة:
استفادة المبادرة الحضارية

افق تاريخي محدود باستمرار المستوى الحالي من تدفق فوائض الثروة النفطية .

حلول سطحية خلابة

لقد اصبح من المعالم الجديدة المميزة لمرحلة الفوضى الفظيعة الحالية ، محاولات الحلول السطحية ذات الشكل الباهر ، والتى تتجلى فى مؤسسات اقتصادية او ثقافية ، ليس لها من شروط الابداع والخلق والتجديد سوى الأرقام المذهلة فى رؤوس الأموال ، والقدرة على استيراد كميات من الحاسبات الالكترونية (التى نسميها بعقد نقصنا الادمغة او العقول الالكترونية) ، وهى مؤسسات تثبت يوما بعد يوم عجزها عن تفجير ينبوع ابداع حقيقى واحد فى الحياة العربية المعاصرة ، او وضع ملمح خاص واحد على سطح هذه الحياة ، فى مقابل الملامح التى يضعها الغرب على سطح هذه الحياة وفى اعماقها .

هذا على جبهة التقدم والمعاصرة ، اما على جبهة الاصالة ، فان الأمور ما زالت فى حياتنا العامة والخاصة متوقفة عند حدود العموميات الوجدانية ، بحيث يتحول النزوع الى الاصالة ، عمليا ، الى مجرد هامش تزييني خارجى لحياة فكرية وثقافية واقتصادية ذات قواعد واعمدة اساسية منقولة ، فكيف الخروج من المازق ؟

الخروج من المازق

فى السياق السياسى ، كان جمال عبد الناصر يقول (فى فلسفة الثورة) ان كل الامم الحية قد سمحت لها ظروفها ان تخوض معركة استقلالها السياسى التى تستدعى عادة اعلى درجات الوحدة الوطنية ، ثم تخوض بعد ذلك (واحيانا بفاصل زمني كبير) معركة تحررها الاجتماعى التى تتلازم بالضرورة مع صراع اجتماعى داخل المجتمع الواحد . اما العرب ، فقد شاءت ظروفهم فى العصر الحديث ان يخوضوا المعركتين فى ان واحد ، مع كل ما هناك من تناقض بين شروط كل من المعركتين ، الامر الذى يضخم كثيراً اعباء التحدى المطروح على الاجيال العربية المعاصرة .

اما فى السياق الحضاري ، فيمكننا التحدث عن وجود صعوبات موازية تماما . فالعرب امام معركتين مختلفتي الشروط الى حد التناقض :

– فهم امة فقدت الاتصال الحياتى المباشر بمعظم ينابيع شخصيتها التاريخية والحضارية المميزة ، لذلك فهم امام معركة اعادة الأرتباط الحيوى والخلاق بالتراث .

– وهم امة تكاد تدخل القرن الحادى والعشرين وهى ترى مسافة التقدم المعاصر بينها وبين الأمم الاخرى تزداد وتتسع يوما بعد يوم ، لذلك فهم محكومون بالسير باقصى سرعة لامتلاك وسائل العصر الحديث .

فهل هناك تناقض حقيقي بين شروط المعركتين ، يوازى التناقض الظاهرى بينهما ؟ وهل نحن مضطرون الى اغلاق الأبواب والأسوار من حولنا والانكفاء على ماضينا نعيش فى رحابه جيلا او جيلين حتى نستعيد الاتصال بينابيع شخصيتنا الحضارية ؟ ام هل نحن مضطرون الى دخول العصر عن طريق الالتحاق التبعى الكامل بالغرب والاكتفاء بحلم تقليده باتقان ، لان الوقت لم يعد يسمح باكثر من ذلك ؟

التفاعل الخلاق والمعاصرة

الحقيقة هى ان مشكلتنا واحدة ، سواء امام تراثنا الحضارى ، او امام طغيان الحضارة الأوروبية المعاصرة ، وهى مشكلة الافتقار الى روح المبادرة .

فالحضارة العربية ، التى ترتبط فى ذهننا دائما بمفهوم الاصالة ، لم يكن لديها فى قرون ازدهارها السبعة (بين القرنين السابع والرابع عشر) لا مشكلة حداثة ولا مشكلة تفاعل مع ما يحيط بها او ما سبقها من حضارات . ومن هذه الزاوية فليس هناك اى معنى لدعوة الاصالة اذا لم تكن ، فى اساسها ، استحضاراً لقدرة الإبداع والتفاعل الخلاق والمعاصرة الكاملة . التى اعطت الحضارة العربية تلك الزخم الذى وضعها فى صدارة الحضارات الانسانية لحقبة طويلة ، لم تتح لاية حضارة اخرى ، بما فى ذلك الحضارة الأوروبية المعاصرة ، الحديثة العهد ، المتوسطة العمر تاريخيا ، ان لم تكن قصيرته ، على حد تعبير المفكر الفرنسي رجاء جارودى .

اما على صعيد المعاصرة ، فيمكننا القول ايضا . اننا منذ انهيار الامبراطورية العثمانية ، اندفعنا بكل قوتنا نحو امتلاك التقدم عن طريق الالتحاق باوروبا او استلهام نموذجها الحضاري استلهاما تبعيا غير خلاق ، وكان بعضنا قد بدا السير فى هذا الطريق قبل انهيار الامبراطورية العثمانية بفترة طويلة ، ومثلنا فعلت تركيا ايضا منذ العشرينيات ، فاى موقع استطعنا ، نحن او تركيا ، ان نحتل ، بل اى خطوة حقيقية استطعنا ان نخطو باتجاه ان نصبح شركاء اساسيين فى تحديد معالم الحضارة الانسانية المعاصرة ؟ لقد كنا دائما قادرين على استيراد كل او بعض اشكال الحضارة المعاصرة ، ولكننا كنا بعيدين عن امتلاك روح المبادرة ولو فى مجال ضيق من مجالات هذه الحضارة .

مبادرات عملية ممكنة

نحن اذن محكومون باستعادة روح المبادرة سواء ازاء تراثنا الحضارى ، او ازاء الحضارة الأوروبية المعاصرة ، ببعض الأمثلة العملية .

ففى مجال العمارة مثلا ، نجد انفسنا منقسمين الى فريقين : الفريق الأكبر منغمس حتى اذنيه فى هندسة الشوارع والأحياء والبيوت الجديدة وفقا لآخر صيحات الهندسة المعمارية فى المدن الأوروبية ، فى الوقت الذى يبدو فيه هذا

الموضوع بالنسبة لكثير من العلماء الأوروبيين كابوساً عصرياً وضعوا المؤلفات الكاملة لنقده وتشريحه والتحذير من اخطاره ، مع ان النماذج الهندسية مستمدة كلياً من المزاج الأوروبي واسلوب الحياة المعاصرة في أوروبا ، بل ان هؤلاء العلماء يعتبرون هذه النماذج دليل وصول الحضارة الأوروبية الى حائط مسدود في مجال الحياة العائلية والعلاقات الاجتماعية والصحة النفسية للفرد والمجتمع .

اما الفريق الاصغر ، فانه واع لهذه المشكلة ، ولكنه لا يملك اكثر من النقد النظري العابر . فاذا ما اندفع احد المهندسين الخلاقين الى محاولة ابتكار نماذج معمارية نابعة من البيئة العربية والمزاج العربي واسلوب الحياة العربي ، فان هذه النماذج تاتي (حتى الآن على الاقل) فاشلة من الناحية العملية ، لها جمال الحلم ، ولكن ليس لها الفاعلية التي يمكنها ان تواجه الحياة اليومية التي لا تتوقف .

ليس معنى هذا طبعاً ان نقع في الفخ الانعزالي ، فننساق الى رفض كل ما ياتينا من الغرب في هذا المجال ، لمجرد التمايز بل المطلوب ان يقف على المبادرة في هذا المجال ، فنبدأ ونحن نفكر بتصميم بيوتنا وشوارعنا ومدننا ، باستلهام حاجاتنا الخاصة ومزاجنا الخاص ، فاذا اتت النماذج الفعلية بعد ذلك بقواسم مشتركة مع النماذج الاوروبية فلا باس من ذلك ، شرط ان يكون ذلك نتيجة اختيار حر ، لا نتيجة تبعية الية كما هو الحال الآن .

في مجال العمارة

ولكن هذا الكلام النظري الجميل غير ممكن التطبيق عملياً الا اذا توفرت عدة عناصر عملية متكاملة في التمهيد لمبادرة عربية حقيقية في مجال فن العمارة الحديثة كمثال على كل المجالات الأخرى :

١١ ـ إجراء دراسة عربية شاملة لتطور فن العمارة العربية في جميع العصور ، من حيث المؤثرات الخارجية فيه والعناصر الأصلية وتطور ملاءمته لتطور البيئة العربية من الجزيرة الى العراق الى سورية الى مصر الى المغرب الى الاندلس ومن القرون الاولى حتى القرون الوسطى ، ومن الخيمة في



عبد الله العروي

الصحراء ، حتى غرناطة ، وجعل هذه الدراسة التي تشمل كل النواحي الرياضية والجمالية والبيئية والحياتية ، المادة الدراسية في كل الصفوف في جميع كليات الهندسة في الدول العربية . وفي هذا مثال على العلاقة الخلاقة بالتراث .

فمثل هذه المواد لن تكون مثالا قديما يعاد تكراره في القرن الحادي والعشرين ، بل تكون اطلاعا عميقا من عرب القرن العشرين ، على انعكاسات المزاج العربي العام في فن العمارة عبر العصور ، وهذا الاطلاع هو الاساس الوحيد الذي يمكن ان يولد منه الابداع العربي المعاصر في فن العمارة اذ ليس من المعقول ان يدرس المهندس العربي كل فنون الهندسة في العالم ، ولايطلع على فن العمارة العربي من باب شمولية الاطلاع ، على الاقل .

٢ ـ اجراء دراسات معمقة ومتصلة تشمل جميع نواحي الحياة العربية اليومية المعاصرة ، في المشرق والمغرب ، في المدن والارياف ، واستخلاص انماط المزاج الحياتي العربي المعاصر وفرز الطبيعي منه عن المفتعل بحكم الركض الأعمى وراء كل ما ياتي من الخارج ، والخروج من ذلك بحلول عملية ، ستكون حتماً ـ في حال تطبيق البند الاول لفترة طويلة ـ مستندة الى تراكم تطورات المزاج العربي في الهندسة المعمارية ومغموسة في الواقع المعاصر للحياة العربية ، بكل ما فيها من تعقيدات جديدة ، ليس اقلها الانفجار السكاني الهائل في المراكز المدينية

ان مثل هذا الكلام الذي يكتفي بمجرد اشارات اولية ، لو طبق في سائر نواحي الاهتمامات العلمية والثقافية ، لكان كفيلا بتامين نقطة الانطلاق التي ما زلنا نجري وراءها عبثا منذ قرن من الزمن على الاقل وهي نقطة التوقف عن الاندفاع الآلي وراء التقليد السطحي ، والدخول في مرحلة الابداع المستند الى كل النواحي التفصيلية الفنية للشخصية العربية الخاصة .

ضرورة تأصيل علومنا

ولكن هذا مستحيل في الموسيقى اذا ظل طالب الموسيقى العربي يعتبر ان العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الموسيقى الاوروبية . وهذا مستحيل في الرسم ،اذا كان طالب الرسم العربي يعتبر ان العلم هو فقط في الاطلاع على اصول وقواعد وتاريخ الرسم في اوروبا . وهذا مستحيل في كل المجالات الأخرى (الفلسفية والاقتصاديه والاجتماعية والعلمية) اذا بقينا مصرين على ان نبني على غير اساس؛ منا من يرتاح الى مجرد استذكار امجاد الحضارة العربية الغابرة ، ومنا من يرتاح الى وهم تحقيق التقدم العربي ، بالحاق العرب بركب الحضارة الاوروبية الحاقا تبعيا بليدا ، وكلنا (في الحالتين) عاجزون عن تحقيق الخطوة الاولى في طريق المبادرة الخلاقة في الحضارة المعاصرة ، مبادرة تحمل كل سمات الشخصية العربية المميزة ، نحن بحاجة ماسة الى اعادة واكتشاف العروبة ، وليس لننفصل عن ركب الحضارة الانسانية او ننعزل عنها ، ولكن لتكون عنصراً فعالا فيها كما كان اجدادنا ، لا مجرد عالة عليها ، كما نحن اليوم .

غير ان كل هذا سيظل كلاما نظريا بانتظار القرار السياسي بالعيش على مزاجنا (بمعنى المزاج التاريخي العام للامة) لا على مزاج غيرنا ، فهذا هو الاستقلال بكل بساطة ، عندئذ سنعرف كيف نتعرف الى ملامح هذا المزاج ، ونحترمه نحن اولا ثم نفرض احترامه على الآخرين ، وهذه هي الاصالة بكل بساطة ، ثم كيف نجسد هذا المزاج في الفلسفة والاقتصاد والعلوم والفنون ، وهذه هي الحداثة بكل بساطة .

الياس سحاب



حكايات صغيرة

بقلم : عبد الله الشيتي

● آلـــــــــو..

هاتف المكتب يرن رنينا متواصلا ، بلا رحمة ، وسط زحمة العمل ، والمطبعة فاتحة شدقيها لا تعذر : هل من مزيد .. وامسك بسماعة الهاتف :

– نعم .. ؟

– الله ينعم عليك ..

– وعليك وعلى والديك .. مين الاخ . ؟

– والله زمان .. سلامات ..

– اهلا . لم اتشرف بالمعرفة ؟

– ولو ما عرفتنى .. ؟

– (الله يجيبك يا طولة الروح) معليش . ذاكرتى ضعيفة . مع ان صوتى مشهور ..

– يعنى مطرب ، الاخ . ؟

– اعنى اننى دائما اكلمك ..

– ما تؤاخذني . إنه النسيان .. مشغول شوى ..

– كيف الحال والعيال و – (و .. ؟) .

– (مقاطعاً) كلهم بخير . بيقبلوا إيدك . ممكن اخدمك .. ؟

– صحيح انك عصبى .. ما هكذا عهدتك .

– اوه . ارجوك . عندى شغل لفوق رأسي .

– وانا عندى شغل اكثر .

– يا سيدى امرك ، امرك يا سيدى ..

– الله يرحم عبد الحليم حافظ .

– ويرحمني كمان ..

– وين بدك تسهر .. ؟

– « صائحاً » ارجوك . خلصني حل عني . ارحمني . اعتقني لوجه الله ..

– صحيح انك قليل حياء يا سيد فوزى ..

– وهنا فقط ادركت ان صاحبنا غلطان بالنمرة . فوضعت السماعة قبل ان اعتقد انه يريد مكالمـــة المرحـــوم فوزى . القاوقجي ! !

● الآنسة أجاثا

قليلون وقليلات اولئك الذين يعرفون من هي « الآنسة اجاثا بربارة » انها مواطنة مالطية ، فى عقدها الخامس إلا قليلا . بسيطة المظهر ، بالغة الرقة والتواضع . تبتسم للصغير والكبير . وهى تذهب الى السوق تشترى حاجياتها بنفسها . لم تتزوج . وتقوم بشؤون بيتها دون الاستعانة بخدم . تزار وتزور كاى « ست بيت » ، وقد تصادفها على مرأى العين فى هذا السوق أو ذاك الشارع ، فى سيارة متواضعة . أو تجدها فى احتفال شعبى أو مناسبة فى فندق ، أو حفلة خاصة أو سهرة عائلية . فاذا مددت يدك لمصافحتها وقدمت إليها نفسك « فلان ابن فلان » فسوف تكتفى هى بالقول : اجاثا بربارة ، من خلال بسمة رقيقة ووداعة ظاهرة ..

وإذا كنت فضولياً فسوف تعرف عندها ان الآنسة اجاثا هى نفسها وزيرة العمل فى حكومة « مونتوف » سابقا ، ورئيسة الجمهورية المالطية الآن ..

ويانســاءنا نحن : المزيد من التواضع .. !



● ذهب .. وعاد



كثيراً ما نقرأ فى الصحف اعلانات عن خادم (ذهب ولم يعد) الى بيت مخدومه وكثيراً ما نرى اذا ما فتحت قفص عصفور حبيس انطلق «السجين» الجميل الى اجواء الحرية بلا عودة ولسان حاله ـ يغرد ـ مع عبد الوهاب : ما احلاها عيشة الحرية ..

ومنذ أيام كنت أزور صديقاً فى بيته وسمعت زقزقة موسقة شنفت سمعى . وعلمت بالطبع انه صوت عصفور حبيس . وتذكرت حكاية أبى فراس مع جارته الحمامة وتخيلت ان جارى الصغير ـ العصفور هو جارى يسائلني :

ـ آه يا ابن آدم لو تشعر بحالى ..

ولما رآني مغتماً سألنى : ايه الحكاية يا اخ .. ؟

قلت : لا أحب العصافير السجينة . لا تقتلوا العصافير . لا تقتلوا الحرية ..

قال : ولكنه يعشق عبودية القفص .

صحت : مش معقول . هل هناك من يكره الحرية .. ؟

قال : صدقني . اطلقت سراحه خمس مرات وكل مرة اراه يعود ينقر نافذتى ..

قلت : لا اصدق الا اذا جربت بنفسي . !

قال : جرب .. حتى يطمئن (ضميرك) ..

قمت الى القفص واطلقت سبيل العصفور الجميل .. فطار قليلا ثم التفت الى صاحبى اقول له : ارأيت . لقد منحناه الحرية ..

قال : ولكنى اشفق عليه . انه معتاد على القفص ههنا ، فقد وفرت له كل سبل الراحة والغذاء والماء ..

وما ان انتهى من كلامه حتى سمعنا نقراً على النافذة . انه هو نفسه ومعه عصفور آخر مهاجر يزقزقان .. !

وهذه المرة اتيت لصديقى بقفص جديد هدية ، وانا أردد مع عبد الوهاب أيضاً : مطرح ما يجي لعيني النوم . انام وانا مرتاح البال . ما دام حبايبى حوالي . كل البلاد عندى اوطان ... ! !

● هـذا في بـارِيس

زرت مؤخراً باريس ، زيارة عمل خاطفة . وحللت فى فندق قريب من شارع يعج بالحوانيت والمحال التجارية ، المشتهرة بأسعارها النارية . وفى اليوم التالى لوصولى ، اضطررت لشراء بعض الحاجيات الشخصية ، اذ كانت حقيبة سفرى قد تخلفت وذهبت فى اتجاه غير اتجاهى . ودخلت حانوتاً كبيراً تبضعت منه بعض ما يلزمنى من أدوات الحلاقة ، وتصفيف الشعر ، وكان البائع رجلا عجوزاً فى السبعين من عمره ونزقاً ، لا يعرف الانكليزية ولا أعرف الفرنسية ، فكان لابد من اللجوء الى « الانترناشـــيونال لانجويتش » ـ اللغة العالمية ـ وهى التحدث بالاشارة التى تغنى عن العبارة . حتى اذا حرر لى الفاتورة ، بلغت ما يقرب من مائتى فرنك ، لم يكن معي منها الا مائة وتسعين فرنكاً . ورفض بالطبع ان يتناول المبلغ الا كاملا غير منقوص ولا سحتوت . وعرضت عليه ان « يصرف » لي عشرة دولارات او اكثر فقال : هذه ليست مهمتى بل مهمتك . انا لا افهم باسعار العملات ، وازداد نرفزة وحماقة ، وانصرف عني بعد ان استعاد الاغراض مغضباً يتمتم تمتمات خافتة لعلها كانت شتائم من العيار الخفيف ..

ذهبت الى احد البنوك القريبة فى الشانزلزيه السهير ، وعدت ومعى عملة بني فرنسيس . ونقدت صاحبنا العجوز ، العصبى ، المبلغ كاملا . واستعدت منه حاجياتى وكان قد اعادها الى مواضعها . ومضيت عنه وانا اعجب لهذه العقلية المتزمتة فى المعاملة والعصبية الظاهرة عند رجل على حافة قبره .. وما ان قاربت فندقى حتى سمعت صوتاً يهتف بى أو بغيرى : أوه مسيو .. أوه مسيو .. !

تلفت خلفى فاذا البائع العجوز يجرى خلفى بكل ما وسعه الجرى يلهث ويشير الي ان اقف . فوقفت وانا اخمن انه سوف يستعيد ما اشتريته لأن الثمن ناقص .. وكم كانت المفاجأة مذهلة لي حتى كدت أقبل يديه ، حين مد نحوى بمحفظتى وقد نسيتها على طرف طاولته وفيها كل مؤونة الرحلة من العملات الصعبة وقال لي ما معناه بعصبية : يجب ان تاخذ بالك فى المرة القادمة ، فليس كل من فى باريس «مضطراً» ان يكون أميناً .. وقلت لـه ما معناه : ولكنك ـ يا سيدى ـ هلكتنى بفرنكاتك العشرة . فقال : هذا شيء وذاك شيء آخر .. وحينئذ احببت فيه كل صفاته التى انكرتها وعلى رأسها العصبية .. ما دامت مغلفة بالامانة لا بورق السولفان ..



عبد العزيز البشري
الأديب المرح الساخر

بقلم : حارث طه الراوي

عبد العزيز البشري اديب فذ من ادباء مدرسة المرح والسخرية فى ادبنا العربى ـ المدرسة العريقة التى اسسها الجاحظ ، وجددها احمد فارس الشدياق ، وطورها امين الريحاني ومارون عبود وخليل السكاكيني ومن نهج نهجهم فى المرح والسخرية من الكتاب المرحين الساخرين .

ولد عبد العزيز البشري فى حي البغالة بالقاهرة سنة ١٨٨٦ ونشا فى بيت عريق بالعلم والدين . وحسبنا ان نعرف ان اباه الشيخ سليم البشري ولي مشيخة الازهر مرتين .. فكان من الطبيعى ان يُدخل ابنه عبد العزيز فى الازهر حيث استهوى الأدب عبد العزيز فاكب على امهات الكتب الأدبية العربية يقرا ويعيد ويتامل ، وما كاد يتخرج فى الازهر سنة ١٩١١ حتى ابتلعه غول الوظيفة حيث عين سكرتيرا بوزارة الأوقاف حتى سنة ١٩١٤ ثم عينه احمد حشمت (باشا) محرراً فنيا بوزارة المعارف وندبه سكرتيراً عاما للجنة الاصطلاحات العربية التى كان من اعضائها حفني ناصف (بك) واحمد زكي (باشا) . ولما تحول حشمت الى الأوقاف ضاق البشري ذرعا بوزارة المعارف وتاق الى القضاء الشرعي وكان له ما اراد حيث عين قاضيا بالمحاكم الشرعية حتى سنة ١٩٢٢ . ثم ضاق اديبنا بوظيفته هذه فنقل



الشيخ عبد العزيز البشري

مفتشا بالمجالس الحسبية ، وبعد مدة قليلة ندبه عبد الخالق ثروت (باشا) رئيس الوزراء فى حينه ليكون سكرتيراً للجنة وضع الدستور مع بعض رجال القانون . ثم عين مفتشا بوزارة الحقانية سنة ١٩٢٣ ثم عضواً بمجلس حسبي اسيوط فقاضياً بالمحاكم الشرعية فعضواً فى المكتب الفني بوزارة المعارف فسكرتيراً برلمانياً فوكيلا لادارة المطبوعات . واحيل على التقاعد فى الثلاثين من ابريل (نيسان) ١٩٣٠ . ثم اعيد الى المعارف ، ولما انشىء مجمع فؤاد الأول للغة العربية عين فيه فبقى فى منصبه هذا حتى توفاه الله فى الرابع والعشرين من شهر مارس (آذار) ١٩٤٣ وهو يشغل وظيفة المراقب العام لمجمع اللغة العربية .

وبالرغم من ان البشرى انفق فى القضاء مدة ليست بالقصيرة الا انه لم يصور تلك الحياة وما يكتنفها من مشكلات ومضحكات ومبكيات كما صورها توفيق الحكيم مثلا ،

الا نه بعد ان تسنم وظائف عديدة وخبر مناخ الموظفين ، وصف (الوظيفة) وصفا بارعا لا يخلو من السخرية اللاذعة حيث قال :

« فن الوظيفة هذا ، شرح الله صدرك ، واطال عمرك ، ورفع فى المناصب قدرك ، فن واسع الاطراف ، رحب الاكتاف ، موصول الاصول ، مفصل الفصول ، معقد القواعد ، مبسط الامثلة والشواهد ، لا يحذقه الفتى الا بعد الجهد وشدة المطاولة وسهر الليالى فى التفكير والتدبير وتمرين الاعضاء فى كيفية القعود والقيام والسكوت والكلام ، والدخول والخروج ، والهبوط والعروج ، والتشييع والاستقبال ، والخشـــــوع والاستبسال ، والانقباض والتبسط ، والرضى والتسخط او ارهاف الانف حتى يشم الريح على اميال ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حال » (١) .

كان البشري وفيا فى صداقته ، بارعا فى حديثه ، مرهفا فى احساسه ، عصبيا فى مزاجه ، سريعا فى بديهته ، خفيف الروح ، جميل الفكاهة ، رائع الدعابة ، وانك لتلمس هذه الخلال البشرية منبثة فى ادبه ، فاذا ترجم (٢) لصديق عزيز عليه لمست اكثر هذه الخلال الحسنة مجتمعة فى ترجمته ، اما انفعاله وغضبه فيدخره لمن يستحقه من خصومه ومزعجيه .. فاين الموضوعية فى هذا واين الظلال الواجبة الوجود فى كل صورة لتسمى صورة ؟ .

وهكذا فان طيبة حسين رشدى (باشا) فى علاقاته الشخصية وسلوكه الاجتماعى تدفع البشري الى ان يرسم له فى الجزء الاول من كتابه « المختار » صورة كبيرة ذات الوان جذابة لهذا الجانب الطيب فى الرجل ويتغاضى عن رسم خطوط ســـــلبياته السياسية الخطيرة فى هذه الصورة . ومن الادلة على النهج العاطفى للبشرى قوله : « لست احاول فى مثل هذه العجالة ان اجلو على القارىء الكريم صورة كاملة لرشدي باشا او ان اترجم له ترجمة وافية تكافيء عظمته العظيمة فان من فتنة الدعوى ان تظن ان مثل حسين رشدى كله يجتمع فى مقالة او فى مقالات ، انما هو من اولئك الافذاذ المعدودين ان لم يكن فى العالم كله ففى الشرق على الاقل . فما اخلق رشدى بان يتجرد لبحثه وتحقيق عبقريته نفر من علماء النفس والتاريخ


حفني ناصف


عبد الخالق ثروت


حافظ ابراهيم

واذن لخرجوا منه كل يوم بعظيم .. » .

وبعد هذه السطور التى لا تخلـــو من المبالغة يحدثنا البشري بصورة متتابعة عن نشاة رشدى وذكائه وفطنته وعبقريته وقوة حجته وشجاعته ونزاهته وعطفه وبره وليس لنا من اعتراض على هذه الصفات الضخمة التى كان يتحلى بها رشـــدى (باشا) فقد خبرها البشرى فى الرجل ووقف عليها بنفسه . ولا اخال البشرى الا صادقا عندما قال عن ذلك : « .. ولكني اروى عنه حوادث متفرقة شهدتها كلها بنفسي او ترويتها عن الثقات الذين لا يترقرق الشك حول خبرهم .. » .

ولكن اما كان الاجدر بالبشرى – وهو يرسم بريشة الفنان القدير صورة رشدى – الا يبخل عليها بالظلال . فهو يعرف والتاريخ يعرف ان رشدى (باشا) تعاون مع المحتلين الانكليز تعاونا كبيرا على حساب المصلحة الوطنية المصرية فى اعقاب سنة ١٩١٤ وقد نكر ذلك حسين شفيق (باشا) فى الطبعة الاولى من الجزء الاول من كتابه بل موســـوعته الكبرى « حوليات مصر السياسية » . ولكن البشري تغاضى عن هذه العثرة عند صديقه رشدى واكتفى بالاشـــارة واللف والـدوران والتبريرات الواهية كقوله : « ولست اريد ان اعرض لشانه فى اعقاب سنة ١٩١٤ م فذلك كما اشار رئيس مجلس النواب ووكيل مجلس الشيوخ فى تابينه ، من حق المستقبل ان يحكم فيه بعد ان يطالع ما طاف به من الظروف ، وما اتكا عليه من الاسانيد ، الا اننى فى هذا الباب لا انسى ان رشـدى كان شجاعا فى احتمال تبعـة ماوقع على يديه ، وكان له ، بالطبع ، راى فيه ان خيرا وان شرا . وهـــو على انه ، كمـــا علمت ، قد راجع الكثيرين من اصدقائه فى الامر فاقروه واجازوه ، الا ان شجاعته ابت عليه فى معرض الجدال ان يشرك معه فى تبعة الامر احدا ، بل لقد مضى بها وحده ، محتسبا انصافه عند التاريخ وحده .. » .

وهكذا طوى البشري هذه الصفحـــة المعتمة من حياة رشدي متوهما انه رسم الصورة الكاملة له من غير الظلال التى رسمها التاريخ فى كتاب حسين شفيق (باشا) ..

ولكن البشري عندما يريد ان يرسم صورة لخصمه فانه يتفنن فى اظهار ظلالها فقد نشر فى كتابه الرائع « فى المراة » مقالين عن شخصية لم يذكر اسمها ، وكان عنوان المقال الاول « الشيخ » وعنوان المقال الثاني «شيخ السوق» . مما قاله فى مقاله الثانى : «لقد دهي هذا البلد بشيخ رومي التبعة ، المانى الطلعة ، انجليزى النزعة ، له وجه كسنام البعير ، ووجنتان كانما استعيرتا من نار السـعير ، يفرق بينهمـا منخـران غليظان يقذفان بالحمم ، ويروحـان على جليسه باخبث من ريح الرمم ، ودونهما فم قد افتن الشيخ فى احكام دباغه ، وتجديد اصباغه ، فاذا راعتك منه حمرة الشفاه ، فاعلم ان ذلك فى صنعة – دلمار – لا من صنعة الله . وله عينان نقتا عن الانظار فلا تستكشفهما العيون الا بمنظار ، على انهما ابصر من زرقاء اليمامة ، وهيهات ان يخطئهما الدرهم من هنا الى يوم القيامة . وله عنق قد رهلت جلده السنون الطوال ولولا (البودرة) تمسكه لسال » .

اما الصور « الكاريكاتورية » التى رسمها البشرى بقلمه فى كتابه « فى المراة » لبعض الشخصيات السياسية والادبيـة والاجتماعية ، فدقيقة كل الدقة ورائعة كل

عبد العزيز البشري

الأديب الهزع الساخر



جبران خليل جبران



ميخائيل نعيمة

الروعة . وقد صدق شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم عندما قال فى هذا الكتاب :

« تريك المرايا الخلق فيهن مـــاثلا
وهذى تريك الخلق والنفس والطبعا»

ومن صوره الرائعة المضحكة فى هـذا الكتاب وصفه لشكل احمد مظلوم (باشا) حيث قال البشرى : « لعمرى لو وقفت على عنق من الناس فحاجيتهم : ما اطول الحظوظ فى اطول الاعمار فى اطـــول الاجسام ؟ لاجابوك فى نفس واحـــد : (مظلوم) ! ــ وجه طويل ، على عنق طويل على جسم طويل . ولو رايته يمشى ولم تكن بعد تعرفه لخيل لك انه (زفة بهلوان) وقف فيها رجل على كتفى رجل ! وفى الحق انه لو قدر ــ لا سمح الله ــ وازيل عنقه وما فوقـه عن كتفه وما دونهما لتمثل منهما رجلان اشبه ما يكون كل منهما بخلق مظلوم !

اسطوانى الراس ، ساهى العينين ، لو تاملت فيهما ما اعطتاك الا ان وراءهما عدا كبيراً وزيغاً فى ارقام كثيرة ! . مرسل الانف رحب الفم ، ممدود الذقن ، طويل اليدين والساقين واني لاخشى ان ينكشف الزمن ، ولو بعد حين ، عن ان مظلوما هذا رجلان (اقتصاديان) اتصلا بحيلة لطيفة حتى خرجا للناس فى صورة رجل واحد ، وتوسلا بهذا الى ان لا يدفعا عند السفر الا ثمن تذكرة واحدة وفى الفندق (الأوتيل) الا اجر سرير واحد . والواقع ان من شهدوا مظلوماً وهو يتعشى لا يشـــكون فى ان (جماعة) باسرها تاكل فان كان ولابد رجلا واحداً فهو انما يجتر ليومه الثانى ! » .

وللبشري لمحـــات رائعـة في مراتـه اشبه ما تكون بالدراسة المستوفية ، من ذلك مقاله عن « شوقى » حيث احاط بنفسية شوقى ومنابع الهامه وسر تفوقه احاطة السوار بالمعصم ، من غير ان يستشهد ببيت واحد للتدليل على ما يقول ، فقد اغنته حججه وتعليلاته عن الاستشهاد بقريض صديقه « شوقى » . وبالرغم من ان البشري يقول فى حديثه عن « شوقى » « على انني فى هذه المراة فى سبيل تحليل نفس شوقى لا تحليل شعره » . فقد حلل شاعريته واتجاهاتها وسر قوتها وميزاتها خير تحليل ، وما اجمل قوله عن « شوقى » الشاعر : « صائد لا يخطىء سهمه وانه ليصيب ارفع المعانى من اول رمية ، وإنه ليرتفع بك اليها او ينزل بها اليك فتسيغها فى غير عسر ولا عناء ، وان كنت حقا شاعراً بانه انما جاء بما يجاوز تفكيرك ويعلو على مدى تخييلك .. » .

ولئن كان البشرى مصوراً بارعا للاشخاص فهو مصور بارع للحـــالات والاحداث التى يمر بها ، ولا اعتقد ان كاتبا يستطيع ان يصف حالته قبل ركوب الطائرة واثناء ركوبها وبعد ركوبها كما وصـــفها عبد العزيز البشري ، فما ترك الرجل مشهداً الا ورسمه ولا حادثة الا وذكرها ولا اختلاجة شعور ــ مهما دقت ــ الا وصورها تصويراً فنيا ، حتى جعل قارئه يتمنى لو ان البشري قد الف عن رحلته كتابا براسه مادام ينتقل من نكتة بارعة الى نكتة لاذعة وما دام البشري قد اتاح بوصفه الدقيق الطريف رحلة مجانية للقارىء ..

وللبشري مقالات وجدانية تاملية واجتماعية فكاهية غنية بالصور الحيـــة المشوقة والخيال الطليق اللذيذ ، ولا غرو ، فالبشري كاتب مقالة من الطراز الممتاز ، وما كان كذلك الا لانه لم يبعثر جهوده القلمية فيما لا قدرة له على الاجادة فيه ، وهكذا ابتعد البشري عن القصة والمسرحية ، وللرجل عذره فى كونه ليس من المطلعين على الآداب الاجنبية بلغاتها الاصلية فى هذا الباب ، وقد تصعب كتابة القصة وتتعذر كتابة المسرحية البارعة المكتملة على من هو عديم الالمام ببعض لغات الفرنجة وآدابها .

ولعل خير مقالات البشري الادبيـــة المستوفية للشروط الفنية هى مقالاته التى نشرها فى كتابه « المختار » والتى نشرت بعد وفاته فى كتابه « قطوف » . وفى مقالات اديبنا المرح الساخر وضوح يوشك ان يقترب من السطحية ، وذلك بعكس مقالات مصطفى صادق الرافعى فى « وحي القلم » وامين الريحاني فى « الريحانيات » وجبران خليل جبران فى « العواصف » وميخائيل نعيمة فى « المراحل » . فالعمق الفلسفى الشائع فى ادب هؤلاء الادباء وامثالهم لا وجود له فى ادب البشري ، فهـو اديب اسلوب قبل ان يكون اديب فكرة ، ولا يصح ان يقال انه اديب مرح فى اسلوبه وادب العمق الفلسفى يفتقر الى اسلوب جاد . فالريحانى يكاد ان يكون اكثر من البشري مرحاً وسخرية ولكن ادبه ثرى بالعمق الفلسفى .

ورغم هذه الملاحظة على ادب البشري فان ادبه يبقى ذا نكهة خاصة محببة ترتاح اليها النفوس المتعبة المكدودة .

حارث طه الراوي

بغداد

هـــوامـــش

(١) عبد العزيز البشري ، « المختار » ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٥ .

(٢) يرى الاستاذ جمال الدين الرمـادي فى ص ١٣٧ من كتابه « ادب البشري » ان تراجم البشري لا يصح ان تسمى تراجم (بيوغرافي) بادق معانى هذه الكلمة واصدق مدلولات هذا اللفظ وانما هي (استعراض ادبي) . والاستاذ الرمادي محق فى رايه هذا .



صنعاء

مدينة التقاليد العربية وفرسان الحكايات الشعبية

بقلم : فوزي الخميس

من يدخل مدينة صنعاء يدرك منذ الوهلة الأولى أنها مدينة أزلية قديمة ، فالقصص التى تروى تقول أنها أول مدينة عمرت بعد الطوفان وسميت باسم بانيها سالم بن نوح ..

وهى اليوم تزهو بجمالها الذى يجمع بين أساليب الفن المعمارى الشرقى واللحضارة الحميرية ، وكذلك ، الفن المعمارى الحديث !

وصنعاء القديمة ، يحيطها ذلك السور الذى ترجع بعض أجزائه إلى أيام الأيوبيين فى اليمن ، والذى كان أول من بناه هو الملك الحميرى (شعر أوتر) عندما ضعف حال الحميريين ، وجعل عليها أبراجاً بينها مسافات محددة ، وجعل للمدينة أبواباً مشيدة بالأبراج على طرق ملتوية يتعذر فيها الدخول والخروج بدون علم من الحراس ، وخاصة فى أيام الحرب ، ولكن الأتراك قد غيروا هذه الأبواب ، وأزاحوا الالتواء منها ، وأزالوا الأبراج ، ولم يبق على حالته الأصلية منها غير بابى قصر السلاح وشبران ، وفى عام ١٩٦٢ أصبح الباب الغربى مفتوحاً ومكشوفاً ، ويقول اليمنيون أن هذه الأبواب كانت تقفل على المدينة ، بحيث لا يخرج ولا يدخل منها أحد ، وأن القادم اليها بعد مغيب الشمس كان ينام ـ دائماً خارج الأسوار حتى الصباح !

الجامع الكبير

ولو دخلنا السور لوجدنا مدينة صنعاء القديمة تتمتع بتقسيم جغرافى عجيب ،

صنعاء

بحيث تنقسم إلى أحياء ، وكل حى بلا استثناء يتألف من عدة منازل متعددة الطوابق ومبنية على الطراز الصنعانى الجميل ، وفى وسط كل حى تقريبا فى صنعاء يوجد الحمام الذى يعمل بالبخار ، فأهل اليمن يعشقون الحمام المسمى بالحمام التركى .. على غرار المغاربة ـ كما يوجد فى كل حى من أحياء صنعاء مسجد بجانبه حديقة أو بستان ـ وقف للمسجد ـ يعتنى أهل الحى بهذا البستان فيزرعونه فى الغالب بالخضروات والفواكه ، ويباع الريع لصالح المسجد الملحق به مدرسة لتعليم القران لأطفال الحى ، بحيث يغطى انتاج البستان مصروفات المدرسة وطلابها والمسجد !

ويؤكد المؤرخون أنه كان يوجد فى صنعاء ١٠٦ مساجد حتى القرن العاشر الميلادى ، من أبرزها مسجد الجامع الكبير الذى يعتبر اليوم من الآثار الاسلامية النادرة ، وقد تم بناؤه بأمر من الرسول الكريم حيث يقول الرازى فى تاريخه لصنعاء ما خلاصته أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه ببناء مسجد لاهل اليمن فى بستان (بهذان ابن ساسان) وهو آخر حاكم فارسى حكم اليمن قبل دخول الاسلام إلى صنعاء

وسيلفت نظرك فى الجامع الكبير ذلك النقش الذى يسجل تاريخ بنائه ، وكيف أن هذا المسجد أمر الرسول ببنائه قبل مسجد الجند ، واعيدت عمارة المنارة الغربية فيه بأمر من ملك الأكراد مصطفى علم الدين الذى أنفق عليها من ماله الخاص فى عام ٦٠٣ هـ !

ويمثل الجامع الكبير تحفة فنية أثرية تدل على عظمة اليمنيين الذين أقاموا هذا البناء الضخم باسطواناته وهى من الآثار الحميرية وانقاض قصر غمدان وأغلبها حجر واحد من الأساس إلى منحنيات العقود !

وقد أعيد ترميم هذا المسجد ثلاث مرات عبر ثلاثة قرون ، المرة الأولى فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان الذى ولى أيوب بن يحيى الثقفى على صنعاء وجعله يقوم بتوسيع الجامع فى اتجاه الشمال ، والمرة الثانية عندما أعيد بناء الجامع من جديد فى القرن التاسع الميلادى عقب الفيضانات الهائلة التى تعرضت لها صنعاء ، وكانت المرة الأخيرة فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما أعيد ترميمه !

قصر غمدان

ووسط مدينة صنعاء التى تمتد بين

نافذة بديعة من فندق قصر الروضة الذى مازال يحمل طابع الفن المعمارى الأصيل .



احتفالات شعبية فى شوارع صنعاء تبدو فيها مجموعة من الادوات الموسيقية ..



المرأة اليمنية تجهز الخبز المستدير المصنوع من الذرة أو القمح .



جبلى عيبان من الغرب ونقم من الشرق ، كان يقبع قصر غمدان الذى قال عنه الجاحظ بانه أحد عجائب الدنيا القديمة الثلاثون ، والذى تغنى بعظمته أعظم الشعراء ، والذى كان أول ناطحة سحاب فى الدنيا اقامها اليمنيون !

وقد قالوا عن ذلك القصر العظيم أنه كان أول قصور اليمن وأعجبها ذكراً ، وكان به عشرون سقفاً غرفاً بعضها على بعض ، واختلف الناس فى الطول والعرض فمنهم من قال كل وجه علوه ألف بالف ، ومنهم من زاد الرقم ، وكان ما بين كل سقف عشرة أذرع !

وفى وصف هذا القصر قال الهمدانى :

من بعد غمدان المنيف وأهله
وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحقاً بالقطر منه صخره
والجزع بين حروبه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا فى صدره قطارة
لحساب اجزاء النهار تقطر
والطير واقفة عليه وفودها
ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها
وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى ترد
أربابه مدخولة لا يعسر

ويقول محمد بن على الأكوع الحوالى فى كتابه « اليمن الخضراء مهد الحضارة : إن شئت أن ترى عظمة قصر غمدان فانظر إلى أحجار واسطوانات الجامع الكبير الذى بنى من انقاضه !

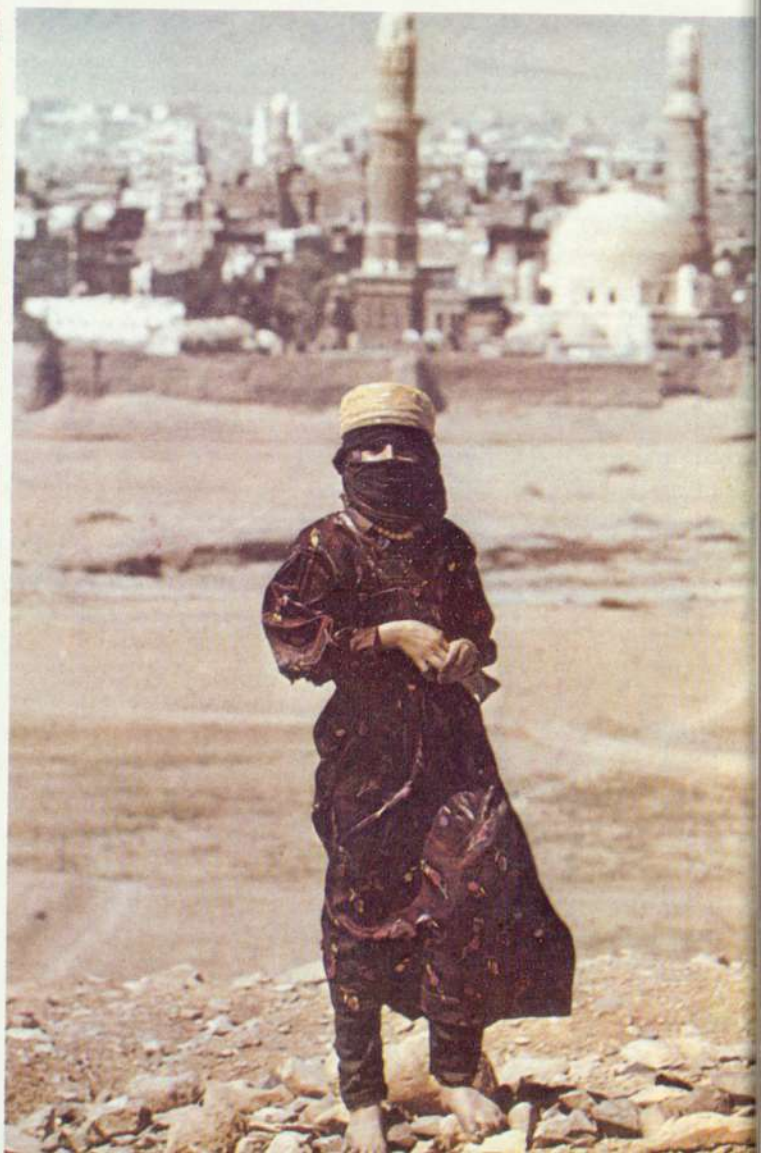
وقال أيضاً فى كتابه : أن الهمدانى أوضح أين كان مكان قصر غمدان ، فهو قبالة الجامع الكبير من الشرق ، وهو المرتفع الذى فيه البنايات والبيوت ، وقد كان ممتداً إلى سوق القضب ومسجد الشهيدين كما هو متعالم به اليوم

التقاليد والحكايات الشعبية

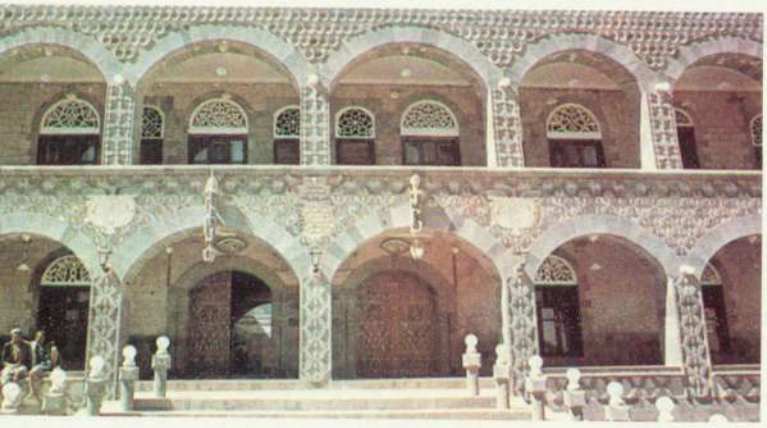
ان أحفاد الذين بنوا قصر غمدان ، هم الذين يتفننون اليوم فى الحفاظ على الذوق الفنى والطابع الأصيل فى العمارة اليمنية فهم يبنون بيوتهم فى صنعاء ـ المدينة الجبلية ـ مستخدمين الحجارة كمادة أساسية فى البناء ، وهم يحافظون على طرازها الاسلامى ، ويحرصون على سعة صحن البيت وارتفاع سقفه وتزويقه بالجص والآجر المحروق والحجارة !

وإذا كان الصنعانى بوجه عام يعتز ببيته الاسلامى العربى وبمساجده التاريخية وبأسواقه القديمة المليئة بالتجار المهرة والصناع الذين تتعدد حرفهم بداية من دباغة الجلود إلى صناعة الحلى الذهبية والفضية ، فانه يعتز ـ كذلك ـ بملابسه التقليدية وبالخنجر الذى يضعه فى وسطه ويسمى «الجنبية»

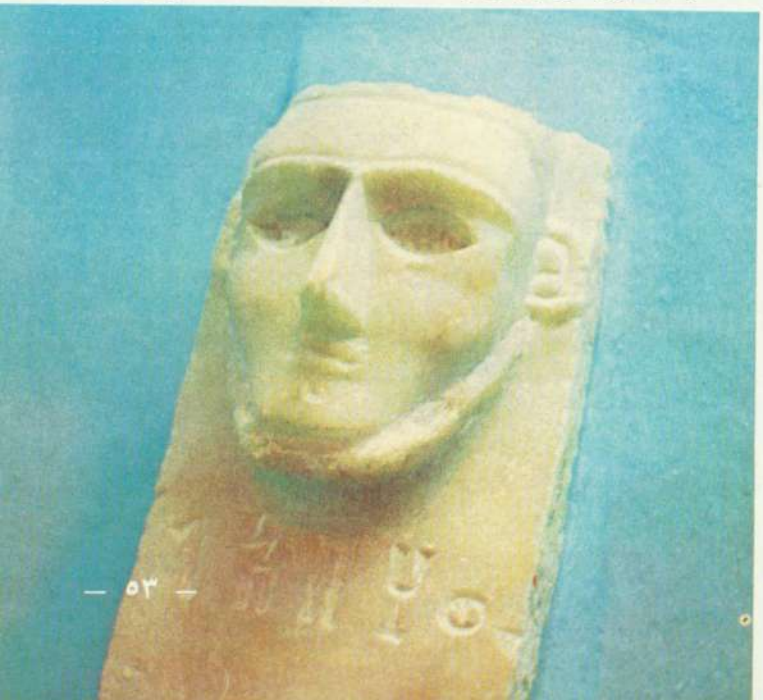
صنعاء العاصمة .. كما تبدو خلف هذه الفتاة ..



قصر الضيافة .. بنى على الطراز اليمنى الاصيل .



رأس منقوش على مرمر ابيض .. تحفة فنية فى متحف صنعاء المليء بالآثار .







قراءة القران الكريم . داخل الجامع الكبير .. اقدم مسجد فى اليمن ، وقد اعيد ترميمه ثلاث مرات ، عبر ثلاثة قرون .

صنعاء

ليكون بمثابة السلاح الذى لا يفارقه ، فهو يستخدمه فى الاعياد وفى الرقصات الشعبية التى تؤدى فى المناسبات الهامة !

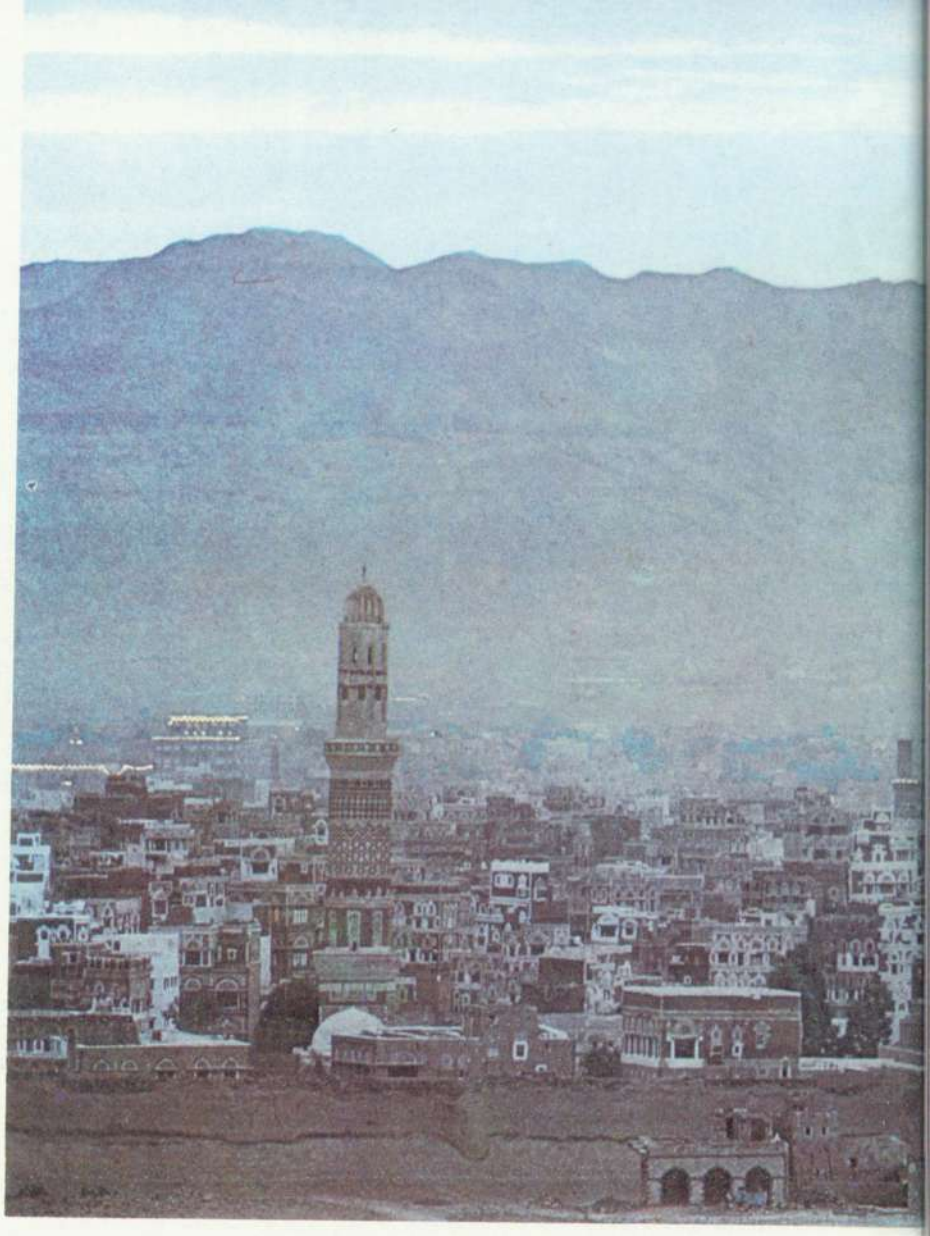
وفى كتاب « صنعاء مدينة عربية اسلامية » قال مؤلفه المستشرق الانجليزى « سارجنت » : إنهامدينة مازالت تحتفظ بالكثير من التقاليد القديمة المندثرة فى عديد من المدن العربية ، سواء من جهة سلوك سكانها الاجتماعى او من جهة التقليد المعمارى أو من جهة تعايش حياة المدينة مع الحياة الريفية والبدوية فى آن واحد ، بحيث يستطيع الباحث أن يرى مختلف أوجه النشاط ومدى تطوره فى وقت واحد وفى حى واحد من أحيائها العريقة .. ولو قام بدراسة فولكلور جنوب الجزيرة العربية مثلا ، يجد فى صنعاء كثيرين ممن مازالوا يعيشون الحياة التقليدية بدقائق تفاصيلها ، فلا يحتاج إلى كبير عناء فى البحث عن الشعر الشعبى أو الغناء القديم فى ذاكرة المعمرين ، ولا إلى سؤال العجزة عن أشكال الملابس والحلى القديمة ، ويكفيه أن يزور ناحية من نواحى المدينة ليعاين على الطبيعة ما كان ومازال يلبسه الناس دون أن يدخل عليه أى تعديل !

ويقول أيضا : « إن معظم الحكايات الشعبية العربية مصدرها اليمن ، أو حورت فى اليمن وفى صنعاء خصوصا ، فمن حكاية ملوك تبع إلى وضاح اليمن إلى على الزيبق إلى سيف بن ذى يزن ، كلها من أصل يمنى ، وتسرد بواسطة الخيال الشعبى تاريخ اليمن السعيد وحروبه فى جنوب الجزيرة العربية وما يتعداه إلى بلاد الشام أو المغرب ! » ..

هزيمة اليهود

إن تاريخ صنعاء مليء بالحقائق والحكايات التى الهمت الشعراء والكتاب على مر العصور والأزمنة .. فهذه المدينة المسلمة الآمنة ، كانت فى يوم من الأيام مرتعا لليهودية قبل الاسلام ، عندما دخلت اليمن كلها آنذاك فى الدين اليهودى على يد «ذى نواس» أحد ملوك حمير ، الذى اضطهد النصارى وبنى لهم الاخاديد وأحرقهم فيها وأحرق كتبهم ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة وعن أصحاب الاخدود ..

ومن أصحاب الأخدود تمكن رجل من الهرب الى قيصر الروم يستنجده . فبعث معه هذا رسالة الى النجاشى ملك الحبشة ، يحثه فيها على نصرة المسيحية وفتح اليمن وعلى الفور ، كلف النجاشى أحد قادته ويدعى (أرياط) بالمهمة وأوصاه النجاشي بوصية قال فيها ، اذا تمكنت من فتح اليمن فاقتل ثلث رجالها ، وخرب ثلث ديارها ،



صنعاء وقت الغروب .. وخلفها جبل نقم من الشرق .

وارسل الي بثلث نسائها فزحف هذا القائد ، على رأس سبعين الف مقاتل من الاحباش ، وخرج ارياط مع السفن والفيلة عابراً البحر الاحمر حتى وصلوا سواحل اليمن وهناك دار القتال بين الاحباش ، وجنود الملك اليهودي (ذونواس) ، فانهزم اليهود امام الاحباش ، ثم قام (ذو دجن الهمداني) لمقاتلة الاحباش لكن الهمدانيين تفرقوا عنه فانهزم هو الاخر ..

واحتل الاحباش اليمن عام ٥٢٥ م واتخذوا من صنعاء عاصمة لهم . وبدأ القتل والتقتيل في أهل اليمن وبدأ الهدم يجتاز حصونهم ، وبدأ أيضاً الخلاف بين قادة الاحباش .. وانشق ابرهة بن الصباح على رئيسه ارياط واقتتلا ، وضربه ارياط بحربته فشرخت حاجبيه وشفتيه ، وبذلك سمي ابرهة الاشرم .. لكن غلام ابرهة حمل على ارياط من الخلف وقتله ، واجتمع الجيشان تحت إمرة ابرهة !

وعندما وصل الخبر الى النجاشي ، غضب غضباً شديداً واقسم ان لا يدع ابرهة حتى يعود اليه ويحز رأسه . وعلى الفور حلق ابرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعثهما مع رسالة الى النجاشي تقول : ايها الملك إنما كان ارباطعبدك وانا عبدك .. اختلفنا في امرك إلا انني كنت اقوى على امر الحبشة ، واضبط لها ، واسوس منه ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني امر الملك وبعثت اليه بجراب من تراب ليضعه النجاشي تحت قدميه ، فيبر بقسمه !

وهنا رضي النجاشي عنه . وكتب اليه ان اثبت في أرض اليمن حتى ياتيك أمري .. وهنا بدأ حكم ابرهة الحبشي في اليمن !

جيش الفيلة

بدأ ابرهة حكمه لليمن بطموح شديد ، وتعاظم نفوذه ، فاقسم أن يسير الى البيت الحرام ويهدمه ، وامر جنود الحبشة .. فتجهزت وكان مع الجيش ثلاثة عشر فيلة كبيرة من بينها فيل ضخم اسمه محمود ، وهي تحريف للفظ مامور ومعناها فيل .. خرج الجيش من صنعاء فتصدى له اشراف اليمن برئاسة (ذونفر) لكنهم للأسف خسروا المعركة .. والقى ابرهة القبض على رئيسهم (ذونفر) فاسره وواصل سيره الى الحجاز وفي طريقه خرج عليه (نفيل الخشعمي) فقاتله حتى انهزم جيش نفيل واخذ ابرهة رئيسهم نفيل اسيراً ، وضمه الى (ذي نفر) حتى إذا وصل الطائف ارسلت معه ثقيف رجلا اسمه ابو رغال ، ليدل ابرهة على طريق البيت وفي جبال الهدى مات ابو رغال فرجمت العرب قبره فيما بعد ..

وعندما وصل ابرهة الى وادي محسر ، حدث ما حدث بينه وبين عبد المطلب كبير قريش ، وكلنا يعرف القصة التي تحدث عنها رب العالمين في كتابه الكريم وكيف ارسل الى الغازين طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فانتهى ابرهة ، وانتهى جيش الفيلة والاحباش .

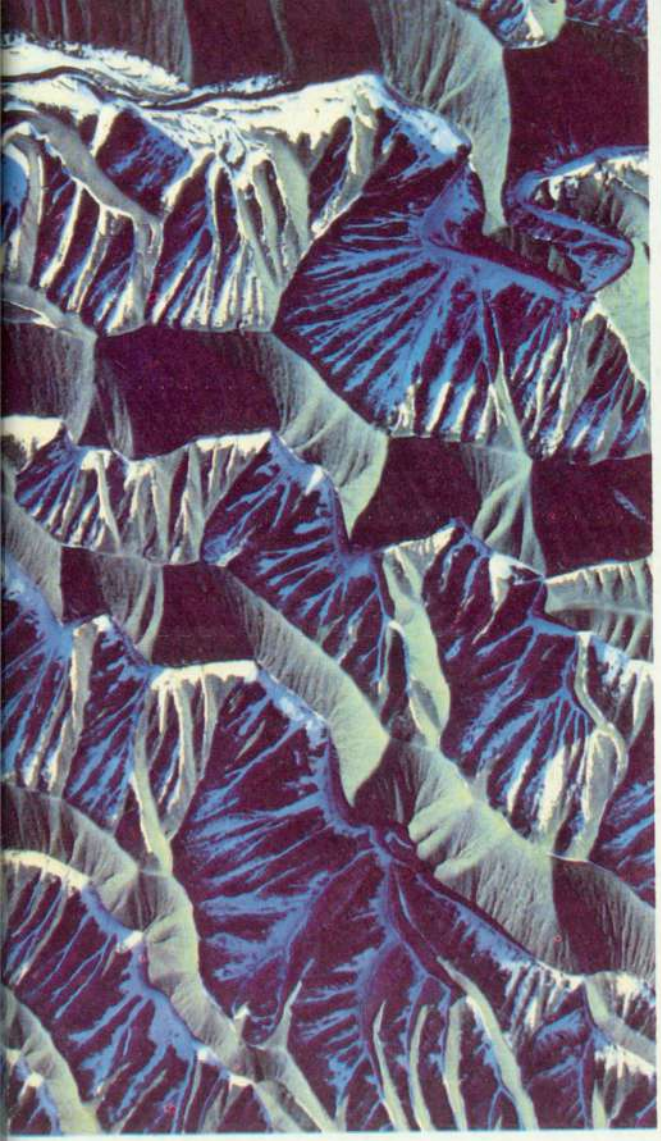
وفي صنعاء حالياً .. تدور بين العوام اسطورة جديرة بالاهتمام .. والنقل ..

يقول الناس .. إن الله سبحانه وتعالى نجى احد جنود ابرهة من الموت .. فهرب هذا الجندي وعاد الى صنعاء ، ولما وصل الى هذا المكان ، صاح بالناس حتى تجمعوا فقص عليهم ما شاهده قرب الكعبة وكيف أن الطير هزم الفيلة .. وان ابرهة وجيشه قد أبيدا عن بكرة أبيهم ، ولما انتهى الرجل من قصته جاء احد تلك الطيور وضربه بحجر من منقاره فمات الرجل . ومن ذلك اليوم سمي هذا المكان بالحلقة .. والله اعلم ..

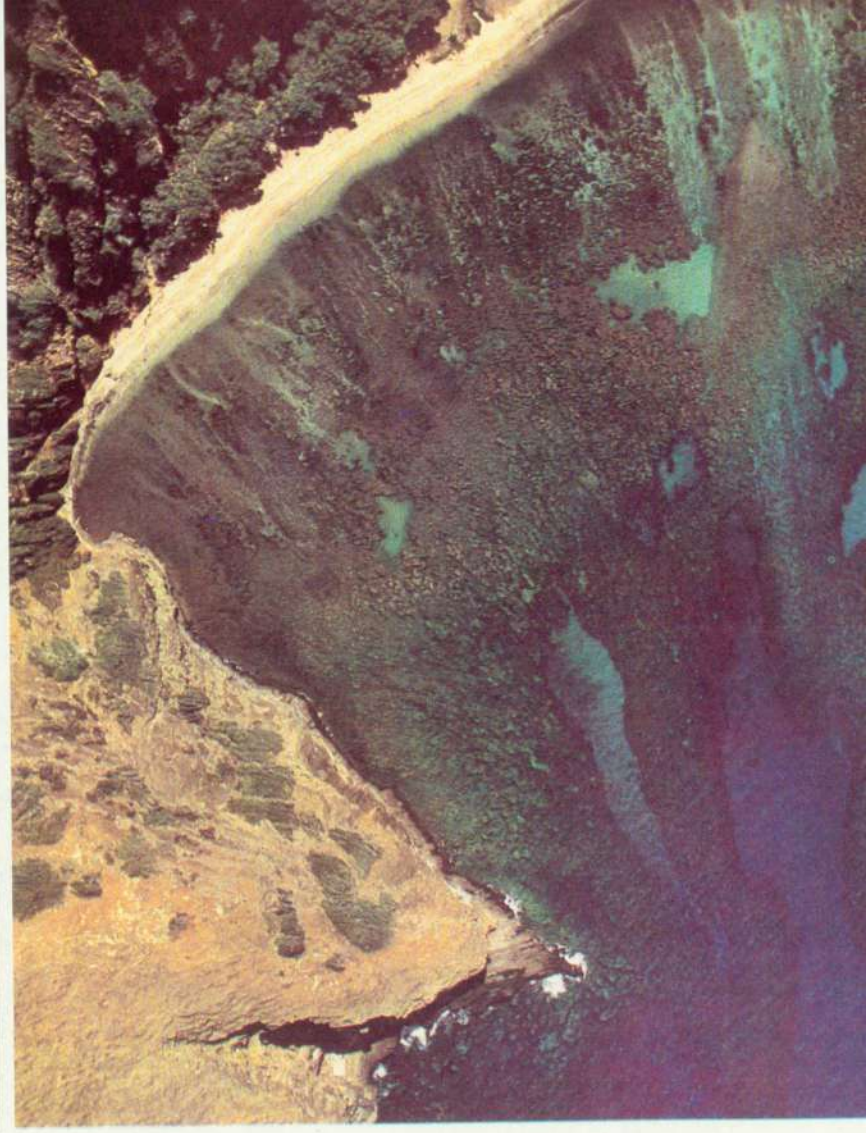
ومن كل ذلك وغيره ندرك ان تاريخ صنعاء مليء بالاحداث والوقائع التي تشهد بعراقة المكان ..

وهذه العراقة هي التي تصنع اليوم صنعاء الحديثة بمؤسساتها العلمية التي على راسها جامعة صنعاء التي انشئت عام ١٩٧٠ والتي تضم كليات التربية والشريعة والقانون والآداب والعلوم والتجارة والاقتصاد .. وهي التي تجعل البناء يدور فيها على قدم وساق في كافة المجالات الصناعية والاقتصادية .. وهي التي تدفع الحركة الأدبية والفنية بكل روافدها لتزداد فعاليتها واثرها في الحياة العامة مبشرة بجيل مبدع من الكتاب والفنانين !

فوزي الخميس



اخاديد بفعل تعرية التربة فى يوتا



خليج هانوما بجزيرة هاواى

صور نادرة للأرض

ظل الضوء الفضى الناعم لبدر التمام يشد أنظارنا بسحره الموحي حتى شاهدنا بعيون كاميرات الأقمار الصناعية كوكب الأرض الذى يعمره الماء والطير والشجر والجبال والحيتان وخيرات فعل الانسان وشروره المهددة بالدمار .. فانفتح وعينا على جمال دنيا نحن الجزء الفاعل فيها .. ونجهلها . وَأَفَلَتْ حقيقة الجمال الخادع للقمر المجدور الوجه يوم صوره الانسان محلقاً فوقه ، مقترباً منه . متجولا فيه .

كاميرات دقيقة تصور الدنيا من الفضاء

ولكن الحدود الجديدة التى اخترقها الانسان بعد أن تمكن فى العقود الأولى من هذا القرن من مسح مساحات شاسعة من الأرض جواً ، ثم حاق الى حدود الغلاف الجوى الخارجى للأرض واخيراً الى الفضاء ، قد يسرت للتصوير الفوتغرافى فرصاً نادرة لتسجيل مشاهد للكون مذهلة ، ووسعت ادراكنا لابعاد الكون الرحب الذى نحن جزء منه ، وحفزت بصائر المصورين المبدعين على استلهام هذا البعد الجديد للنظر إلى الأرض ، واستنطاق صورها تجليات لحقيقتها تفتحنا على وعى جديد بالمعمورة وما عليها من بديع خلق العلي الوهاب ، وجميل صنع البشر .

وتمخض عن كل ذلك تطوير وسيط جديد فى المعالجة التسجيلية للأرض .. هو التصوير الجوى الابداعى .. وبه أصبح للكاميرا أجنحة ، وللمصور

قدرة النسر على الرؤية ، فعرفنا عالما أرضيا جديداً تماماً .. مذهلا .. وخلابا . وحافزاً على حشد المعارف واستكناه المجاهيل : وتسابق المصورون إلى استخدام هذا الوسط الجديد .. فبزهم وليم غارنيت الامريكى .. ذلك الفنان المصور الفذ الذى نذر حياته للتجويد كما يقول انزيل آدمز ، أشهر مصورى الطبيعة .

وقد صدر مؤخراً كتاب يضم روائع ما صوره غارنيت من امريكا جواً من أقصى شرقها الى جزر هاواي فى المحيط الهادىء غرباً ، ومن شمالها المتجمد في الاسكا الى شواطئها وخلجانها الدافئة جنوباً .

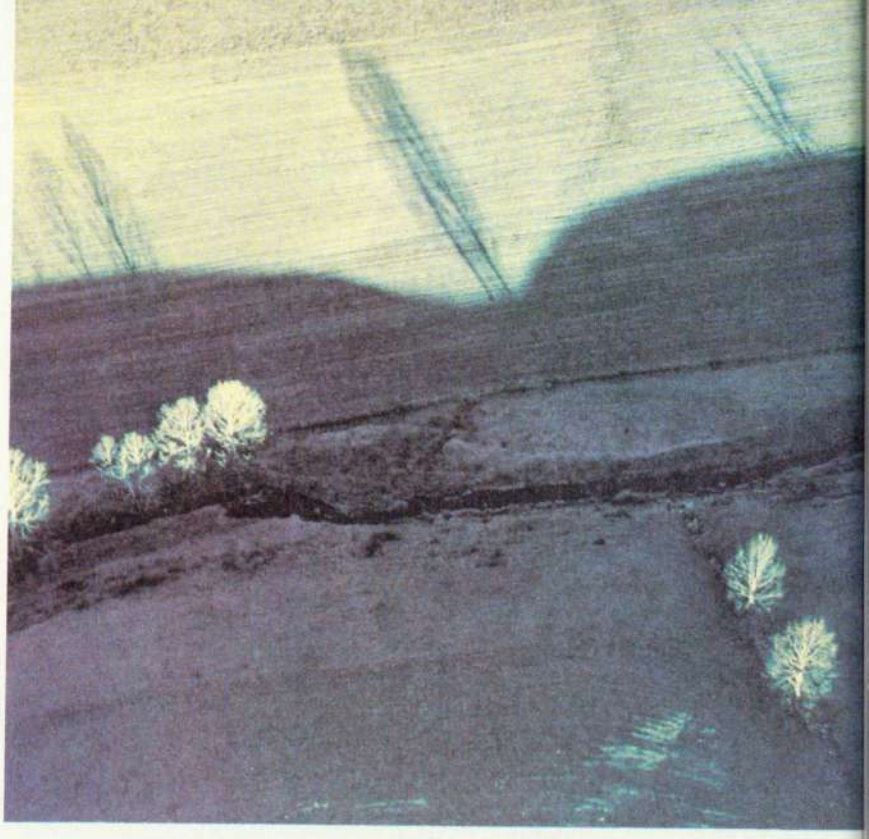
وربما كانت أول فكرة تخطر على بال من يشاهد أعمال غارنيت الفوتغرافية هى أنها أعمال تجريدية . ولكن الواقع غير ذلك . فالصورة التى تلتقطها عدسته هى صورة حقيقية واقعية ملموسة . وهو لم يعدل الصور الأساسية بادخال أى رتوش ، بل عالجها بتجويد بليغ على مستوى الأحساس الشاعرى الحدسى بها موظفاً قدرته الفائقة فى التحكم على الطائرة التى يقودها بنفسه ، وعلى آليات الكاميرا وتقنيات التصوير . وبذا يمكن القول بأن هذه الصور هى مقتطفات مما تحفل به الأرض اختارها غارنيت بخياله وحدسه من ذلك العالم المذهل الذى يموج تحت ناظريه وهو يحلق بطائرته .

ويحرص غارنيت على التأكيد بأن ألوانه طبيعية ، تفصح عن تصوره للقطاته ، ان لم نقل للحقيقة المحسوسة لمواضيعه نفسها . فهو يشكل موضوعه بصورة حدسية ، ويتصوره كاملا .. ثم يشرع فى انجازه .

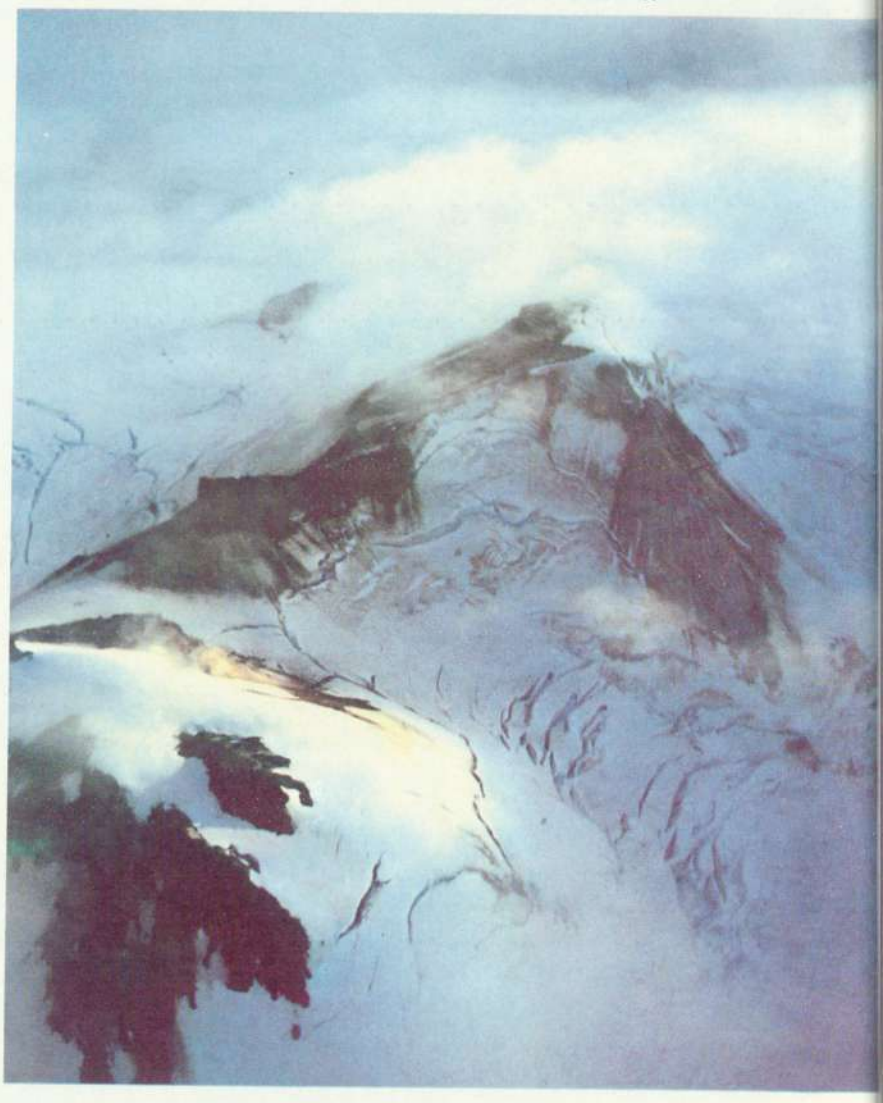
وهو يستخدم عينه الفائقة القدرة على الاختيار فى تحريك آلة تصويره ليسجل ما يتدفق تحته من اشكال وقيم وألوان . وهو يقود طائرته بنفسه ، وبذا يوسع من دائرة تحكمه على هذه الوسيلة ، فيتحكم فى اوضاع كاميرته كما لو كانت على أرض ثابتة ، ولكن بمزيد من الحرية ، وهو كطيار يتمكن من مراقبة تطورات وبلورة اللحظة الحاسمة لاتخاذ القرار .. تلك اللحظة التى تندمج فيها أشكال العالم تحته بعينيه . البصيرتين فى عملية التعبير الفنى الشكلى .

ان دقة تصوره تيسر له أقصى درجات التوقع والاستعداد .. **وتلك مزية ذات أهمية كبرى في التصور** إذ يمكن بها ابراز العالم فى لحظة من المستقبل .. زماناً ومكاناً .. خاصة اذا تذكرنا أنه يستحيل من ذلك العلو تغيير وضع الحدث الجارى فعلا على الأرض ، او ايقاف الطائرة المتحركة .

إن غارنيت يدرك بشكل تام جمال العالم من الارتفاع العالى ، ولكنه يختار ارتفاعاً منخفضاً ليتمكن من تسجيل رؤية أصدق تمثيلا للارض وسطحها المعقد . إنه يطير قريباً من قمم الكثبان الرملية ، وعلى ارتفاع قليل عن الأراضى الزراعية والشواطىء ومصاب الانهار وتضاريس التعرية الطبيعية . وهى كلها ثلاثية الابعاد .. ولكنها لا تمثل **ملامح العالم الذى اعتدنا على رؤيته** . ولذا يمكننا القول بأن صور غارنيت هى بمثابة رؤى مفصحة ومنبئة عن العالم .



مزرعة بولاية فرجينيا عند شروق الشمس



جبل كاتماى فى الاسكا .

كتاب الشهر

الحِرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية



عرض وتلخيص:
جمال الغيطاني

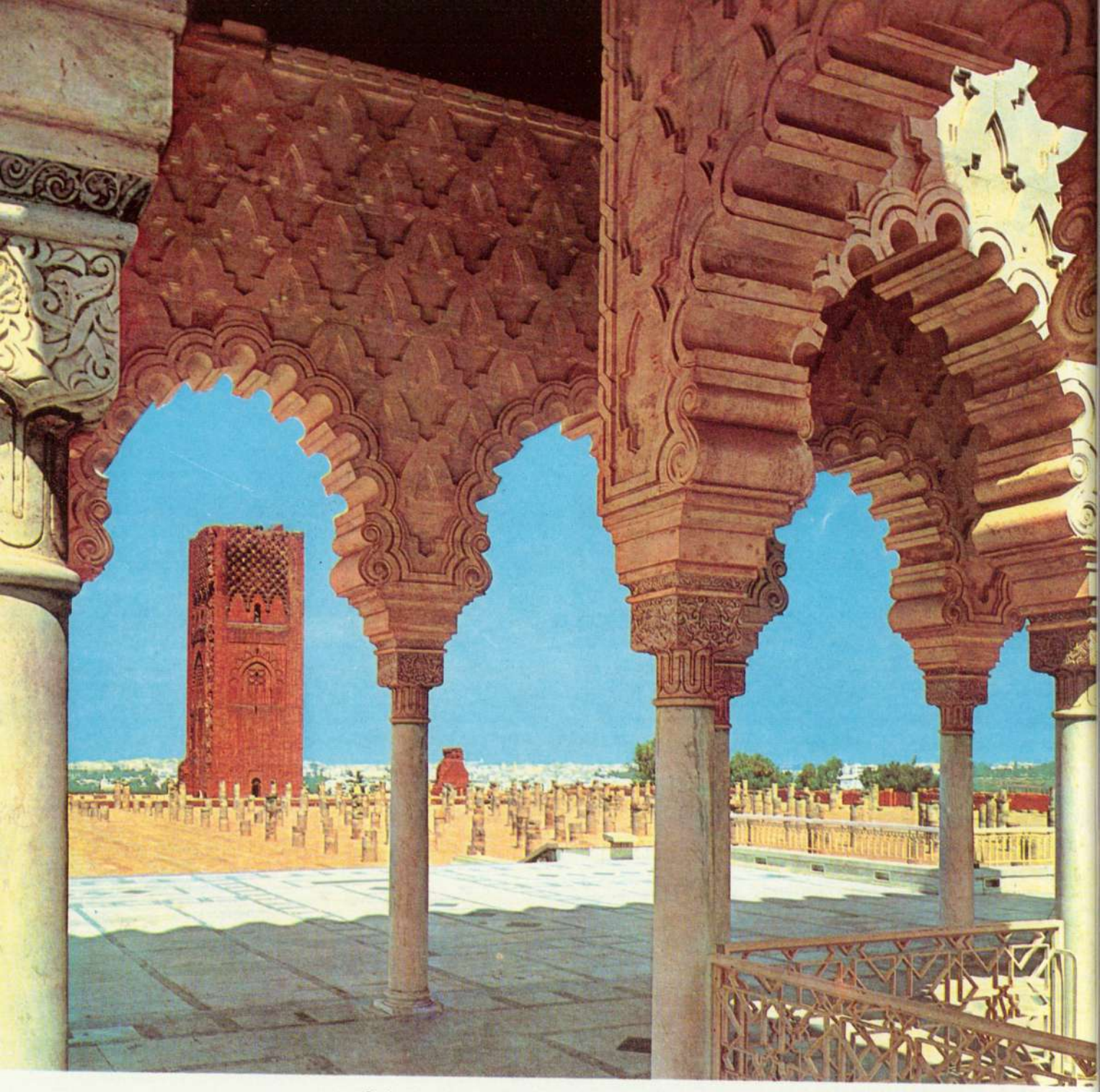


نقوش اسلامية بديعة فى فناء بقصر دار السلام فى الرباط ، حيث نرى جمال تكوين السيراميك والفسيفساء .

«.. تنقضى اربعة اعوام على رحلتى الى المغرب ، ولايزال الحنين يتصاعد الى هذا البلد العربى ، والذى صان الأصالة العربية ، والجمال العربى ، والفن المعمارى العربى ، لايزال انبهارى طازجاً ، وكانه وليد الأمس ، كان السنين لم تنقض ، والأيام لم تمر ، احد عناصر انبهارى هذا بعد الشعب والطبيعة ، فن العمارة المغربى ، المدن المغربية القديمة ، المنمنمات ، والزخارف ، التى تتسم بعظمة الانسان ، وصبره ، وسموه ، فالفن الاسلامى يستند الى الهام دينى بالدرجة الأولى ، وقد لخص الأستاذ الفرنسى جاك بيرك رؤيته فى هذا الصدد ،

«يمكن تعريف الفن الاسلامى بانه فن غير تصويرى طبقاً للأمر الالهى ، ونظراً لان الله هو المصور الأعظم ، فان كل تصوير تشبيهى وخصوصاً كل نحت يعتبر كفراً لانه غير جائز ، إذ فيه منافسة غير مشروعة للخالق . كل شىء فى الزخرفة العربية هو تركيب وتلاق : إذ يجتمع قصد الفنان مع الادراك الحسى والمادة فى تكامل وثيق» .

الفن الاسلامى يتضمن إحساساً راقياً بالوحدة الجمالية ، إنه فن يرتقى بالانسان الى عالم الشفافية ، نجد فى العمارة الدينية ، او المدنية ، وحتى زخرفة ابسط الأدوات ، شهادة انسانية على وحدانية الله ودوامه ، إن فكرة الجمال ـ كما يقول المفكر الاسلامى المغربى على اللواتى ـ ترتبط عند المسلمين بالتسبيح وهو الثناء على الله ، او ببساطة ذكره تعالى . فاغاريد الطيور تسبيح ، والزهرة اليانعة

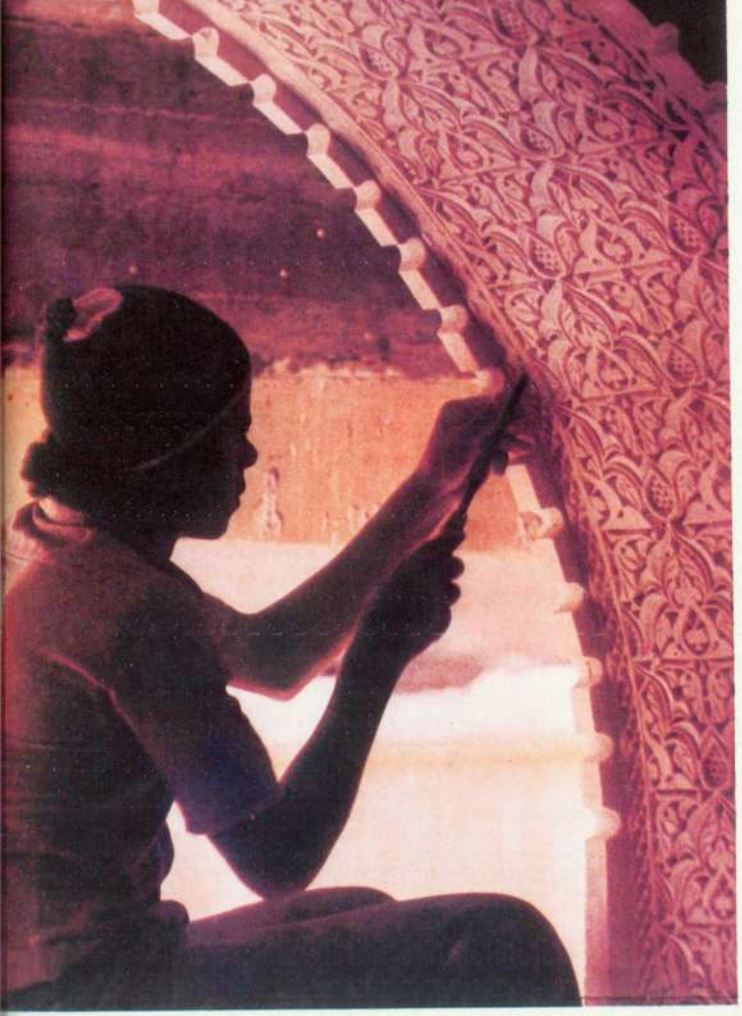


صومعة حسان بمدينة الرباط ، وهى جامعة لخليط من الفنون الاسلامية .

تسبيح ، أما الجمال الانسانى فهو قمة التناسق وما الفن الاسلامى الزخرفى إلا تسبيح عميق تتعدد مظاهره وتملأ الكون ، وتاتى المرحلة الاندلسية المغربية لنشهد معها ولادة قمة فن التسبيح التى لا قمة فوقها ، قصر الحمراء الذى تجلت فيه غاية النضرة والروعة حيث تتجزأ المادة الى اقصى ما يكون التجزؤ ، وتبدو فى شكل تخاريم وشبائك دقيقة حتى لكانها تفقد قوامها ووزنها فتبدو كهاجس فى الخاطر.

وإذا كانت منمنمات وزخارف الحمراء تمت الى الماضى ، فان هذا الفن الرائع لايزال حياً فى المغرب العربى ، لايزال جزءاً من حياة الشعب اليومية ، وخلال السنوات الأخيرة شهد هذا الفن دفقاً جديداً من الاستمرارية.كان المغرب هو البلد العربى الوحيد الذى لم يسيطر عليه العثمانيون الذين هيمنوا على البلدان الاسلامية الاخرى ، وتلك نقطة هامة فى تاكيد الذاتية الصادقة للفن المغربى ، هذا الفن هو محور هذا الكتاب الضخم الذى صدر أخيراً فى فرنسا بثلاث لغات ، الفرنسية ، والانجليزية ، والعربية ، المؤلف مهندس فرنسى ، أندريه باكار ، مهندس زخرفة منذ عام ١٩٥٤ ، ومنذ عام ١٩٧٠ . كرس كل جهوده للعمل فى المغرب ، فى مجال العمارة ، سواء ترميم القصور والمبانى القديمة ، أو انشاء العمارات الحديثة ، الدينية والمدنية ، والتى تستند الى التراث المعمارى المغربى ، وتنهل منه ، استهدف المؤلف غرضين أساسيين :

● تقديم وثائق مصورة لم يسبق نشرها لكشف بعض الجوانب التى لم تعرف بعد عن

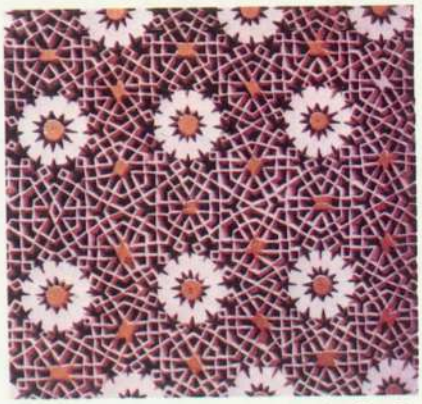


فن صناعة الزخارف الاسلامية ، الذى مازال يتقنه ـ حتى يومنا هذا ـ الانسان العربى .

كتاب الشهر

الحِرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية





تنسيق جميل من الحشوات والزخارف الاسلامية

الفن المغربى التقليدى ، وقد اتيحت له فرصة نادرة ، عندما امر جلالة الملك الحسن الثانى بفتح ابواب القصور الملكية لعدسة المصور لاول مرة فى التاريخ .

● الهدف الثانى ، نقل شهادة المعلمين المغاربة ، اساتذة الحرف التقليدية فى العمارة .

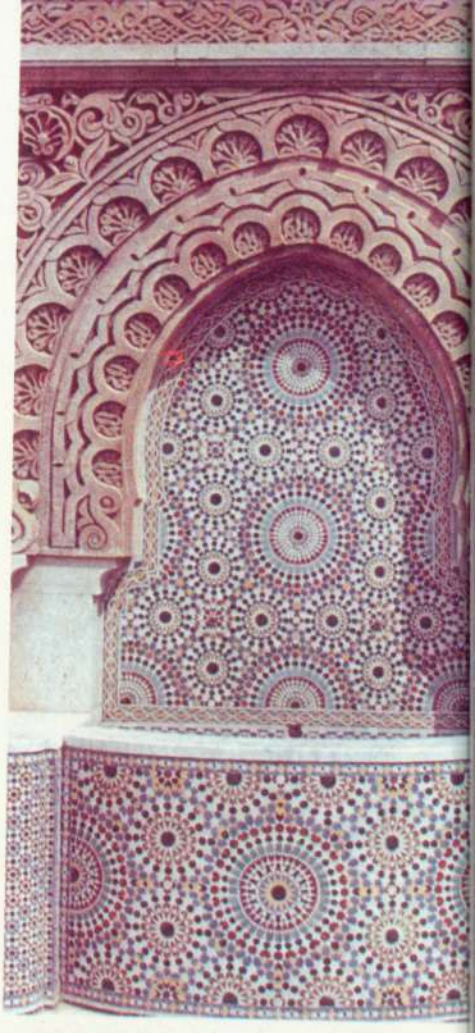
باختصار يكشف هذا الكتاب الذى يقع فى مجلدين ضخمين اسرار فن العمارة المغربى ، ويقدم ما يشبه قاموساً فنياً مصوراً لمفرداته ، ومن قبل ذلك البشر الذين يبدعون هذا الفن العظيم .

المسجد هو القلب

فى العمارة المغربية اربعة مفاهيم اساسية اماكن الصلاة ، والمساكن ، والتخطيطات الناظمة ، والخط العربى ، يقول المثل المغربى ، «الدار اول مايجب ان نملك ، وهى اخر مايجب ان نبيع ، إذ هى قبرنا فى الحياة الدنيا» ، وفى عام ١٩١٤ . قال محمد ابن الرامى البناء الفاسى ، إن قواعد حسن الجوار تنطلق من عاملين اساسيين ، اولا : لا تمنع جارك من تثبيت خشبة سقفه فى جدار دارك الخارجى ، ثانياً : لا تبن دارك بحيث تكشف فناء جارك» .

وكل من زار المغرب يذكر بلاشك الدور المغربية ، حيث تطل على الشارع بجدران واسوار اشبه بالحصون ، وينفذ الانسان من المدخل فاذا به يفاجا بالحديقة الفسيحة ، والفناء الواسع ، فكانه اليسر بعد العسر ، اليسر فى ماوى الانسان ، بيته ، تتركب الدار المغربية من وسط الدار ، فناء مربع الشكل ، مبلط بقطع الزليج (السيراميك) ، يتوسطه عادة حوض ماء من الرخام وتحليه شجرة برتقال او ليمون ، وتقام الحجرات على ثلاثة او اربعة اوجه من الفناء فى طابقين او ثلاثة احياناً . وتحمل الاعمدة سقف هذه البيوت ، وسواء كان البيت المغربى عظيما او متواضعا فانه يقام حول فناء فسيح يسمى وسط الدار ، ولابد ان تبدو عليه المسحة الجمالية ، وعند مدخل الدار يقع مدرج يؤدى الى قاعة فسيحة تقام فيها المادب والاستقبالات ويوضح لنا هذا التنظيم حرص المغربى على ان يفصل بحياء بين حياته العائلية والحياة الاجتماعية . وقد تحددت معالم المسكن المغربى على هذا النحو فى القرن الرابع عشر الميلادى اثناء حكم المرينيين .

والمسكن المغربى هو الوحدة الاساسية التى تتشكل منها المدن المغربية . غير ان المسجد هو القلب والمركز ، سواء المسجد الجامع الرئيسى او مساجد الاحياء المختلفة ، والى جانب ذلك الحمامات العامة ، ويقضى تقليد اندلسى بان يكون السوق قريباً من المسجد الجامع ، والسوق تتكون من مجموعة من الازقة المظللة ، يحف بكل زقاق من الجانبين حوانيت او مشاغل الطوائف ، العطارين والحدادين والنساجين والنجارين والنحاسين ، وتغلق الاسواق اثناء الليل ، وتفرض الحراسة على بعض الاقسام خاصة سوق الذهب ، وتقام الفنادق عادة عند مداخل المدن ، وفى الريف تنتشر الرياض ، وهى حدائق على الطراز الاندلسى تحيط باحواض زهورها واشجارها مسالك مبلطة بالرخام او الزليج الملون ، وتوجد الروضة احياناً فى قلب قلعة حربية لتخفف من حدة تركيبها الهندسى الجاف ، وجدران الحديقة هى بمثابة سور قلعة العائلة التى تطل على الداخل ولا تشرف على الخارج إلا من خلال باب صغير وندرة من الشبابيك الضيقة تفتح فى الجدران العالية ، كما ان الرياض تمثل بصفة رمزية سمة مشتركة فى جوانب متعددة للحياة الاسلامية ، وقد انعكس هذا على الفنون الزخرفية ، فنجد ان الابسطة تستلهم اشكالها من غزارة الخضرة ، وتمثل مجموعة الزخارف المستلهمة اصلا من المصدر ذاته وهو الطبيعة التى تشكل فى الجص ، ولوحات الزواق ، خاصة التشجير



جانب من حائط تتجلى فيه النقوش والزخارف

والتوريق ، مصدر إلهام ايضا لفن زخرفة الاوانى الفخارية ، وبلاطات الخزف ، والانسجة والمخطوطات .

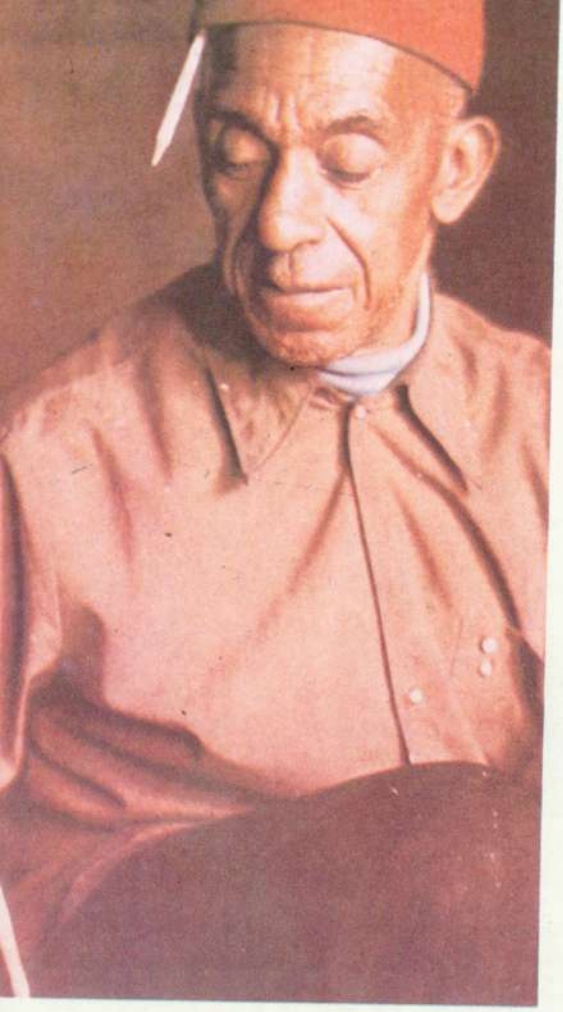
يقول الاخوان ج . تارو :

«إن كل من تفتح امامه ابواب هذه المساكن يشعر انه يترك وراءه سعادته اوشقاءه ليدخل فى هذه الدائرة التى تفقد فيها هذه الاحاسيس دلالتها على ذلك الواقع المؤثر والغامض فى الوقت نفسه» .

ويخصص اندريه باكار قسما للقصور الملكية المغربية ، وكما تحوط المسكن عادة روضة تتوسطه ، تتجه ابنية القصر الى الداخل ، وتحيط الاجنحة الملكية بالقصر ، ولكل قصر مسجده الخاص الذى يكون عادة اقدم ما فى القصر ، وكقاعدة يشتمل القصر على ابنية اخرى تضم الخدمات اللازمة لتسيير امور الدولة . وكما هو الحال فى المساكن فان القصر ينغلق على نفسه ، غير انه لابد باعتباره صورة للدولة ان يكون ذا مظهر خارجى يعكس احترام الامة واستمراريتها ، فاذا كانت التقاليد تقضى بان تحتفظ الاسوار بتقشفها ، فان بوابات القصور الملكية البديعة الصنع والمزوقة باتقان تشهد على ما يجب أن يكون عليه الترحيب بزائر كبير ، وتغطى سقوف القصر عادة بقراميد خضراء ، وهو كساء لا يقتصر على القصور الملكية ، إنما تختص به مختلف الابنية الملكية مثل المساجد والمدارس ، ومن اقدم القصور الملكية فى المغرب ، قصر الباهية ، الذى يعود الى القرن التاسع عشر ، شيده أبو أحمد وزير مولاى الحسن الاول ، فى «الباهية» وضع البناؤون انشودة تتغنى باهم الفنون ، الا وهو فن الحياة ، فشيدوا قصراً بالغ الدقة ، ولم يتركوا شكلا من اشكال البلاغة المعمارية إلا استخدموه فى تاليف تلك الاغنية التى تشدو بالسعادة الارضية الكاملة ، و «الباهية» تيه من المعابر التى تقود الى بيوت (قاعات) ذات سقوف ابدع نقشها وكسيت جدرانها بلوحات الزليج الساطعة ، وزينت الابواب بباقات التشجير والتوريق المتعددة الالوان . اما احدث قصر فى المغرب فهو قصر اغادير ، وفيه تم الحفاظ على تقاليد العمارة المغربية ، وتقرر العودة الى تقليد قديم كاد يتلاشى وهو يقضى باستشارة المعلمين من مختلف المجالات حتى يلتزم الجميع بالعمل فينتج شكلا من اشكال الابداع الجماعى ،

الزخرفة المغربية

الدار المغربية منغلقة ، فهى من الخارج ليست دافئة المظهر وذات سطوح عارية ، وجدران صماء لا يتخللها إلا باب واحد ، غير انك إذ تجتاز هذا الباب تدهشك فتنة خلابة . فتكتشف عالماً ساكناً متعدد الالوان ، إن ارتفاع المبانى وعدم الاهتمام كثيراً بالاثاث ينسى اى فكرة للمسافة ، فيتيه الفكر فى استرخاء بين ترددات الاشكال والالوان ، تحيط الزخارف سكان الدار فكانها صندوق الاحلام . ولا يوجد فى التقاليد المعمارية المغربية ذلك المفهوم السائد فى الغرب فى الوقت الحاضر عن العمارة باعتبارها فناً مستقلا لتركيب وربط الاحجام فى الفضاء ، فالمعلمون المغاربة يزدرون بالأسمنت المسلح ويعتبرونه مجرد دعامة لمسطحات يكسونها من الداخل بالزليج او الجص المنقوش . او الخشب المقرنص . فالمعمار المغربى هو الزخرفة ، ومهما كانت المادة المستخدمة فى تشكيل الزخرفة فانها تلتصق بالجدران والاعمدة والسقوف كبشرة تكسو المسطحات الداخلية ، يقول اندريه بكار ان احترام التصميم هو القاعدة الذهبية ، وكل شىء ينفذ على أساس بعدين اثنين ، علاقات المساحات الملونة والاتصال فيما بين الالوان ، ويعالج الجص المنقوش حتى اذا كان النقش بالغ العمق بحيث يؤخذ كل



وجه من الوجوه التى توارثت فن الزخرفة الاسلامية .

مستوى على حدة ، فالاشكال الجصية لا تمثل احجاما وإنما على العكس ينظر اليها على انها علامة بين الابيض والاسود تنشا من الظلال الممدودة التى تدور مع الضوء ، ان فن المعلمين المغاربة فن حي وحساس تصنعه الأيدى الماهرة . وسمو فن هؤلاء المعلمين تصنعه الجهود والابحاث اليدوية ان الرسام يملأ الفراغات بانتظام فيستخدم عند الحاجة عناصر متكررة كخلايا النحل ، ويحدد المؤلف اشكال الزخارف المغربية باربعة اشكال رئيسية :

- زخرفة متعددة الاضلاع تقوم على خطوط مستقيمة .
- زخرفة زهرية تقوم على خطوط منحنية، التوريق ، والتشجير .
- عناصر الملا .
- الخط العربى .

ويورد المؤلف الاشكال المستخدمة فى تفصيل بديع ، المربع ، والمثلث ، والدائرة ، واللولب ، والشكل المخمس ، والشكل المثمن النجمى ، والشبكات ، والعقد ، والضفائر ، ولا يكتفى بايراد الشكل إنما يبين اصله التاريخى ، ثم موضعه فى الزخرفة الكلية عندما يصبح متحداً مع بقية العناصر ، ويتتبع نشاة الشكل فى تطوراته التاريخية

كتاب الشهر

الحِرف التقليدية الإسلامية في العمارة المغربية





مسجد محمد الخامس فى الرباط ، وهو آية من زخارف الفسيفساء والجصيات .

بوابة حديثة من الحديد المزخرف تفتح على فناء مزخرف على النسق العربى .



المختلفة ، وهنا يعد الكتاب بحق قاموساً فنياً فريداً من نوعه لعناصر الزخرفة المغربية ، ويتتبع طرق التنفيذ المختلفة بدءاً من تخطيط الزخرفة تخطيطا اولياً على الورق ، وحتى اكتمالها فى العمل المعمارى نفسه .

الخط العربى

هناك أربعة انواع للخطوط بصفة عامة فى كتابة المغرب العربى ، القيروانى ، والأندلسى ، والقسنطينى ، والمغربى او الفاسى ، فى المغرب تسود الكتابة الاندلسية المغربية بتلافيفها الرشيقة وخطوطها الممتلئة والممشوقة المتنوعة بلا نهاية ، أما الكتابة الفاسية فانها تتميز بالسمك الواضح لخطوطها الراسية ، وبعدم وجود النقط على الحروف ، وقد جرت العادة على أن يتضمن الزخرف آية قرآنية ، أو حديث شريف ، أو مجرد ابيات شعرية ، ومن اكثر الكتابات شيوعا البسملة وهى فاتحة الكتاب المنزل ، وقد كتبت هذه العبارة بمجموعة فائقة من الخطوط ، وينبغى للافريز الذى ينفذه الفنان المغربى المسلم أن ينقل القارىء للتطلع الى طريق الوحي ، ولابد ان يمر كل شىء بالآيات الكريمة ويرجع اليها ، كما هو الحال فى الكتابات الجارية ، التى يمثل فيها كل انحناء عودة ، وتغطى هذه الكتابات فى المغرب . اكثر من اى مكان آخر سواء أكانت شعراً او نثراً الحوافى الضيقة وتلف القاعات بالكامل ، وهى إما تكون من ملاط الجص او الخشب او المرمر . والحروف فى الخط الكوفى القديم زاوية وترسم بتان على شبكة من الخطوط الافقية والعمودية وتقع صوارى الحروف على المستوى الراسى وتزداد عرضاً فى اتجاه القمة وتنتهى بحد مشدوف مقعر ، وتبدو الكتابة دائماً كعنصر تكوينى فى الاطار الزخرفى العام وتكون إما فى لوحات متجمعة او فى شرائط متصلة افقية او راسية ، وقد اوحى الخط للفنانين باشكال رائعة تندمج تماماً فى الزخارف المحيطة بها إما بالتشابه او بالتباين ، وقد كان تزيين الكتابة بزخارف زهرية مثالا للابتكار والتوازن على الدوام . كما يشيع استخدام الرسم الكوفى وهو رسم مشتق من الكتابة الكوفية لكنه فقد وظيفته الكتابية ليتحول الى عناصر زخرفية محضة ، والرسم الكوفى غنى بذخيرة لا مثيل لها من الزخارف التى يجمع المعلمون بينها وبين زخارف التوريق والتشجير .



هكذا اندمج الخط العربى مع النقوش ليشكل تكوينات بديعة .

وإذ ينتهى المؤلف من الأجزاء الخاصة بدراسة عناصر المعمار المغربى ، يعود الى الأصول ، الى المواد الطبيعية التى يتم تشكيل المعمار منها ، ويخصص فصولا مستقلة لهذه المواد ، الطين ، والحجر ، والجص ، والخشب ، والمعدن والماء ، ويشرح باسهاب تقنيات الأعمال التى تحول كل مادة الى عنصر من عناصر المعمار المغربى الجميل ، كذلك يخصص فصولا مستقلة لشرح صناعة وانواع اجزاء العمارة نفسها ، بدءاً من المداخل والأبواب حتى السقوف والمقرنصات ، وعبر المجلدين الضخمين تتناثر فصول يقدم فيها هؤلاء الفنانين المغاربة العظام الذين يقفون خلف هذا الابداع الرائع ..

أكبر المعلمين سناً

المعلم عبد الكريم ، يقول عنه المؤلف انه من أكبر المعلمين المغاربة سناً فى الوقت الحاضر ، لقد سلك الدرب الذى سار عليه والده ، ولد فى نهاية القرن الماضى ، ثم عمل لمدة اربعة وثلاثين سنة بشكل متواصل كان ذروتها عمله فى ضريح الملك محمد الخامس الذى يعد تحفة فنية عالمية بحق ، يقول المعلم عبد الكريم انه يختار عماله بعناية ، ومن يقع عليه الاختيار يرافقه مرافقة تامة ، ويساعده فى جميع اعماله ، حتى يتعلم الصنعة بالممارسة ، ولا يصبح العامل معلماً بدوره إلا بعد وفاة أستاذه . يتحدث عن الجيل الذى سبقه ، خاصة عن معلمه القندوسى الذى عاش فى عهد مولاى عبد العزيز ومولاى محمد حسن الودغيرى لقد كان معلمو الماضى يعيشون حياة افضل انه يكاد يحسدهم على مسلكهم الجميلة ، يتحدث عنهم باحترام واجلال ، خاصة الاموات منهم ، يقول ان المغرب هو مصدر جميع المواد الخام التى تستخدم فى العمل الرخام الأحمر والأسود يستخرج من ضواحى بنى أحمد ، اهم اعماله هى :

فى سنة ١٩١٩ ، بنى دار المرينى وقصر التازى بالرباط .

فى سنة ١٩٢١ ، مسجد مولاى يوسف بدرب السلطان بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٢ ، بنى مسجد اهل فاس بالرباط .

فى سنة ١٩٢٣ ، بنى حي الحبوس بالدار البيضاء .

فى سنة ١٩٢٤ ، قصر اعبابو بفاس .

فى سنة ١٩٧٠ ، بنى اهم اعماله ، وهو ضريح محمد الخامس .

فى سنة ١٩٧٥ ، اشرف على تجديد قصر الرباط .

والمعلم عبد الكريم يؤمن تماماً باهمية العمل الفنى الروحية ويدرك دور المعلم باعتباره دوراً حيوياً من اجل اضفاء الروح على كل مسكن يبنيه ، لكنه يقول ان السر يكمن ـ فى النهاية ـ فى الساكن لا المسكن ويقول أكبر معلمى المغرب ، والذى يرجع اليه الجميع ..

«إنه يجب ان يغلب الاعتبار الجمالى على الاعتبار النفعى ..» .

ويتضمن الكتاب نماذج عديدة للمعلمين المغاربة العباقرة ، البشر الذين يقفون وراء هذا الجمال كله ، وهذا التراث الفنى الأصيل ، الذى جعل المغرب من اغنى دول العالم العربى والاسلامى بتراث الفن البديع النابع من تقاليدنا الخاصة ، وروحنا ، ومن عناصر هذا الفن صاغ اندريه باكار المهندس الفرنسى هذا العمل الضخم الذى يعد المرجع الأول من نوعه لفن هذا البلد العريق .

جمال الغيطانى

بناء من الطراز الحديث يعلوه زخارف من العرائس ،



الزخرفة فى المعمار المغربى



كيف يواجه العالم هذه المشكلة الاقتصادية؟

إندع أرضك سمكا!

بقلم : رجب سعد السيد

ازداد اعتماد دول العالم ، فى السنوات الأخيرة ، على البحار والمحيطات كمورد لانتاج البروتين السمكى . فهذا المورد غير قابل للنفاد ، فضلا عن انه يعطينا نوعاً من البروتين الحيوانى رخيص الثمن .

وينتظر أن تعمل زيادة الاستثمارات فى انتاج الأسماك على تخفيف الطلب على المنتجات الحيوانية الغذائية غير السمكية .

وبالرغم من أن الدول العربية تمتلك مسطحات مائية بحرية وداخلية ، تبلغ مساحتها أكثر من مليونى كيلومتراً مربعاً ، إلا أن الانتاج السمكى العربى لا يزال متخلفاً . ويكفى أن نقارن متوسط انتاج الفدان من المياه المصرية (عشرة كيلوجرامات فقط من الأسماك فى السنة) ، بالمعدل العالمى (٤٢ إلى ٢١٠ كيلوجرامات فى السنة) ، لنرى مدى احتياج الدول العربية إلى مضاعفة جهود تنمية الانتاج السمكى لتصل إلى معدل معقول .

إن ذلك يتطلب جهوداً علمية متواصلة ، امكانات يجب توفيرها على عجل .. وتلك أمور تحتاج إلى وقت طويل حتى تؤتى أكلها . ولكن ، يجب البدء فى هذا الاتجاه حتى لا يتسع الفارق الموجود حالياً . وفى المدى القريب ، يمكن الاتجاه إلى مجال اخر يؤدى إلى تنمية الانتاج السمكى ، وهو مجال : الاستزراع السمكى !

وهذا ما نحاول القاء الضوء عليه .

إن طبق من السمك الشهى على مائدتك يوفر لك البروتين ويسهم فى حل أزمة الغذاء العالمية .



المسطحات المائية اصبحت من اهم موارد البروتين





مرحلة اعداد مزرعة سمكية تربى فيها الانواع ذات القيمة الاقتصادية والتى تعطى كمية وفيرة من اللحوم .

فى البداية ماذا نعنى بالاستزراع السمكى ؟

إنه طريقة لتربية الأسماك تحت ظروف منظمة ، تسمح بزيادة الانتاج السمكى إلى أقصى حد ممكن .

وفى الزراعة التقليدية ، يكون وسط الزراعة الأرض ، بينما يلعب الماء دور الوسيط . أما فى الاستزراع السمكى ، فان الزراعة تتم فى الماء نفسه . من هنا ، يهتم بعض الدارسين باطلاق اسم (الزراعة المائية) على كل العمليات التى يستزرع فيها الوسط المائى ـ ومنها الاستزراع السمكى ـ وتشمل استزراع المحاريات والقشريات .. والضفادع أيضاً !

وكان الصينيون أول من مارس زراعة الأسماك منذ حوالى ٤٠ قرناً . وكان الرومان أول الشعوب الأوربية التى ادخلت عمليات الاستزراع إلى أوربا فى القرن الثالث قبل الميلاد .

وقد تزايد الاهتمام العالمى بالزراعة المائية كأحد الصناعات المنتجة للغذاء . ومن المتوقع أن يزداد انتاج المزارع السمكية إلى عشرة أضعاف ما هو عليه الآن ، وذلك خلال العقد الحالى ، ليصل إلى ٥٠ مليون طن سنوياً فى عام ١٩٨٥ م .

وتعد التجربة اليابانية فى الزراعة المائية من أهم التجارب العالمية . ويمثل انتاجها السمكى أكثر من ٧٪ من الانتاج الكلى للمصايد البحرية اليابانية الضخمة

أما بالنسبة للمحاريات المقبولة كغذاء آدمى ، فيتوقع الخبراء أن يزداد الانتاج العالمى الحالى من ٧٧٠ الف طن فى السنة الى مليون طن عام ٢٠٠٠ والجدير بالذكر أن حوالى ٤٠٪ من هذا الرقم تنتجة الزراعة المائية .

وسوف نقصر حديثنا الآن على تجارب ومشروعات الاستزراع السمكى

ويهمنا ، فى هذا المجال ، أن نعرض لملامح بعض التجارب العلمية ، والمشروعات الاقتصادية للاستزراع السمكى ، فى كل من : مصر واليابان .

تجربة عربية

كيف نحول مسطحاً مائياً عديم أو محدود النفع ، إلى مزرعة سمكية منتجة ؟

لقد تم ذلك فى « بركة العباسة » ، بمحافظة الشرقية . وهذه البركة التى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فداناً ، لم تكن تستغل إلا فى صيد الطيور المائية فى فصل الشتاء ، أما انتاجها السمكى فلم يكن يزيد عن عشرة كيلوجرامات للفدان .

وقد اضطلع معهد علوم البحار والمصايد التابع لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، بهذه المهمة . واشتمل برنامج العمل فى هذه البركة على الخطوات التالية ، (وهى خطوات يمكن أن تطبق فى أى مشروع مماثل) :

١ ـ تخطيط أحواض المزرعة .. وقد قسمت البركة الى ثلاث مزارع وقسمت المزارع الى أحواض مساحة كل منها سبعة أفدنة فى المتوسط . وبجانب ذلك انشئت خمسة أحواض مساحة كل منها فداناً واحداً ، وذلك لحضانة صغار الأسماك المرباة فى المزرعة ، وأهمها المبروك وأسماك العائلات البورية

٢ ـ توفير الزريعة ، أى صغار الأسماك .. ويمكن الحصول على هذه الزريعة من مواطنها الطبيعية ، وتنقل إلى مكان الاستزراع فى أكياس من النايلون مملوءة بالماء المشبع بالأكسجين . وأهم الأسماك التى تم استزراعها فى بركة العباسة : المبروك ـ البورى ـ البلطى .

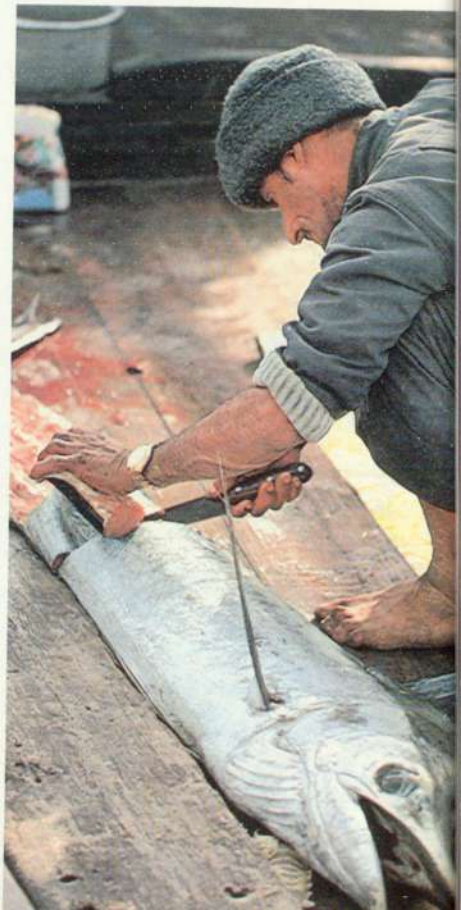
٣ ـ اجراء التحليلات الكيميائية والطبيعية والبيولوجية لمياه وتربة الاحواض . ويجب أن تكون التربة من النوع الذى يحتفظ بالمياه ولا يدعها تتسرب . وأفضل أنواع التربة لاقامة أحواض المزرعة هو النوع الطينى .

كذلك يجب أن تتوافر للمياه مواصفات كيميائية تسمح بمعيشة الأسماك وزيادة انتاجها ، وأهم هذه الشروط أن تكون درجة الحموضة مناسبة (الأس الأيدروجينى ٧ر٨ : ٢ر٨) ، وأن تكون غنية بالأكسجين

٤ ـ دراسة ومتابعة نمو الأسماك فى المزرعة . وتشتمل هذه الدراسة على : معدلات النمو ـ معدلات الوفيات ـ مراقبة الأمراض التى قد تصيب الأسماك فى المزرعة .. وغيرها من الدراسات البيولوجية .

٥ ـ نظام التغذية الاضافية . ففى المزارع السمكية لا يكتفى بما تنتجة بيئة

صول المحصول الى الحجم المناسب ، يتم طرحه فى الأسواق



إزرع أرضك سمكا!



منظر عام لمزرعة سمكية مقسمة الى أحواض للتربية .



أسماك بركة العباسة فى جمهورية مصر العربية والتى تبلغ مساحتها ١٢٠٠ فدانا .



انتاج المزارع السمكية فى الشرق الاقصى أصبح اليوم يمثل رقما قياسيا فى العالم .

الاحواض من غذاء طبيعى للأسماك ، يتمثل فى الكائنات الحية النباتية والحيوانية ، ولكن تتمتع الأسماك بوجبات إضافية دسمة تساعد على سرعة نموها .

وأهم هذه الأغذية الصناعية يتكون من خليط من « الكسب » ـ بضم الكاف . وهو بقايا بذرة القطن بعد عصرها ـ ونخالة الأرز ، أو الدقيق (الطحين) ، بنسبة ١ : ٣ ، وبكمية تساوى ٥٪ تقريباً من مجموع وزن الأسماك الموجودة فى الحوض .

وتضاف هذه الوجبات مرة أو عدة مرات فى اليوم ، ولمدة ستة أو خمسة أيام فى الأسبوع .

٦ ـ جمع المحصول السمكى . ويتم فى نهاية فترة التربية ، وبعد وصول الأسماك إلى الحجم المناسب للسوق .. فتجفف أحواض المزرعة تماما بسحب المياه منها ، وتلتقط الأسماك بسهولة .

وقد نجح مشروع « بركة العباسة » على المستويين التجريبى والاقتصادى ، مما ساعد على انتشار مشروعات الاستزراع السمكى فى مصر .

التجربة اليابانية

يرجع تاريخ استزراع سمكة المبروك إلى ٢٤٠٠ سنة تقريباً .

وكان الصينيون أول من ربى هذه السمكة فى مزارعهم ، بينما استزرعها اليابانيون منذ ١٩٠٠ سنة .

وكان اليابانيون يزرعون هذه الأسماك فى حقول الأرز . ومع دخول المبيدات الحشرية والحشائشية إلى ميدان الزراعة ، فقدت حقول الأرز أهميتها كمزارع لأسماك المبروك .

وانتقلت عمليات الاستزراع إلى برك الرى وأحواض وبرك المياه الجارية ، وفى بعض المزارع السمكية المنشأة خصيصاً لتربية المبروك ، وكذلك فى التقفيصات الطافية .

وقد تضاعف انتاج المزارع السمكية من أسماك المبروك ٤٫٣ مرة فى الفترة من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣ ، بينما تضاعف الانتاج السمكى اليابانى العام ١٫٦ مرة فقط فى نفس الفترة .

وفى عام ١٩٧٣ ، استزرعت مساحة ٣٣٠٠ هكتاراً بأسماك المبروك ، فاعطت عائداً قدره ٣٫٥ طنا / هكتار . وفى هذه الزراعة المكثفة ، استخدمت وسائل تزويد المياه بتيار مستمر من الهواء ، ونظام متكامل من الأغذية الاضافية (يرقات دودة القز) أو خمس مرات يومياً . وقد حشدت المزرعة بأصبعيات الأسماك التى تزن الواحدة منها ٤٠ : ١٠٠ جراماً .

واستغرقت عملية التربية الفترة من الربيع إلى الخريف . وكان الناتج النهائى أسماكاً صالحة للتسويق تزن الواحدة ٨٠٠ جراماً .

ويستخدم اليابانيون طريقة أخرى لتربية هذه الأسماك ، فى تقفيصات **طافية** . وقد بدأ استخدام هذه الطريقة فى عام ١٩٥١ ، وتطورت وانتشرت فى البحيرات ومجارى مياه الرى منذ عام ١٩٦٤ . وتتراوح مساحة التقفيصات العائمة بين ٢٥ و ١٢٠ متراً مربعاً ، ويصل عمقها إلى مترين . وهى عبارة عن اطارات من خيرزان البامبو ، مكساة بشباك من البلاستيك ، ويتم تعويمها بواسطة البراميل الفارغة .

وتملأ هذه التقفيصات بطور صغير من الأسماك (الأصبعيات) ، تزن الواحدة ٥٠ : ١٢٠ جراماً . « تبدأ التربية فى الربيع ، بمعدل ٣٠ سمكة للمتر المكعب . وتضاف أغذية صناعية ٤ أو ٥ مرات يومياً وفى الخريف ، تنتج التقفيصات ٢٠ : ٥٠ كيلوجراماً للمتر المكعب ، بمتوسط وزن ٨٠٠ جراماً للسمكة الواحدة .

وفي ماليزيا ، ابتكر العلماء مزرعة صغيرة على هيئة تقفيصة عائمة ، يمكن للمزارعين استخدامها لامداد العائلة بالأسماك الطازجة على مدار السنة . ويمكن للأسر الريفية تنفيذ هذا المشروع (مزرعة الأسرة) فى أقرب مسطح مائى لمكان اقامة الأسرة .

رجب سعد السيد

يا صدرًا .. وطنًا

إلى أمل دنقل



شعر : سماح عبد الله

حين حملت حقائبَ سفرى
... وطرقت على بَابِكَ ... فى الليل
... منزويا ... كنتَ تغنىّ للوطن المتمدد فى عينيك
ووجع الأرض
... وانـــا
... خاصمتُ الأيام حواليك
... وعشقتُ الركض
... وفجائياً كنت
... وكنث
أُخَبِّؤُكَ ... بكتبى
... واهاجرُ لاراضِيكَ ، وبُلْدَانِك ... ليلا
... والى حيث يضم الجفنان الحلُمَ الأمَلا
... وافاجؤهم بك ... منتصبًا ... نَخْلَا
... وعنيداً ... كالريح الهوجاء
... وفجائياً ... كنت
... هل تعرفنى ؟ ؟ ! !
... آخِرُ عودٍ ... نبت بارضِ الشعراء
... ورسمتُكَ ... فى كرَّاساتى
حقْـلَا
... ونهاراً
... موَّجْتُك ... انهاراً
... أوقدْتُكَ ناراً
... نَزَّلْتُك ... مطراً
... وتخيَّرْتُك ... فَصْلَا
... غير جميع فصولِ الأعْوام
... تطلع أخضر كالحَبِّ
... وتغنى للفقراءِ
رَسَمْتُكَ
... العينان الزمن المترجِّلُ ، والزمن المتعجِّل
... الصدرُ الوطنُ
... القلبُ ... الجمرةُ
... والصوتُ ...البركانْ
... والكلمات ... الشجر المتطاول والعهد الآتى
... هل تعرفنى ؟؟ !!!
... كانت فيروز ... تسامر وحْدَتَك الوحشيةَ
... (خذنى ... لبلادى)
... (خذنى ... لبلادى)
... هل تقدر ؟؟
... انى ... أبحث عن وطنى

... منذ زمان ... أتبعثر فى الطرقات ... غريباً أبحث عن وطنى
... أوجعنى سفرى
... أوجعنى ترحالى
... طرت ، ودرت
... وحططت على بابك ... فى الليل
... مجروح سيِّدىَ الذابلَ حتى الوجع
... مجروحٌ ... حتى الموت
... ما أقسى أن يتكىءَ المجروحُ على المجروح
مجروحان تقاسَمْنا فى هدآت الليل الوجعا
وتقاسَمْنا الإعياء
غريبان
. وننشد وطنـــاً
... فيروز ... وغنى
... صبى فى صدرينا ... بلدان فلسطين ، ولبنان
... كانت عيناك ... بحارَ مُنَى
... ويداك مخضبتَيْن ... دَمَـا
... وانـــا .
... خبأتُك ... بين حقائبِ سفَرِى
وضممْتُكَ فى صدرى
... وتطيَّبْت بك ... الصدر الوطن ، الكلماتِ الشجرَ
... غادرتك عينين ... بحارَ مُنَى
، ويدين ... مخضَّبَتَيْن ... دَمَا
... وخطوت ـ وانت ـ بكتبى
وحقائب سفرى
... تتحشرج ... فى صوتى
... وتقاسمنى ... خطواتى فى الطرقات
وتفجؤنى ... فى عينى
... ياصدراً ... وطنـاً
... وانـــا .
... خاصمت الأيام حواليك
... وعشقت الركض
... وخططتك حين خططت
وحين اخترت
... تخيرتك فصلا ... غير جميع فصول الأعوام
... تطلع أخضر كالحَبِّ
... وتغنى ... للفقراء

جيرارد دي كريمونا: أشهر مترجمي المؤلفات العربية

بقلم: الدكتور: أحمد محمود بدر

يتفق الكثيرون من مؤرخى العلم على أن انتقال التراث الاسلامى وخاصة العلوم والمعارف الى غرب أوروبا خلال العصور الوسطى كان العامل الرئيسي لبدء عصر النهضة العلمية فى أوروبا وانتقالها من عصر الظلمات الى عصر البحث والكشف العلمى . وفى هذا المجال يمكن تلخيص انجازات المسلمين ومساهمتهم فى ثلاثة مجالات .

فمن جهة قام العرب بترجمة واستيعاب تراث الحضارات السابقة لهم وخاصة الحضارة اليونانية . وقد نقل هذا التراث الى أوروبا فيما بعد عندما ترجم من العربية الى اللاتينية . غير انهم لم يقتصروا على مجرد النقل والاستيعاب بل ادخلوا الكثير من التعديلات والاضافات والتعليقات على أعمال الاقدمين ، والتى كان لها اثر كبير على الفكر الأوروبى . ومن جهة اخرى كان للعرب انجازاتهم واكتشافاتهم الاصلية والتى تفوقوا فيها على الاقدمين وخاصة فى الطب والرياضيات والفلك والتنجيم والجغرافيا والكيمياء . ومن جهة ثالثة وربما كانت الاهم هى ان العرب تميزوا بحبهم للمعرفة والعلم واتباعهم المنهج العلمى التجريبى فى البحث وسواد العقلية العلمية بينهم . وقد نقل الأوروبيون كل ذلك عنهم .

كانت الأندلس اهم مراكز الالتقاء بين الحضارة العربية الاسلامية واوروبا . والمصدر الرئيسي الذى انتقلت من خلاله المعارف والعلوم العربية . ذلك ان الاندلس شهدت خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد حركة ترجمة واسعة ، حيث توافد عليها الباحثون والمتعطشون للمعرفة من مختلف انحاء اوروبا بحثاً عن المؤلفات العربية لترجمتها الى اللاتينية . من بين المدن المختلفة اصبحت « طليطلة » "Toledo" التى سقطت للمسيحيين عام ١٠٨٥ والتى كان يتوفر بها ثروة كبيرة من الكتب العربية اهم مراكز الترجمة فى شبه الجزيرة .

ان تتبع حياة واعمال جيرارد دي كريمونا ـ اشهر هؤلاء المترجمين والاب الحقيقى لانتقال العلوم العربية الى اوروبا ـ ليعطينا صورة واضحة عن حجم التراث العلمى العربى الذى نقله الاوروبيون .

ولد جيرارد فى لومباردي Lombardy بايطاليا حوالى عام ١١١٤ . ويرجح ان وفاته كانت فى طليطلة عام ١١٨٧ م . تلقى تعليمه الأولى فى ايطاليا قبل انتقاله الى طليطلة . ويرجح ريتشارد لومي Richard Lemay انه انتقل الى طليطلة وعمره لم يتجاوز الـ ٢٥ او الـ ٣٠ عاما على اكثر تقدير . وبهذا يكون قد امضى حوالى ٤٣ سنة من حياته فى الترجمة والتاليف . وهذا يفسر الاعمال العديدة التى قام بترجمتها او تاليفها .

نعرف قدراً كبيراً عن حياة جيرارد والمؤلفات التى ترجمها من وثيقة كتبها تلاميذه ووجدت ملحقة ببعض نسخ ترجمته لكتاب «جالينوس» "Galen" المعروف باسم Tegni تشمل هذه الوثيقة ثلاثة اجزاء : سيرة حياة جيرارد ، وثبتا بالكتب التى ترجمها ـ والبالغ عددها ٧١ كتابا ـ وتابينا له .

جاء فى الوثيقة المشار اليها ان حب جيرارد لكتاب « المجست » ورغبته فى الاطلاع عليه ـ اذ لم يكن متوفراً باللغة اللاتينية ـ دفعه الى الانتقال الى طليطلة . و «المجست» هو الاسم العربى لكتاب بطليموس Claudius Ptolemy فى الفلك . الفه فى الاسكندرية فى القرن الثانى وترجمه العرب فى القرن التاسع . اصبح الكتاب بعد ترجمته الى اللاتينية من العربية المصدر الرئيسي لعلم الفلك فى أوروبا فى العصور الوسطى . هناك فى طليطلة عندما وجد جيرارد « وفرة الكتب العربية فى كل موضوع .. تعلم العربية حتى يتمكن من الترجمة » .

ورد فى الوثيقة التى كتبها تلاميذ جيرارد اسماء المؤلفات الـ ٧١ التى قام بترجمتها . غير ان المؤرخين ينسبون اليه اعمالا اخرى يعتقد انه قام بتاليفها وترجمتها . وبهذا يكون حجم انتاجه ضخما . ومن هنا نشا التساؤل والتشكيك فيما اذا كان جيرارد قد قام بانجاز هذه الاعمال بنفسه ام انه استعان بمساعدين خاصة وقد ورد الذكر ان غالب العربى Galippus Mixtarabe قد ساعده فى ترجمة « المجست » .

يرى مؤرخ العلوم المشهور سارتون Sarton ان من المحتمل ان يكون جيرارد قد تلقى مساعدة من العرب والمحليين ممن يجيدون العربية فى الترجمة وان كان قد ترجم العديد من المؤلفات فان هناك اعمالا اخرى لم يترجمها ونسبت اليه . وفى المقابل لا ياخذ لومي Lemay بهذا الراى والذى لا يرى دليلا عليه ، ويرجح ان يكون جيرارد قد قام بكل الاعمال التى نسبت اليه بسبب طيلة المدة التى قضاها فى طليطلة ، وانه ان كان قد استعان بمساعدين فربما اقتصر دورهم على مساعدته فى البحث عن وتوفير نسخ المؤلفات العربية او فى تحرير ونسخ هذه المؤلفات .

تدل الدراسات المحدودة التى تمت لمعرفة اسلوب جيرارد فى الترجمة انه كان يتبع الترجمة الحرفية قدر الامكان اذ كان يحاول ان تكون ترجمته مطابقة للاصل العربى وينقل كل كلمة يحتويها الأصل العربى ويحافظ على تركيب الجمل العربية . وفى الحالات التى كان يقارن فيها الترجمات اللاتينية بالمؤلفات العربية كان يحتفظ بما يعتبره مقبولا ويحاول توحيد المصطلحات اللغوية المستخدمة . ولا تزال هناك حاجة كما يشير الى ذلك لومي Lemay الى مقارنة نصوص المؤلفات العربية بترجمة جيرارد اللاتينية حتى يمكن تكوين حكم محدد حول دقة وخصائص تراجمه .

تشمل قائمة الاعمال الـ ٧١ التى ترجمها جيرارد والتى ذكرها تلامذته فى الوثيقة المشار اليها سابقا تراجم عربية لكتب يونانية فى العلم والفلسفة ومؤلفات اصلية لعلماء عرب . وتتكون من ٣ مؤلفات فى المنطق و ١٧ فى الهندسة والرياضيات والبصريات و ١٢ فى التنجيم والفلك و ١١ فى الفلسفة و ١٤ فى الطب و ٣ فى الكيمياء و ٤ فى التنجيم والكهانة .

تضم هذه القائمة التى ترجمها جيرارد عدداً كبيراً من المؤلفات العربية فى مختلف العلوم . فمثلا فى المنطق تشمل القائمة كتاب الفارابى « فى المنطق » والذى شرح فيه كتاب ارسطو « "Organon" » وفى الرياضيات والبصريات كتاب الخوارزمي « الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة » وكتاب الكندي « البصريات » وفى الفلك كتاب للفرغاني وكتاب لثابت بن قرة شرح فيه كتاب «الماجست» وفى الفلسفة كتاب للفارابي علق فيه على طبيعة ارسطو ، وكتاب للكندى حول الطبائع الخمس للاشياء . وفى الطب ترجم جيرارد للرازى « الكتاب المنصورى » وكتاب « تقسيم العلل » و « المدخل الى الطب » و « اوجاع المفاصل واوجاع النقرس » و « التجارب » و « المرشد » . وللزهراوى ترجم جيرارد الجزء الثالث المتعلق بالجراحة من كتابه المشهور « كتاب التعريف لمن عجز عن التاليف » . كذلك ترجم جيرارد كتاب الكندى عن الصيدلة وكتاب « القانون » لابن سينا .

وهكذا فان من الانصاف القول ان ازدهار الغرب ونهضته العلمية لم تبدأ الا بعد اكتشافه واستيعابه للتراث العربى . ان الحقيقة التى لا يعيها الكثيرون منا هى ان الحضارة الغربية ليست اوروبية صرفة بل تشمل الكثير من معالم التراث العربى التى اندمجت معها اثناء تطورها التاريخى .

د . احمد محمود بدر

المراجع

Haskins, Charles H. "Arabic Science in Western Europe" in ISIS, Vol. VII, 1925, pp. 478-485.

Studies in the History of Medieval Science Cambridge, Mass. Harvard University Press, 2nd ed., 1927.

Lemay, Richard. "Gerard of Gremona" in Dictionary of Scientific Biography. Charles C. Gillispie, ed., New York: Charles Scribner's Sons, Vol. XV, 1978, pp. 173-192

Sarton, George. An Introduction to the History of Science, II Baltimore, 1931. pp. 338-344

الجمال الظامئ

شعر: عبد العليم القباني



« هيفاء من بنات بحرى بالاسكندرية استاذنت ان تشرب من كوب الماء الموضوع امام الشاعر وهو جالس على رصيف المقهى ، فكانت هذه القصيدة ؟

قالت : اتسمحُ ؟ قلت : لم لا أسمحُ ؟ ... والسحرُ فى عينيك ، طفل يمرحُ
قالت : انا ظمآى ، فقلت : عجيبة ... أن تظمئى ، وسلاف ثغرك مطمحُ
قالت : اطلتَ القول ، قلت : لعلنى ... القى بعينيك الجواب .. فاجنحُ
قالت : (فبعد الشر) قلت : وإنما ... للشر فى الدنيا نصيبُ افسحُ
قالت : فهذا الشيبُ ؟ قلت : رواية ... مكذوبة .. هل كل كوب تنضحُ ؟
الأنَّ شيبى لا يبالى صبوتى ... تتدللين ؟ فاقبلَتْ تستوضحُ
قالت : فعمرك ؟ قلت : رحلة شاعر ... يتصيد الأحلامَ ساعة تسنحُ ؟
قالت : ففى عينيك تزدحمُ الرؤى ... وعلى جبينك ذكرياتٌ تلمحُ ؟
قلت : الذى يسع الليالى شعره ... قد تستبد به الجراحُ فتفصحُ
وتناولت كوبى ، فلو شاهدتنى ... لرايت روحى دونَها تستروحُ
كالطير فى قفصٍ ، يبث نشيدَه ... وجناحه ، قلق النوازع يرزحُ
حتى إذا رَوِيَتْ ، واحنت راسَهَا ... شكراً .. جلسْتُ ومهْجَتى تترنحُ
اتامل الدربَ المثار ، وقد مشَتْ ... من فوقه حورية تتارجحُ
خطواتها ، تهب الطريق حياته ... وعبيرها ، فتن تثور وتجمحُ
وكانها ، والنور يخفقُ حولَها ... نجمٌ على الق الكواكبِ يسبَحُ
حتى إذا غابَتْ ، وعدت لواقعى ... طللاً يداعبُه الشباب فيجرحُ
اغمضت عينى ، استعيد حديثَها ... وكان بلبلةً بسمعى تصدحُ

هذا البرنامج الطريف يروى اشياء كثيرة عن علاقة الكاتب بالمكان . او روح المكان ـ بمعنى ادق ـ كما يقول عنوان البرنامج نفسه . وفكرة البرنامج طريفة ايضاً ، ولعلها تستهوى إحدى محطاتنا التليفزيونية العربية ولو عن طريق النقل الحرفى . وتتلخص فى أن يصحب مخرج البرنامج احد الكتاب المعروفين الى المكان الذى اثر فيه من قبل او كتب عنه ، ليروى إحساسه به بعد غياب طويل . ومن خلال هذه الزيارة التليفزيونية الطريفة صحب المخرج بيتر ادام كاتباً بريطانياً كبيراً ـ احتفل بعيد ميلاده السبعين هذا العام ـ الى المدينة التى دارت فيها احداث رواياته الاربع المشهورة باسم:رباعية الاسكندرية .

اما الكاتب فلابد أن اسمه قد اصبح واضحاً ، ومع ذلك فهو : لورنس داريل . واما المدينة فقد اصبح اسمها واضحاً ايضاً ، ومع ذلك فهى : الاسكندرية .

وراء كل كاتب عظيم مدينة

عاشق الأسكندرية يعود إليها!

بقلم : علي شلش

يقول «داريل» فى مستهل حديثه الذى استغرق نصف ساعة هى وقت البرنامج :

«بعد ٣٠ عاما اعود الى مصر لارى من جديد الاماكن التى كانت سواء من وجهة ادبية او شخصية ـ تعنى شيئا بالنسبة لي ، او اثرت في او اثارتنى ، ولارى ايضا اية آثار قد بقيت من ذلك العالم المسرف فى الوانه الذى صورته فى رباعية الاسكندرية» .

ولكن عودة عاشق الاسكندرية لم تقتصر على رؤية معشوقته التى كانت سر صيته ، وإنما اتسعت لرؤية الصحراء والنيل من مصبه الى اسوان : فقد بدات رحلة الكاميرا مع «داريل» من الاسكندرية ، ثم انتقلت به الى الصحراء حيث زار دير وادى النطرون ، والاهرامات ، وابا الهول ، وواحات الفيوم . وبعدها ركبت الكاميرا مع ضيفها باخرة مضت بهما فى النيل حتى اسوان ومعبد ابى سمبل .

ولاهمية الحديث والبرنامج ـ بالنسبة لي على الاقل ـ فقد حرصت على تسجيله من التليفزيون مباشرة ثم تفريغه وقراءته بغير صور . واحسست بان قراءة الحديث متعة اخرى ، وهذا ما احببت ان انقله للمهتمين بالكتابة والرواية والمعجبين بفن هذا الرجل الموهوب . ولم يكن يقطع اتصال هذا الحديث سوى مشاهد الاماكن وصورها ولحظات تامل صاحبه فى المكان واسئلة مقدم البرنامج الذى لم تظهر صورته على الاطلاق . ولماذا تظهر فى مثل هذا السياق ؟!

ولطول الحديث ، ولشجونه الكثيرة ، فقد رايت ان اسلم طريقة هى نقل اهم ما فيه وعرض باقيه .

يقول عاشق الاسكندرية وهو يصفها بكلمة «الحبيبة» :



لورنس داريل

«هنا يشم المرء الصحراء . يشم قلب افريقيا وهو ينسكب مثل الدخان فى ذلك «الفمع» المسمى النيل ثم يتحول الى طمى فى هذه الدلتا الضخمة . إن مصر تبدأ بعد البحر الى الداخل فى الحقيقة ، فاذا اجتزت الميناء اقتربت من ارض وتربة اخرى . ومهما كان ما فعله الاغريق «لهلينة» او «اغرقة» هذه المدينة ، فرائحتها رائحة الصحراء ، وريح الصحراء ـ الخماسين ـ ريحها ، وهى التى تكسب الهواء نوعاً من الطقطقة ويختلط بالبحر فينشط وينعش ويوتر حتى ليصاب المرء بالخبل هنا بسهولة» .

لقد اوحت له الاسكندرية بعدد من القصائد غير رواياته الاربع . وكان ذلك يوم عاش فى بيت مهندس معمارى ايطالى .. فيلا كبيرة من طابقين .. إبان الحرب العالمية الثانية .. كتب الشعر بالرغم من جو اليأس الذى خيم على النفوس بفعل الحرب :

«ولكن ربما كان ذلك شيئاً طيباً الى حد ما . فقد ضغطت (الحرب) حياتى واضطرتنى الى ان افعل ما يجب ان يفعله المرء دائما ، اى الا يفكر فى غده وان يحيا ليومه فحسب .. لقد كنت مسئولا عن ٢٥٠ صحفياً اصبحوا جميعاً اصدقاء لي .. واوحوا لي بفقرات حول شخصية «نسيم» وغيره . وهكذا منحتنى وظيفتى هنا فرصة رائعة لكتابة الشعر والدراسة ، وفتحت لي مغاليق الاسكندرية بطريقة لم تكن لتتحقق لو لم يكن لي وظيفة فيها . حيث ذلك كله فى نطاق ضيق جداً . فمثلا كان بوسعى ان اتجول فى المدينة ، المدينة الحقيقية التى اسسها الاسكندر ، خلال عشر دقائق . فامر بالنادى اليونانى ، وارى رجال البنوك اليونانية وهم يدخنون ، ... وربما ارى صورة اخرى لكفافى الشاعر اليونانى الذى عاش فى الاسكندرية وهو يكتب الشعر ويحتسى اقداحا صغيرة من القهوة التركية . وكان فندق سيسيل هذا الذى اقيم فيه هو نقطة انطلاقى ، لم يتغير الفندق كثيراً . وفيه اقام كل الصحفيين الذين جاءوا الى هنا زمن الحرب لمتابعة اخبار الحرب وتنقلات الجيوش .

لقد نقلت الحرب لندن وباريس الى هنا .. كل انواع الشعراء والكتاب .. اندريه جيد مر هنا مروراً عابراً .. وكان الانجليز ياتون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ولذلك لم تتوقف الحياة فى هذا المكان ولا فى هذه المدينة طوال تلك الفترة . ولاشك ان الجيوش جلبت معها كل ما يتعلق باساليبها الوطنية فى الطهى .. جاءتنا «تشكيلة» ضخمة من بولندا ، وبوهيميا ، والهند ، وتركيا . ولكن هذا التنوع الدائم فى الحياة اليومية كان لذيذاً . فلم يكن المرء يحتاج الى بذل اى مجهود فى سبيل امتاع نفسه . فقد كان كل شيء يشكل مشهداً للفرجة والمتعة . والحق ان افضل نصيحة يقدمها ا . م . فورستر فى دليله ، وافضل طريقة لرؤية اى مكان ، هو ان تتجول فيه بلا نهاية . فاذا بدات مهمتك ادركت ان السينما الهائلة التى تعرضها الحياة اليومية هنا كافية . فلا المرء يحتاج عندئذ الى حفلات نمطية ولا هو يفتقد ما يسليه» .

ولكن ما حكاية «كفافى» و «فورستر» اللذين جاء ذكرهما منذ قليل ؟ اما «كفافى» فهو الشاعر اليونانى الكبير الذى اقام فى الاسكندرية حتى وفاته فى اوائل الثلاثينات واما «فورستر» فهو الروائى الانجليزى الذى تطوع فى الحرب العالمية الأولى ضابطاً فى الجيش البريطانى الذى بعثه الى الاسكندرية . وفيها طاب له المقام بضع سنوات التقى خلالها بكفافى ، وتصادقا . ثم كتب عن الاسكندرية وكفافى معاً كتابين : اولهما «الاسكندرية» والآخر «الفنار» . وفى الكتابين سجل تجربة حب لتاريخ المدينة منذ إنشائها حتى عصر محمد علي كما سجل علاقته بشاعرها اليونانى الكبير .

يقول داريل مرة اخرى إن الاسكندرية التى راها اول مرة كانت تختلف كثيراً عن الاسكندرية التى عاش فيها كفافى وفورستر . ويضيف :

«لقد وصلت الى هنا بعد ثمانى سنوات من موت كفافى . وكانت الاسكندرية التى صورتها فى رواياتى قد اختفت بالفعل على نحو ما ، بالرغم من ان اشد اجزائها حيوية وبذخا كان قد انتقل الى القاهرة . ولكنى اعدت كل شيء الى مكانه حين بدات فى الكتابة . وبجزء مختلف من عقلى رايت الاسكندرية كلها وهى تنبسط على الجانبين مرة اخرى من حولى بكل تفاصيلها الأسرة وكل غطرسة الوانها وكل فقرها المدقع وجمالها الآخاذ . ولم تكن المدينة لتتغير مطلقا مادامت الاجناس مستمرة فى الغليان هنا مثل عصير العنب حين يغلى فى إناء كبير قبل ان يتخمر . وهى لم تكن لتتغير ايضا مادامت الشوارع والميادين لم تكف عن طفح تخمرات هذه العواطف والاحقاد والثورات والهدوء المفاجيء .. اذكر ان «نسيم» قال ذات مرة ان الاسكندرية هى اكبر «معصرة عنب» للحب . ...» .

وشخصية «نسيم» هذه التى جاء ذكرها الآن من اهم شخصيات « رباعية الاسكندرية» وهى شخصية حقيقية لمصرى سكندرى قبطى عرفه داريل ، ولكنه حين صوره فى رواياته غير الكثير من ادلة وجوده الحقيقى بالطبع . ولكن الم تكن الاسكندرية التى صورها داريل على هذا النحو مدينة الياس على حد تعبير مقدم البرنامج فى سؤال اعتراضى من اسئلته التى سنتوقف عندها ؟

«هكذا كانت فى الحقيقة . ربما اكون قد بالغت فى تصوير هذه الصفات ، ولكنها .. ليست اوربا ولا افريقيا . انها تقع فى وسط الصراع بين هذين المؤشرين . وهى دائما فى حالة ياس لان قيمها عكسية تماما . انظر الى الوجوه التى تراها فى الشوارع من حولك . إن فيها من كل نوع من انواع البحر المتوسط والدول الاوربية : اسبان وإيطاليون . وهذا الغزو الذى تعرضت له الاسكندرية على ايدى هؤلاء التجار والاجانب لابد ان يعود الى زمن جنوا او ربما قبل زمن البندقية» .

إنه يقصد زمن ازدهار جنوا والبندقية فى عصر النهضة والكشوف الجغرافية وتفوقهما على الاسكندرية . ولكن مقدم البرنامج يساله سؤالا مهما يحول به مجرى الحديث قليلا :

● لقد كتبت «رباعية الاسكندرية» بعد ان غادرت الاسكندرية فهل كنت تسجل ملاحظات ، او هل كنت تحتفظ بيوميات .. ؟

ـ كان عندى كراسات ضخمة مليئة بكل شيء ، اقوال كل يوم وما الى ذلك .. ولكنى لا اكتب يوميات . لم يكن عندى اى صبر على هذا ، ولكن ربما خدمتنى تذكرة اوتوبيس او تذكرة دخول متحف الاسكندرية ، وما الى ذلك مما يشع بعد سنوات ويجعلك تتذكر كل شيء إذا رايت منه علامة صغيرة . كل هذه اشياء مفيدة .

سؤال اخر :

● اهذا هو السبب الذى حدا بك الى استخدام لغة تشبه لغة المصور من حيث انها ترسم ظلا فوق ظل ؟ ..

ـ من الصعب جداً حيث تعمل فى اربعة كتب ان تحتفظ بجدة الوانك ونضارتها .. ولذلك فمن الطبيعى ان احرك «الموتور» على قدر ما استطيع حتى اضمن الا تصبح الالوان كابية .

عاشق الأسكندرية يعود اليها!



يجب الا ننسى ونحن نقرا نثر داريل او نسمع لحديثه انه بدا حياته شاعرا ، وان له ديوانا كاملا . فمن الطبيعى ان يملأ نثره وحديثه بالاستعارات والصور الشاعرية . فضلا عن ان زيارة المكان الحبيب الى النفس بعد غيبة طويلة تبعث فى نفس الكاتب ، مهما كان ناثرا جيدا اشراقات الشعر وربما غموضه المحبب . فلاباس علينا إذن إذا قرانا كلمة مثل «الموتور» فى غير سياقها !

يقول عاشق الاسكندرية وهو يتابع مع الكاميرا الاحياء الشعبية فى المدينة ابتداء من حي «الانفوشى» ليلا حيث تعلو مآذن مساجد البوصيرى وابى العباس وغيرهما

«إن الحمام يرتفع منبهرا متن نتف الورق المتناثر الى اعلى المآذن كى يتلقى على اجنحته آخر اشعة النور . والمدينة البيضاء تضيء الاف الثريات فى متنزهاتها وابنيتها ... إنها تبدو مثل سفينة ضخمة من البللور نائمة هناك ، راسية وموثقة الى قرن افريقيا . وتظل الارصفة محتفظة بحرارة النهار مثل البطيخ حين تشقه عند الشفق . ومن حذائك تتسرب الحرارة بالتدريج من ثقوبه الضيقة . وترخى المدينة تقطيباتها كسلحفاة عجوز وهى تحدق فيما حولها» .

وينتقل داريل بالكاميرا الى حي آخر قديم هو حي «المنشية» فيصوره قائلا :

«قليل من الاوربيين جاءوا الى هذا القسم من المدينة : الحي الذى يرقد ممتدا خارج حزام الفوانيس الحمراء .. حيث يجلس العجائز المعتادون على الجلوس وهم يلعبون «النرد» ويدخنون «الاراجيل» التى تصدر عند كل جذب او شدة لنفس قرقعة صغيرة مثل هدير الحمام . وتصطف «الاراجيل» على حوامل ممتدة مثل البنادق، ويأتى كل مدخن بمبسمه الذى يعتز به» .

ثم يصل داريل فى جولته الى الاحياء الراقية فى المدينة فى منطقة الرمل فيقول عنها :

«إن الاحياء الفقيرة فى المدينة البيضاء لا تحمل اية مشابه مع تلك الشوارع الجميلة التى صممها الاجانب . لقد كانت هذه هى القصور التى كان نسيم وجوستين يقيمان فيها الحفلات . وهنا وهناك بيوت هجرها اصحابها إما لشدة فقرهم او لشدة كسلهم . اما ابواب بيوتهم فنصف مغطاة بالزهور ، وتصدر صريرا حين تفتح على حدائق ذات جمال وحشى بلا بستانى ، حيث تجد نافورات من الرخام وتماثيل مهملة تدل على مجد غابر . واذكر العشاق وهم يتسكعون فى الاحياء الفقيرة حزانى مثل آلات موسيقية لا تعرف الانسجام ، واذكر قرقعة عربات على طول شاطىء البحر . وهنا كان البحر يعلو ويلطم الرمال وقد اتخذ لون الزئبق حين يتاكسد . وكانت لطمات البحر الايقاعية العميقة بمثابة الخلفية للاحاديث التى تدور بينهم» .

● ...

– إن الحاضر الذى نعيش ونتصرف فى إطاره وهم مطلق . إنما نحن اشباح فى الحقيقة . وربما لا يحدث إلا فى نومنا ، او فى احلامنا ، ان نتاكد من هذه الحقيقة .

● هل تعتقد ان التاريخ والسياسة لا يحدثان نتائج كبيرة فى النهاية ؟ .

– لا اهمية لهما مطلقا ، لان الزمن مستمر والتاريخ هو التكرار الذى لا نهاية له لاسلوب الحياة الماضية ، وهو سيبدأ مرة اخرى فى الغد مادام اليوم قد مر ، ومن ثمة فالذى يؤمن بان الحياة قصيرة ويعتقد فى ذلك على نحو جدى إنما يضيع وقته إذا اعتقد فى التاريخ ، لان عليه عندئذ ان يمسك بكل قبضة ريح حتى يحقق ذاته . وعندئذ ايضا يعنى الموت شيئا بالنسبة له ، هو ان الانسان حين يموت فمعنى ذلك انه استهلك حتى النهاية . ثم ياتى دور القاهره فيستهل داريل حديثه عنها بابيات يذكرها من قصيدة تقول :

نخيل وقبور
قبور ونخيل
ونهر يتدفق مثلما يتدفق الدخان
تحت سماء ثقيلة القوام

ويضيف الى ذلك مباشرة :

«ذلك كان وصفا للقاهرة التى لاشك انها تشبه إناء تسخين بين صحراوين . ولاشك انها فى الصيف جحيم حقيقى مع سماء لامعة مثل مرجل من النحاس الاحمر . واينما ذهبت شعرت بنقص الهواء . فقد كان كفافى يستطيع على الاقل ان يشم البحر ، وكان يستطيع الفرار الى الشاطىء إذا لم يستطع الفرار من مدينته ، ليشم اوربا . اما هنا فلا تستطيع ان تفر إلا الى الصحراء

وتنبعث فى ذاكرته صور العواصف الرملية والخماسين فى ربيع القاهرة ، فيقول :

« قبل شروق الشمس تستحيل سماء الصحراء إلى اللون البني مثل قماش التجليد ، ثم تسود شيئا فشيئا متورمة مثل الكدمات والرضوض ، ثم تصفو في النهاية. وتاتي دوامات الغبار ذى اللون البني والاصفر من الدلتا اشبه بكتلة الغبار الصاعدة من بركان . وعندئذ تحكم المدينة إغلاق خصاص نوافذها ، ولكن الرمال تغزو كل شيء ... ثم تظهر ، كما لو كان بها مس من السحر ، في الملابس التى طال حفظها داخل الصواوين ، كما تظهر فى الكتب والصور والملاعق . بل تستقر فى كل مكان مثلما يستقر المسحوق ... ومن وقت لآخر تاتي ريح مجنونة من اعلى فتدير المدينة باسرها معها ، حتى تظن ان كل شيء ، الاشجار والآثار والمآذن والناس ، كل ذلك تظنه قد اعتقلته دوامة مهولة . ثم تنسحب العاصفة برقة إلى الصحراء ، إلى حيث ثارت ، مرتدة مرة اخرى إلى سطح الكثبان التى نحتها فنان مجهول الاسم على هيئة امواج ، ببطء ، وبالم ، مثل باب مفتوح نصف فتحة ، يطلع الفجر علينا طارداً الظلام » .

وياتي دور النيل في هذه الرحلة الطريفة من الشمال الى الجنوب فيتحدث عنه داريل حديث خبير بالانهار الكبرى في

العالم : البانجتسي ، الجانج ، الأمازون . ومن خلال النيل يبدأ داريل فى تذوق الانفتاح او الانفساح الذي افتقدتـــــه في القاهرة . وينقله النيل الى اهم مراكز صناعة الحضارة فى الماضي .. طيبة او الاقصر .. التى يسميها «المركز» ، لاننا فى طيبة ـ على حد قوله ـ نصبح داخل نفوذ عدسة مصر الحارقـة . ويضيف بان قصة وجود مصـر قد بدات تحت ضوء الشمس المحرقة ، ثم يتحدث عن العمارة فى المعابد هناك . يقول :

« كثيراً ما ارى ان البلاد تعكس هواجسها فى عمارتها . ويبدو انه قد سيطرت (على المصريين القدماء) فكرة الموت ، هذه الفكرة التى تبدو مركزة حول قيمة الاحتفاظ بالجسد . وعلى اية حال فهذه الحضارة العظيمة التي يشهد عليها هذا الوادي على نحو غير عادي قد انتشرت بوضوح فى جميع ارجاء الشرق الأوسط ، واخضعت القبائل والأمصار ، بما فى ذلك « كريـــت » التى اشـــتهرت بالشراسة . » .

ويمضي داريل مع تاريخ مصر متتبعا ما فعله الاغريق الذين حاولوا الحفاظ على التراث المصري الحضاري إلى ان يصل إلى الرومان . فيقول :

« لقد جعلتهم الكتابة وسن القـوانين مخمورين بالقوة ، فدمروا التماثيل في كل مكان . والحق ان «الكرنك» يذكرني دائما بانه « ارض ديزني (ديزني لاند) للطغاة » ، الطغاة الذين لاقوا حتفهم ككل الطغاة إن عاجلا او اجلا . ولا شك ان الصحراء تقترب من حولهم وتحاصرهم ، والصحراء هي المتحف الحقيقي . ولكن الماء موجود دائما ، الماء الذي هو اساس الحياة ، إنه شريان الروح المصريـــة والجهاز العصبي لحياة البلد كله » .

وهنا يصل داريل إلى اعتراف خطير . يقول :

« علي ان اعترف بانني شخص غير مكترث على نحو شنيع . قد يبدو ذلك غريبا ، ولكني شديد اللامبالاة . وحياتي تجري إما فى الكتب وإما فى الاحلام . فاذا لم تسقني الظروف لا اعتقد انني اتحرك من نقطة إلى اخرى . ولو لم يكن الالمان قد ساقوني لما تحركت من اليونان . يالاسف . انظر كم كنت سافتقد ! »

سؤال مهم جداً :

● كيف يحصل الكاتب على روح المكـــان ؟ .

الجواب مختصر وذكي جداً :

ـ اغلق عينيك وابصره . فكلما قويت رؤيتك للمكان قوي نقلك له . وإذا تشوشت الكتابة ، فذلك لانك لم تذكر بما فيه الكفاية. وإذا تشوشت الشخصيات ، فذلك لانك لم تغلق عينيك وتقل : والآن ، ماذا كان لون ربطة عنقه !

سؤال اخير :

● هل يغير مرور الوقت موقفك من الاحداث او المكان ؟ .

ـ المسالة مسالة عرف او اصطلاح . تامل استخدامنا للوقت فى قول الناس : «لم يمر الوقت » ، «مر الوقت كانه لمحة» . إنه نفس الوقت . اما هنا ، فنحن نحس بان الوقت هو وقت النيل . وحين نقول إن وقت النيل يعلو وينخفض فى شرايين الناس ، فنحن نفكر مرة اخرى فى علو مد النيل وهبوطه .

إلى هذا الحد يصل لورنس داريل إلى ختام حديثه الشاعري او شعره المنثور حول معشوقته الاسكندرية . فيقول وهو يودع مشاهد المدينة فى ختام البرنامج :

« ما إن تغرب الشمس عن ارض مصر حتى يتمثل صيف البحر المتوسط امامي بكل زرقته المغناطيسية . وهناك ، فيما وراء خط الافق البنفسجي ، ترقد الاسكندرية ، محتفظة بقبضتها الرقيقة على مشاعري ، من خلال الذكريات التى تعود ببطء إلى مجاهل النسيان : ذكريات الاصدقاء او الحوادث التى مر عليها زمن طويل ـ إن وهم الزمن البطيء يبدأ فى القبض عليها (على الذكريات) وتعتيم ملامحها حتى لاتساءل احيانا عما إذا كانت هذه الصفحات تسجل اعمال مخلوقات بشرية حقيقية ام ان هذه ليست قصة بضعة اشياء غير ذات حياة رسبت الدراما حولها اعني اشياء مثل رقعة سوداء ، سلسلة ساعة ، خاتمي زواج مفقودين .. » .

وبهذا ينتهي حديث صاحب رباعية الاسكندرية عن المدينة التى الهمته عمله الروائي الرئيسي ، وصنعت صيته ، وشجعته على الاستمرار فى حرفة الكتابة . وربما شجعنا حديثه هذا على القول بان وراء كل كاتب عظيم مدينة .

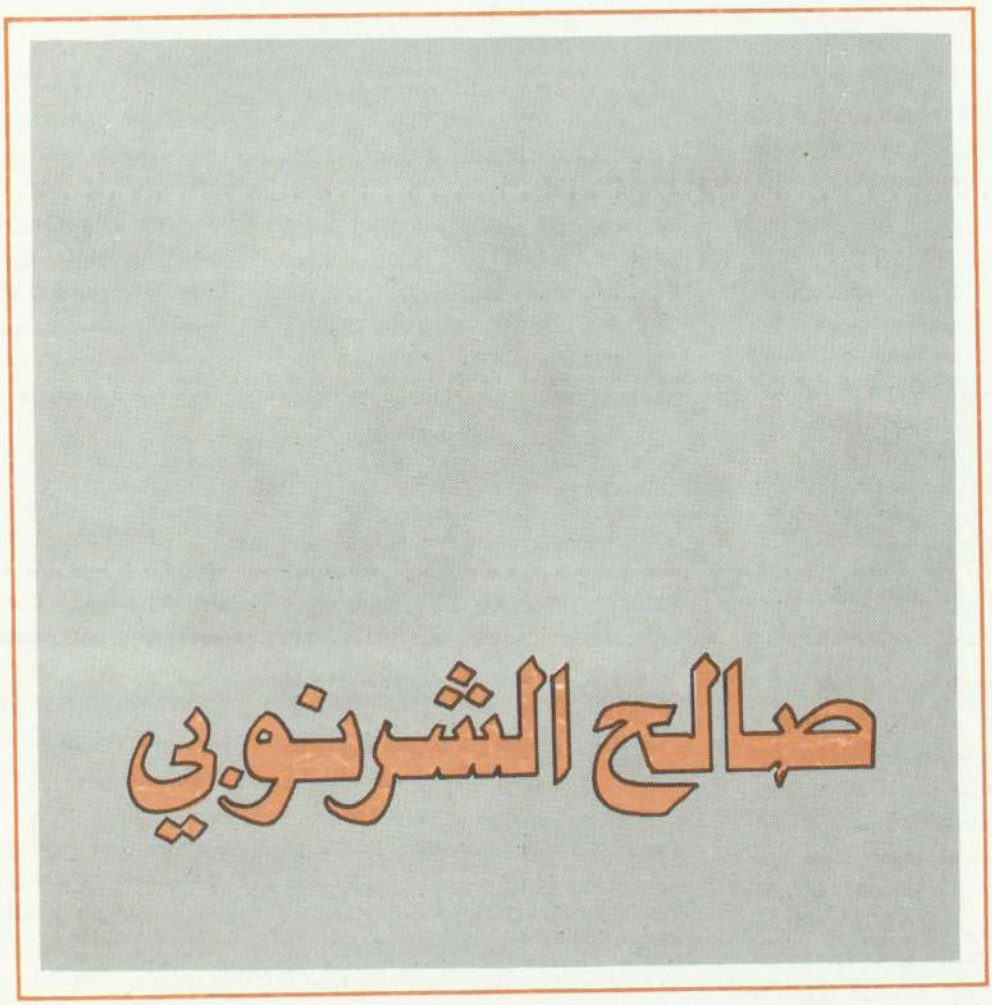
وربما يصـدق هذا ايضا على كتاب آخرين عظماء من امثال بلزاك الذي عشق باريس ، وديكنز الذي عشق لندن ، ونجيب محفوظ الذي عشق القاهرة ، وللكتـاب احيانا فيما يعشقون مدن !

اليس كذلك ؟ .

على شلش



منظر عام لمدينة الاسكندرية .. المدينة التى عاش فيها «داريل» و استوحى روايته الشهيرة .



شاب نضج قبل الأوان ومات في العنفوان

بقلم : حامد بدر

ذلك الشاعر هو صالح بن علي الشرنوبى ، من بلدة بلطيم التابعة لمحافظة كفر الشيخ بمصر ، والواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط

ولد صالح فى السادس والعشرين من شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وأربع وعشرين . وتوفى فى السابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين . أى ان الشاعر مات وعمره سبع وعشرون سنة . وفى ذلك العمر القصير قاسى الكثير من المحن والآلام . وفى خلال الفترة من سنة ألف وتسعمائه وأربع وأربعين حتى وفاته سنة ألف وتسعمائة واحدى وخمسين ، نظم ديواناً ضخماً من الشعر القوى الرائع ، يضم أحد عشر جزءاً هى : (أصداف الشاطىء) و (الأمواج) و (نسمات وأعاصير) و (فى موكب الحرمان) و (وطنيات) و (أقاصيص فى الحب والحياة) و (أشعار ورسوم) و (ظلال وألوان) وجزءان بلا عنوان ، والجزء الحادى عشر والأخير (مع الريح) .

تمثل هذه الاجزاء الاحد عشر (ديوان صالح الشرنوبى) تحقيق الدكتور عبد الحى دياب ، ومراجعة الدكتور احمد كمال زكى . طبع ونشر دار الكاتب العربى بالقاهرة وقد قال الدكتور احمد كمال زكى فى تقديمه للديوان :

« كان الشاعر إنساناً فذا ، وكان فناناً لا يشغل نفسه بأكثر من انه يريد ان يقول ، وسيقول رغم كل شىء ، وسيسمع الناس منه اليوم أو غداً ، ولما مات بكاه عارفوه ، وقال بعض النقاد : إنه لو عاش لبز أعلام الشعر قاطبة » .

ولا أحسبنى مسرفاً إذا أيدت هذا الرأى ولست بصددمقارنة بين صالح وشوقى مثلا وان كنت أستطيع أن أقول : إن المقارنة

لا تضيف زيادة إلى وزن صالح ، ولا تنقص من وزن شوقى . على انه لو جاز لنا أن نقارن بينهما فلابد أن ناخذ فى الاعتبار أن صالحاً عاش عمره القصير فى شظف وحرب مع الحياة . بينما عاش شوقى حياته الطويلة العريضة فى ترف وسلام .

واعتقد أن شوقى لو أدرك صالحاً لأنصفه ، وشهد له بالعبقرية المبكرة ، فقد كان شوقى رحمه الله لا يضن بالتقدير على مستحقيه شباباً أو شيوخاً . كذلك كان صالح رحمه الله وفياً ومحباً لشوقى كل الوفاء والحب ، فنظم أصدق الشعر فى ذكراه .

نشأ الشاعر فى بيت عريق فى الكرم ، فيه للضيوف طابق خاص . وكان والده الشيخ على الشرنوبى تاجر الأسماك ـ رحمه الله ـ رجلا متديناً متمسكاً بتقاليد الأسرة المصرية الأصيلة . كذلك كانت والدته ـ رحمها الله ـ بل اشتهرت اسرته كلها بالتدين والتقوى .

حفظ صالح القرآن الكريم فى العاشرة من عمره ، وتلقى العلم بالمعاهد الأزهرية حتى حصل على الشهادة الثانوية من معهد طنطا الدينى فى عام الف وتسعمائة وسبعة وأربعين . ثم أراد الالتحاق بكلية دار العلوم فلم يوفق ، فدخل كلية أصول الدين ولم يستمر فيها ، ثم دخل كلية الشريعة ولم يستمر فيها أيضاً .

كان ينظم الشعر باقتدار عجيب ، وقد صور آلامه فى قصيدة عنوانها (حياتى) قال فيها :

الحمد الله على ما قضى
والشكر لله على ما أمر
فما أظن الأرض تحوى فتى
وجوده قد كان احدى الكبر
مثل فتى يدعونه شاعراً
وما بغير الموت يوماً شعر
حياته ليل دميم الرؤى
مروع الاشباح كابى الصور
تفترس الآلام أحلامه
وترتوى من دمها المنهمر
أحمق منه وهو يبنى المنى
تلك المنى إذ تتحدى القدر
يبكى بلا دمع وفى قلبه
مايفرق الدنيا إذا ماانفجر
وربما زان له ضعفه
أن يشتكى الامه للبشر
لكنه يخشى مواساتهم
فى محنة .. الصبر فيها انتحر

وقد كانت هذه الموهبة عند صالح أقوى من كل شىء حوله ، فهو فى حالة شرود شبه دائم ، مما جعل أسرته ترتاب فى سلامة عقله . وبتوصية من طبيب الأسرة دخل صالح مستشفى الأمراض العقلية ، ثم خرج من المستشفى بعد أن تبين انه عاقل تماماً ! ومن هنا نعرف بداية القسر الذى وقع على شاعرنا العبقرى فاحاط حياته بعوامل التعقيد والتشاؤم .

ويقال ان سبب الشرود الذى أصاب الشاعر هو تأثير المخدرات ، وربما لجأ إلى هذه السموم عندما ضاق بالحياة وضاقت به . ويبدو انه كان فى حيرة تتنازعه عوامل الشر والخير ، فقد جنح أخيراً الى التصوف باحساس صادق ، وهم باحراق شعره ، لولا أن والدته التى كانت تعرف قيمة هذا الشعر عنده منعته ، وأخفت مخطوطاته فانقذتها من الحرق . وكان يقول : اللهم إنى تبت إليك من ذنوب انت تعلمها وقدرتها وكانت ، فاجعلها كان لم تكن لأنى أريدها أن لا تكون ، وأنت ربى وأنا عبدك .

اشتغل صالح مدرساً فى مدرسة بنات بلطيم الابتدائية ، ثم تركها وذهب إلى القاهرة ، وفيها التقى باصحاب له ، ولقى صعوبات فى الرزق واسبابه ، وكان يعيش على معونات من أبيه ، ومن تاليف اغان للأفلام لا عن رضا بل للضرورة ، لأنه كان يؤثر الشعر ، ولا يحفل بالزجل .

حاول الزواج من فتاة ببلدته بلطيم فلم يوفق ، وراح يطلب العيش فى القاهرة ، ولكن سوء الحظ كان يرافقه . وقد كف والده عن مساعدته بالمال ليرغمه على العودة إلى بلطيم والعمل بالتدريس كما كان . ولكن صالحاً رأى أنه لا يستطيع العودة إلى بلدته بعد أن نبذته ورفضت تزويجه . وهو أنيق وسيم لم يقلل من وسامته شيء سوى أن في وجهه بثوراً زعم أنها سبب نفور الفتيات منه فهجا وجهه قائلا :

لك يا وجهي التعيس هجاني
فى صباحي ومغربي وعشائى
أنت يامتحف الدمامة والقبح
تنزهت عن صفات البهاء
إننى كلما لقيت فتاة
صفعتني بالنظرة الشزراء

وكان لابد من أن يعمل ليعيش فعاد إلى التدريس مرة أخرى بمدرسة أجنبية بالقاهرة ، ولكنه فصل منها بعد شهور ، ولما لم يقدر على دفع أجرة غرفة فوق سطح بيت لم يجد بدا من أن يحمل متاعه المتواضع ويلجأ إلى جبل المقطم ، أو ما سماه الجبل المضياف ، فيأوى إلى مغارة بجوار مقابر الغفير ، وعلى مدى شهرين يعود كل مساء ليرقد فى أحضان الجبل . وفى ذلك يقول :

إلى هنا ياجنة الحقير
أكل جوعي وأضم نيري
وليس لي فى الأرض من نصير
إلا ضميري آه من ضميرى
البسني ممزق الستور
وجاء بي حياً إلى القبور
أقرأ فى ظلامها مصيري
وأعرف الغاية من مسيري
من احتراق الأمل الأخير
وفرقة الصاحب والعشير

وعندما تنكر له صديق فى محنته قال فى قصيدة عنوانها (الصديق) :

ذهب الصدق والصديق فدنيا
الناس دنيا الذئاب والأغنام
كم صديق محضته الود صرفاً
كان أقسى علي من أيامي
وصديق سقيته من حناني
فسقاني كؤوس موت زؤام
وصديق حميته من ضياع
فبنى صرح مجده بحطامي

ورغم هذه النظرة التشاؤمية إلى الأصدقاء يحدث ما يثبت له أن الدنيا لم تقفر من الوفاء . ويعرف أحد أصحابه أنه يأوي إلى مغارة فى الجبل فيذهب إليه ويقنعه بالسكن معه فى بدروم لم يختلف عن كهف الجبل إلا فى أنه سرداب مظلم تحت الأرض .

ويعلم الشاعر الانسان المرحوم كامل الشناوي أن صالحاً لا يجد عملا فيلحقه بعمل فى صحيفة الأهرام .

وقبل وفاته بيومين قال لصاحبه الذى يسكن معه فى البدروم المظلم : إنني ذاهب إلى بلطيم ومعي إحساس غريب اننى لن أعود .

ويذهب صالح إلى بلطيم مدفوعاً بشوق شديد إلى أمه التى استقبلته بشوق أشد .. وكان اللقاء الأخير الذى خرج بعده إلى مكان حبيب له بجوار بحيرة البرلس .

وعلى شريط قطار الدلتا جلس مستسلماً لتاملاته ، غارقاً فى شروده .. إلى أن جاء القطار الذى دهمه وأنهى حياته !

وانطوت صفحة الشقاء ، ولكن صفحات الخلود لن تنطوي أبداً .

رحم الله الشاعر الذى نضج قبل الأوان ومات فى العنفوان .

حامد بدر

في هذه الدراسة القصيرة لشعر الشاعر السودانى الراحل محمد المهدى المجذوب ، فى ديوانه «نار المجاذيب» .. لم الق بالا الى التصنيف الزمنى للقصائد . بل عنيت بمتابعة وإيضاح الايقاع الداخلى لرؤيا الشاعر ، التى جوهرها توتر بين قطبى البراءة والتجربة ، اتخذ عدة اشكال تجسدت فى شكل رمزى هيكله قصة خلق الانسان من حما سرت فيه الروح ، ثم سقوطه فى الزمن ، ثم إحساسه بغربته عن وطنه الروحى ثم محاولته استعادة براءته بمواجهته الشجاعة لجحيمه الخاص ، وجعله الندم محوراً يعود به الزمن ، والذات الى جذورهما وينبوعهما الاول .

رحلة فنية وفكرية مع شاعر سوداني كبير

البراءة والتجربة في نار "المجاذيب"

بقلم: الدكتور محمد عبد الحي

وهمٌ وعيشى كله وَهَمُ ... وتعلة لكنها حلمُ
كم طُلَّ فيها-لا تُنَال - دَمُ ... وهوًى تفتّح فى ثرى إرمِ

ارم ذات العماد ـ كما تسمى فى القرآن ـ هى الروح فى الأساطير العربية مبنية على حافة الفردوس ، ويقال انها مازالت فى مكان ما فى الصحراء ولكنها خافية عن اعين البشر ـ ويراها بعين بصيرته من تطهرت روحه من أدران الحياة وسخامها .

ومحمد المهدى المجذوب الذى تفتح فى ثرى «ارم» هو حال النفس الشاعرة فى براءتها الأولى وقد وقفت كما يقول فى قصيدته «زهد» :

عريانة كمحيا النبع مقتنصا
عُزّىَ الازاهر لم تحفل بقطاع

وذلك قبل ان نسقط فى حمى التجربة حيث الاحساس (بالسجن) : (انا السجين وكم حاولت من هرب) . وللتجربة هذى ابعاد من الفوضى والرعب :

هوة فى الزمان لا يعرف
الصبح مداها ولا تطيق الدجون
حيث لا تعصف الرياح ولكن
يعصف الخوف والردى والجنون

الشاعر تجسيداً لثنائية حادة فى الذات وتعبيراً عن محاولة دائبة لتحقيق الحلم المتفتح خارج مجال التوتر بين الحرية والبراءة وبين الضرورة والتجربة . فمصدر الشعر شق كبير فى نفس الشاعر :

وقد اهب الآفاق نفسى وانثنى
باخرى متى تصبح على الارض تفسد

تتخذ هذه الرؤيا المنقسمة على نفسها عدة اشكال : فهى قد تتخذ شكلا ذاتيا ـ او تاريخا فرديا ـ محضا ، يصبح فيه الصبا الأول او الطفولة ، فى براءة الأولى بينما تتمكن التجربة من نوازع الشهوة والشك المصاحبة لنمو الوعى بالذات . فماضى الروح طاهر نقى (بالمفهوم الدينى) ملتئم التئاما عضويا بالعالم ـ إنه كنز الروح المدفون فى اعماق الزمن :

خدين الصبا اين الليالى مضيئة
هنالك فى كنز لدى الأمس مقفل
اتذكر نارا اوقدت عند خلوة
عشاء تغنى بالكتاب المنزل
هنالك اوطانى وبدلت جيرة
لهم كل يوم حالة من تبدل

ويظن الشاعر ان خلاصه فى استرجاع الصبا وبراءته كما فى قصيدته . «الكون الفاسد» :

آه لو يرجع الصبا من جديد
فهو حسبى من الهوى والرشاد
رف لى بسمة واعرض كالبرق
فزاد الظلام عمق سواد

واحيانا قد تتخذ البراءة والتجربة شكلا اجتماعيا رافضا لمظاهر التقدم الحديثة ، وطامحا لحياة ريفية وادعة . ففى قصيدة من «نافذة القطار» يجعل من القطار رمزا للتقدم العصرى الذى يعتدى على براءة الطبيعة ويشرخ الصلة بين الانسان وبينها ـ فالقطار المشيح (عبست فوقه الذرى .. والجلاميد حانقات) عليه وهو (مارد اتى بافعوان) المدينة ليسمم ـ كما تستنتج ـ براءة الطبيعة الريفية . إنه يجىء : (صارخا ياكل الطريق وينسلخ بكل افق



محمد المهدى المجذوب .. شعره معين حكمة ونور وجمال

دخانه) وقد (رمقته الذرى كما يرمق الصياد وحشا جفوله واكتنانه) ، وهو فى (مرة ينهب العيون فلم تعلق بسدر ولا المت ببانه) ... وفى القطار ـ رمز الحياة الحديثة ـ يمتلىء الشاعر بحنين الى الايقاع القديم قبل ان تبدا فى قعقعة التحديث التى فصمت وشائج القربى بين الانسان والعناصر الأولى العالمة :

أين من خطفه الجمال وحاد
مد فى المجهل السحيق عِنَانه
يرمق الثاقبات كالوَدَع المنْبِى
ويرتاد غيبها بالكهانه
واحد عيشه لدى المهْمَه الكنّ
رضيّا وفى اخضرار البُطَانه
ليت لى رجعة الى ذلك العهد
أماشى على اختيار زمانه
ريْثُه أمهل القلوبَ فللنجو
ى وللوُدّ آنة بعد آنه
وفؤادى تشوّقٌ وسِعَ الكو
ن وعينى تطلّعٌ واستبانه

ويتسع هذا الشكل الاجتماعى ليصبح رفضا للمدنية وتقمصا لروح بدائى لم تفسد براءته بعد ـ فالشاعر يرى احيانا فى النزوح من المدينة الى اعماق الغابة «العذراء» تحررا نفسيا من الذات التى افسدها المجتمع الحديث المعقد ، واستعادة لبراءة طابعها البساطة فى العيش والتحلل من الفروض الاجتماعية وقيودها الاخلاقية. «فالاخلاق» و «المجتمع» و «القوانين» امر صعب ، فيه الدين وفيه العدل ، نقرا فى قصيدة (انطلاق) ، «رومانتيكى» محض :

ويوم «التّنْج» حيانى خيالٌ
غريبٌ ليس يعرفنى حميمُ
تعرّى ليس تُحرجه عيون
طليقا فى شبيبته يحوم
تخطّر فى محاسنه بريئا
ينسىّ العار منظرَهُ الوسيمُ
فيا ليل الجنوب وانتَ حانٍ
خرائده اللذائذُ لا النجومُ
نسيت بك العواصمَ قاسياتٍ
وفى حاناتها رخَمٌ وبومُ

وفى قصيدة (بين المالح وبحر الغزال) يؤكد هذا المعنى :

تركت بلادا فى الجلابيب عوّما
الى بلد فيه الثياب قلائد
ولا يعرفون العار والثوب خادعا
هو العار كم تخفى لديه المكائد

ويتخذ شكل الانفصام بين الفعل والفكر او المظهر والمخبر او الظاهر والباطن . فالشاعر يرى احيانا ان هذا الفصام جاء نتيجة لابتعاد الانسان عن طفولته على الصعيدين الفردى والاجتماعى . مثلا ، فى قصيدة (انطلاق) التى سبقت الاشارة اليها يقول :

فديت الناس قد لبسوا قلوبا
كاعينهم تنم بما تروم
فبات الناس اطفالا وراحوا
ولم يُخْرج تطلعهم كتومُ

وفى قصيدة (ملامتى) يعبر عن الفصام بين براءة نبع الفكر الباطنى ، وقشرة الفعل الظاهر :

انا شيخ ملامتى ومهما
قال فىّ العباد فهى اجور

والملامتية (هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بطونهم اثر البتة (وهنا) فرق بين الملامتى والصوفى) . ولكن محمد المهدى المجذوب شاعر ، اولا ، وليس بصوفى وملامتى ، وان كان بينه وبين المتصوفة او الملامتية وشائج ـ واعلانه انه شيخ ملامتى يجب ان يفهم فى نطاق انفصامه عن البراءة والتجربة : فهو كما فى قصيدته (العرّافة) يؤكد ان له قلبا بريئا ، وفى قصيدة اخرى يعبر عن ذلك تعبيرا جميلا :

وفى الضلوع مقاصيرٌ محجبة
فاسربْ اليها وفيها بهجةٌ وَدَدُ
وانت لؤلؤةٌ يا قلبُ عامرةٌ
للنور والطهر فى ارجائها أبَدُ

ـ ٢ ـ

هذه الاشكال الثلاثة تتبلور كلها فى شكل متسع واحد : البراءة والتجربة ، وتتجمع فى هيكل رمزى اكبر يخرج بها من النطاق الفردى الى النطاق الانسانى العام، ويمنحها عمقا دينيا متميزا . هذا الهيكل الرمزى المتسع يستمد عناصره من الشكل الدينى لتاريخ الانسان بداءة فى الفردوس وسقوطا منها بعد ان اكل فاكهة الشجرة المحرمة ـ ثم متابا وأملا تجسد فى الأنبياء ولكن ليس هذا اكثر من هيكل رمزى عام . اما الأسلوب الخاص والملامح المتميزة التى يمنحها الشاعر لهذا الهيكل كي يعبر عن دقائق تجربته فى خصوصيتها وتمييزها ـ فهذا ما ساحاول اظهاره فيما سياتى :

الشاعر يرى فى السقوط من الفردوس وتجربة الحياة والخطيئة مظاهر متلازمة لفعل واحد :

ويا رب هذا الوحل فى النفس فائح
تنفسته فى جنة وخبالِ
وكيف نجائى منه والروح قطرةٌ
عليها جبال اوقرت بجبالِ
وإنى كاهل النار عضوا لهيبها
ومن فوقهم روض الفرادس حالِ

البـــراءة والتجـربـة في نـــار "المجاذيـــب"

وهكذا تصبح الحياة مجالا يتكرر فيها فعل السقوط الأول ورمزاه الأولان : التفاحة والحية

وهنا يكمن ازدواج معنى الحيَّاة عند الشاعر . فمن ناحية اخرى هى هدية الله للانسان كي يكشف فيها نفسه :

لنا وهَبَ الدنيا جميعاً تحيةً
لذائذها صبحٌ على الحبِّ خالدُ

فالشاعر لا يرفض الحياة بل يعيشها ـ كما يقول ـ (فى شهوة لا تنطفىء) (وهو عشقى الحياة من فضلك الغمر وحرص على البقاء تليد) . ومن قصيدته (الفراشة) (اين الفرار من الحياة وسحرها نفسى بنافح عطرها يتروح) . ويمجد مظاهرها الخلاقة فى البشر والطبيعة . فدم (المخاض) : (حمرة الشفق ـ مهد فجر منعم) والوليدة نجمة حياة (جحدت ظلمة الأبد) والسحب على التلال : (مواكب عرس) والأرض تستلقى تحت البروق راعشة كالحسناء مذعنة للمس . وكل شىء يتوهج فى خدور الاشتهاء ، ومهرجان الخصوبة . هذا التمجيد للحياة اثار اجمل الشعر النابع من كل الجسد المغتبط بتدفق الاشياء حوله وروائحها والوانها وكثافتها . انه لا يفكر فى الحياة فحسب ، بل يحس بها إحساسا عميقا يستوفز كل جسده :

زهـرة فـى جُنوبهـا العسـلُ
الخفـاقُ روض بقطـرةٍ مستكنُّ
نَفسى عـبَّ فيـهِ مِن دمِـى
المحـرورِ نفـحٌ اشمُّه واجَنُّ
فى حَشَـاى المشـوقِ سـحْبٌ
ولا تَهمى بارضٍ تخاف لمعَ البروق
جنـةٌ حلوةُ الثمارِ بها الغدرانُ
تَغْنَـى عـن السـحابِ الدَّفُـوقِ
يشتهى قطـرةً مِـنَ العسـلِ
المخبوءِ نحـلٌ مُنَوَّرٌ فى عروقـى
وحشَاىَ المشوقُ سُحْبٌ من الريح
بها الشوقُ صرخةٌ من غَرِيـقِ

ولكن هذا التمجيد للحياة لا ينفى التناقض الذى يرى فيه جوهر الوجود الانسانى بعد انفصال هذا الوجود عن زمانه الفردوس الأول . ان كل هذا الجمال الى زوال بعد ان سقط عن خلود بدايته :

حبـب هـذه الحيـاة وعطـر
وخيـال يريـد وصـل خيـال
وصـدى للنواح فى الابد الخالى
ورثـاه عـن قلـوب الاوال

الحياة مثل (الحبب) ، و (العطر) و (الخيال) تلمع برهة بجمال اخاذ ثم تتلاشى ـ لا يحميها جمالها من تفتق بذرة العدم الكامنة فى وجودها الزمانى . واهتمام الشاعر بالتصوير الدقيق للاشياء محاولة منه لمنح الأشياء خلوداً فى الشعر ، فقدته فى وجود حياتها .

الاشياء ـ والحياة كلها ـ تضمحل وتتلاشى مع تلاشى لحظات الزمن ـ الاحساس بالزمان عنده ملازم للاحساس بالعدم . وهكذا تصبح الشمس ـ المصدر الاسطورى للخصب (العنكبوت على هوة ليل نسيجها يتتالى) إذ تسقط الأيام كل مساء فى عدم سحيق .

هو العيش خدن الموت والحب خدعة
فهل تعشـق الموتى القبـورُ الكوالـحُ
وهيهات شَابَ القلبُ فى كل نبضـة
ماتمُ جسـم كـل ما فيـه نائـح

ولهذا فهو لا يستطيع ان ينعم بالحياة دون توجس فاللذة فيها مشوبة بالالم دائما :

فسـاءنى وشـجانى اننـى بشـرٌ
اشـج بالألـم الحـراق إمتاعـى
(وما الشوق إلا حرقة النفس فاتها (...) خلود) .

ونتساءل عن مصدر هذا التناقض بين عناصر الوجود الانسانى ، والاجابة التى نستخلصها من القصائد تظهر لنا الجوهر الدينى لرؤيا الشاعر ولتفسيره الرمزى للوجود .

والخطوط العامة لما اعنيه بالتفسير الدينى الرمزى للوجود الانسانى تتلخص فى ان الانسان يعيش فى عالمين فى نفس الوقت عالم الابد ، وعالم الزمان ... فالانسان ينتمى الى الطبيعة والتاريخ ولكنه يعلو عليهما ويمتد وجوده وراءهما

الروح للـه من انـواره ينَعَـتْ
فنـورت اعينـاً سـوداً واحداقـا

ولكنه يعرف ان هذه البراءة مشوبة ، فهو يتساءل ويجيب :

أاتـرك سر الـدود للطيـن إننـى
شريـكٌ لـه كل علـى الطيـن فارحُ

محمد المهدى المجذوب لا يحس انه يعيش مجالى البراءة والتجربة فى نفس الوقت ـ بل يعيش انفصامها و «غيرتيهما» . إحساسـه «بالثنائية» بين عالم الفردوس وعالم السقوط هو مصدر ما يمكن ان نسميه «بالغربة الميتافيزيقية» فى (نار المجاذيب) إنها غربة الانفصال عن البراءة الأولى .

رب ما اعـذب النـداء بيـا
رب ومعنـاك فى الضميـر حيالـى
نفحة داعبت كرى الظما المسـنو
ن يسـعى اليك بعـد انفصـالِ
هـى جازت بادم جنـة الخلـدَ
ضـراراً لجنـة فـى زوال

ومن قصيدته (غريب) : (وطنى اين ليس فى شاطىء النيل فلي غيره بنفسى نيل) حنينه لذلك الوطن الذى هو حالة من «الوجود العينى» تعيش الذات باحساس عميق بالبراءة والهوى المتفتح على ضفاف الينبوع الأول .

الشاعر يعرف ان جذوره فى ماء ، وان امله الخالد ان يعود بالنفس الى جذورها فتلتئم :

انت الغريـب علـى الدنيـا باجمعها
علـى فـؤادك لا يبلوك: دقَّاقَـا
سيغمض المـوت اجفانـى وافتحها
طفـلا يعـود الى الجنات مشتاقا
مثواى جنـة عـدْن سـوف يفرحهـا
عـودى انَفِّضُ سترَ البيـن اخلاقـا

وايضا :

قربـى للخيـال يا جنـة
الخلد وعوداً ممضة كالعوادى
اظمانَّنـا ونحـن نعثـر بالأيام
مثـلَ الريـاح بالأطـواد

انها رحلة يستدير فيها الزمن الى بدايته . ولكن الشاعر الذى يعيش فى عصرنا الحديث يعرف ان رحلته اصعب من رحلة الانسان فى عصور النبوة حيث كانت يد الله تتدخل مباشرة لتطهير الأرض من طغيان الدرن. فى قصيدة (الطوفان) تعبير عن الولادة الدائمة للحياة خلال الانبياء فى زمن مضى ، ورفض الحلول الحديثة التى ترى فى التقدم العلمى انقاذاً للبشرية لأن هذه الحلول لاتقتصر على معضلات الوجود وانما على معضلات الطبيعة :

ـ ٣ ـ

اذن ، كيف يرى الشاعر خلاصه وتطهره من عناصر الخطيئة التى تشج وجوده وتمسخه ؟

هناك الشعر .. وربما فيه وسيلته الوحيدة لادراك الحلم الغارق فى الاعماق ، فالشعر ليس هدفه بقدر ما هو وسيلته لاكتشاف الذات وتطهيرها ، وسلمه الذى يرقى به الى مكامن جذوره .. الشعر عند محمد المهدى المجذوب اعتراف أو تطهر من دمغة الخطيئة بالاعتراف بها ، وانتصار شجاع على النفس الامارة بالسوء بمواجهتها بجحيمها الخاص .

وفي جبهتي وشم ولم أخف لونه
ورحت به من دون ثوبي أرتدي
دخان باعراقي وجلدي أراقه
دوائرَ ضمت كل سهم مسدد
حملت صليباً من سقامي رامته

وعدت بأوزاري الى باب مسجد .

هذه المقدرة على مواجهة الجحيم الداخلى تجربة تقف فيها الذات وحدها امام مصيرها دون لجوء الى نهنهة الجرح او إخفائه او تجاهله .. إنها معاناة فيها الجريح وفيها الجارح شخص واحد .

فى قصيدة (النار والشعر) يؤكد انه يطهر جرحه بالنار ولايخفيه عنها . فالنار التى احرقت الشعر تصبح رمزاً للنار التى تتطهر فيها الروح .

حملت سَرَىً مفضوحاً اكاتمه
جرحاً يسيل فطهّرنى بغفران
امنت بالله نفسى لست املكها
وما نسيت وقد همّت بعصيان
عَيْشى الندامة مشغوفاً بصحبتها
مع الذنوب وهذا العيش اعيانى
يارب حسبىَ من شجو انوء به
انى غريب وما فارقت اوطانى
نار تَأَكَّلُ فى نار وما وَلَدَتْ
الا رماداً حزازات واشجان
... ...
كهل ينادم اشعاراً حسوت بها
ناراً لديك فقد ضيعت ندمانى

الشعر الذى يفضح جرح الروح ويقر بالوحل الفائح من النفس وقد عضت لهيب النار ، (عبء على النفس) فان فيه ضوءاً حارقاً يقع على الاعماق ويكشفها . يقول انه كلما ناء بشعر يستنزف القلب تملكه (خوف من الشعر فادح) ، فكرة الندم هى محور ذهن الشاعر . والندم ـ بالمفهوم الدينى ـ اقرار بالذات اسدلت الاستار بينها وبين الالوهة . وهذا الاقرار ـ او الاعتراف ـ بداية للتطهر والسعي للحرية التى هى ايضاً للبراءة من اوضار الخطيئة فالندم هو نقطة دوران الزمان الذاتى فى رحلة العودة للجذور فى الوجود الانقى . وفى قصائد (نار المجاذيب) ، نجد تصويراً دقيقاً لتجارب حسية هو بمثابة الاعتراف بها ، فمن خلالها يستثير نوازع الندم عنها :

صليت بين مآتمى ومدامعى
تبكى علىَّ وكل ذنب مذبَحُ
وحملت قبر ندامة فى منكِب
يَبِسٍ على اثقاله يترنح
يارب يا نور العيون وانسها
حتّام يحفرنى المتابُ واصبح
وعقمت رغم هدايةٍ صاحبتها
طفلاً وقلتَ عن نصيح يجمح
فاسمل عيونى بل عيون مشاعرى
اعراسها بخواطرى تتصيح

فكرة (الندم) هى الايقاع الرئيسى فى حركة الروح المغلقة للبراءة رغم شبكة التجربة :

وكم ذنب يخادعنى شذاه
صحبت له الندامة فى حياتى

واخرى :

واوقد عقلىَ مصباحَه
يصيح بقلبىَ فى المآثمِ
فياويح عقلىَ من راهب
اخوه فؤادىَ لم يندمِ
من (الخلود) و (الذنوب) ، يقف
الانسان (مريضاً) يامل (الخلاص) :

هيهات اخلد والذنوب عتية
خرقاء تبرق فى حشاى وتزأرُ
وانا المريض فكيف اخلص ناجياً
والنفس فى قفص المتاب تنمّرُ

ومثال آخر :

اطهر جسمى أسال الله رحمة
لقلب باوضارِ الامانى مجسد
ولا عنت ذنبى وهو ذنب « منافق »
متى ما رانى نادمَ النفس يسجدِ
واصبحت فى اعماق روحى مرارةٌ
لها زَبَدٌ ان تصبرِ النفسُ يخمَدِ
والندم والاعتراف مظهران لفعل تطهري
واحد :

رب ضيعت فى الذنوب اماسىَ
وصبح التقى لهن طريد
ليس عذرى من المآثم اقرارى
ولكنه العِزامُ البعيدُ

ـ ٤ ـ

بعد الاعتراف والندم تقف النفس كالارض البوار جرداء فى انتظار اخضرار وازدهار لا ياتيانها إلا بغفران هو هبة وفيض من الملأ القدسى للنفس المتفتحة نحو السماء . فى قصيدة (سلوى) يقول : (انا الآن يابس) :

اضلعي كالفلاة فى السُّعُرِ
الضحيان قد ترتجى فلاة بلالا
اكلت نبتَها واخلفها الغيثُ
ولامت بها الرمالُ الرمالا
وترامت على السراب لتستجديه
رِيًّا وهل تمنّت محالا
سكرت من عذابها فتظنّته
بَرُوداً على يديها زُلالا
... ...
وارى شهوة الكمال تزيد المرء
عجزاً يردُّ عنه الكمالا

وها هو ذا الشاعر يدير قلبه نحو الاله الرحمن الرحيم مناجياً :

بين عينى حسن خلقك ياربى
وبين الضلوع قلبٌ عميدُ
اخطأ الناس ما إرادتك الكبرى
شقاء العقول وهى قيودُ
رب عذرى اليك شكرى وما جحدَ
النعمة الا مخيب او كنودُ
... ...
انت سقيتنى فلم تظما النفس
ويناى عن الخيال الخلود
غير انى احسنت ظنى بالله
وخلف التراب بعث جديد

اذن ، ليس لديه غير الانتظار والايمان ، ففيهما قول وراحة للنفس التى احهدها الظما والشوق فى توترها بين قطبى البراءة والتجربة . وبهذا الأخلاء الأخير الى القدر الالهى بعد ان انفتحت الذات متطهرة لاستقباله ، ينتهى ديوان (نار المجاذيب) وبعد ان ادى الشعر مهمته لم يعد الا (قوقعه فارغة) عليها خطوط ونقوش وألوان مما تركت حركة اصطخاب الروح فى الأعماق (لقد كانت فى اعماق هذا البحر المائج ـ ومن حركته فى الاعماق اتخذت شكلها ـ واتخذت حياتها) .

إنه الآن (ساكن وفى سكونى خواء متعب ـ وذكرى غامضة) لاتوتر الآن . وانما انتظار ساكن لشىء يعرف انه سيحدث . وهو يحيا حياته العادية فى هذا الانتظار الساكن . وفى مكان ما من وجدانه يتفتح ـ رويدا رويدا ـ بذور الشعر الجديد . لقد لزم داره كما يقول فى قصيدة العودة ـ آخر قصائد الديوان ـ وباطفاله (امنت) نفسه الحزينة (من هم وبلبال) ـ وقد هجر (سراب الشعر) ـ لأن الشعر كان تعبيراً عن ظما لايرتوى وتشوق الى وطن بعيد لاينال ، وزلفى لفردوس مفقود وتطهراً من خطيئة الذات المغامرة ـ ولكنه ادرك الآن أن ملكوت الله يتجلى فى كل شىء ، وان الحياة البشرية العادية تضم فى خلاياها براءة ذلك الملكوت فهى جزء منه . وقد ظفرت نفسه الآن بوطنها (حلو البشائر) فى داره واطفاله ـ ويختتم بالحمد والشكر .

إن رؤيا محمد المهدى المجذوب ولدت من مشيمة التراث الدينى للشعر فى السودان ، واضافت لهذا التراث ووسعت من مجاله التعبيرى . وهى معين حكمة ونور وجمال .

د. محمد عبد الحى ـ الخرطوم

قصـــــة

نشـــيد آخـــر الليـــل

بقلم : عبـد الله الطوخي

كنت اظن انى الوحيد الخارج من بيته فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، او المبكرة جداً فى الصباح .. تلك الساعة الفاصلة او الواصلة بين الليل والنهار .. هى ساعة النوم العميق . لكنى وقت النوم احب الاستيقاظ .. استمتع بحريتى الكاملة فى مدينتى .. استطيع ان افعل كل شىء إلا ان اخرج او اصيح .. ذلك سوف يزعج راحة النيـــام ،وحريتى لا يصح ان تكون عـــذاباً للآخرين .. الف شكل وشكل للحرية ، فى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، او المبكرة جداً من الصباح : ان اسمع وقع خطواتى على اسفلت الشارع ترن فى ابهاء الليل .. اننى فى النهار نادراً ما اسمع صوت نفسى .. مدينتى بالنهار ماكينة ذات صوت رهيب ياكل ويهضم كل الاصوات .

بؤس كبير ان يحيا الانسان دون ان يسمع صوت نفسه .. ومن لا يسمع صوت نفســه ، هـل يمكنــه ان يسمع صوت الآخرين ؟!

خرجت إذن من بيتى فى تلك الساعة الرائعة الفريدة من الليل كى اتفرد واسمع صوت نفسى . كنت اظن اننى السائر الوحيد لكنى فوجئت بعد قليل ، بصوت خطوات اخرى يختلط بصوت خطواتى . توقفت منزعجاً ونظرت . كان يمشى على نفس الرصيف الذى اسير عليه .. خلفى بمسافة غير قصيرة ، لكن عمق السكون اوصل خطواته الى إذنى ، لم استطع ان اميز فيه غير انه يرتدى بنطلوناً وقميصاً ، ومتوسط العود ... ويسير على مهل بما يوحى انه يتمشى بغير هدف .. او من يدرى سر خروجه فى تلك الساعة ؟!

للحق اقول إن منظره من الوهلة الاولى ضايقنى .. إننى لست منفرداً فى ليل المدينة . وإذن فنشيد تفردى لن يكون .

يحيا الناس احياناً فترة من حياتهم بفعل او بسحر بعض كلمات . وانا فى تلك الفترة من حياتى كان قد سيطر على شعار قراته لكاتب نرويجى عظيم .. هو «هنريك إيسن» الرجل القوى .. هو الرجل الوحيد !

اقول سيطر على هذا الشعار على الفور كبذرة وجدت ارضها فراحت تشق طريقها فى الباطن ثم استكنت وراحت تغلف نفسها بكل عناصر الأرض : الرجل القوى ، هو الانسان الوحيد !

من اجل هذا خرجت من بيتى فى تلك اللحظة البعيدة من الليل .. القريبة من الفجر ، ظاناً اننى وحدى .. اسمع صوت نفسى ، على ايقاع خطى قدمى ..

ها انا لست وحدى .. والمزعج اكثر ان خطواته ، رغم انه كان يمشى على مهل ، كانت تحدث رنيناً رتيباً فى صمت الليل . ولان الشارع كان طويلا وممتداً ولا ينتهى إلا بكورنيش البحر ، فقد فكرت ان ادخل فى شارع جانبى ، او اعود الى وحدتى .. فى بيتى .

وخطر لي خاطر : سوف اتمهل جداً فى السير حتى يتجاوزنى ويبتعد بوقع خطواته تماماً .. كانت خطواته تقترب منى وتقترب ، وما إن احسست به يكاد يمر بجانبى حتى استدرت لآخذ منه نظرة ، وإذا بى امام مفاجاة لم تخطر على البال . لم يكن رجلا .. بل كانت امراة . مقصوصة الشعر على طريقة الرجال ...

يا إلهى .. كل هذا الجمال يتجمع فى امراة واحدة ؟!

وإذ نظرت اليها ، التقت عيناى بعينيها. كان فيهما الفة . واحساس بالغ بالامان ، حتى خيل لي انها تلقي علي التحية بلا كلام . فابتسمت لها .. وابتسمت لي ، لكنها سرعان ما تجاوزتنى وواصلت سيرها وحيدة فى الشارع الطويل الممتد ..

• • •

لم يكن سحر عينيها وحده الذى اخذنى واوقف نهائياً فكرة تغييرى للشارع او عودتى الى البيت .. لقد بدا الموقف باكمله مثيراً للغاية ، ان تخرج امراة بكل هذا الجمال والشباب تتمشى وحدها فى هذه الساعة المتاخرة من الليل ..

حقيقة هى تكاد ان تكون متخفية كانثى بشعرها المقصوص ، وزيها الرجالى : البلوزة القريبة من شكل القميص ، والحذاء ذو الكعب الخفيف الصغير .. ونظراتها المباشرة الجادة او الحادة .. لكنى بسبب هذه النظرة ، او بفضلها ، ادركت على الفور انها انثى . وتذكرت : لقد بدا اعظم عشق فى حياتى ذات صباح بنظرة عين !

تراه عشقاً جديداً ترسله الحياة لي مع بوادر فجر يوم جديد ؟!

لكنى لم اخرج فى هذه الساعة الساكنة من الليل لابحث عن عشق جديد ، وان كان عشقاً فهو ليس لامراة او لحواء .. عشقى الذى انشده اليوم من نوع آخر .. ابحث عنه دون ان ادريه !

او ربما .. هو التحرر من العشق واصبح طائر ليل طليقاً !

غير ان الشعاع الذى انطلق من عينيها وهى تنظر لي ، بدا وكان له صوتاً اقرب ما يكون الى الزغاريد .. او الاغاريد !

وفكرت ان التحرر من العشق حماقة ، وان الجميلة التى تعطى البهجة للروح هى خير عطايا الحياة .. وهذا هو ما اصبو اليه .. ذلك وحده ما يجعلنى اعطى نفسى للعبة العشق العظيمة من جديد .

اندفعت خلفها لالحق بها .. احست بحركتى فتوقفت واستدارت نحوى .. توقفت انا ايضاً وبحثت عن كلمات فلم اجد ابتسمت لها . لم ترد الابتسامة . كانت تنظر فى عينى بثبات لم احس معه بالاحباط . بالعكس . قدرت ان امراة جميلة مثلها لا تعطى الامان ببساطة لرجل غريب مجهول وفى ساعة مثل هذه من الليل .

بلعت ابتسامتى . اننى لا احب ان اتطفل على الآخرين ولو بابتسامة .. كانت

ماتزال تنظر لي .. واحسست بجراتها تتحداني ، فتحديتها ومضيت انظر اليها .. اشتبكت النظرتان .. واشتد بى احساس بانى داخل على معركة لا اعرف اى شكل للنصر او الهزيمة فيها .. إلا اننى سرعان ما لمحت فى ضوء النجوم ثغرها يفتر عن ابتسامة خفيفة .

تعالت الزغاريد فى قلبى والاغاريد .. قلت رداً على ابتسامتها :

ـ يا صباح الخير .

قالت وقد اتسعت ابتسامتها قليلا :

ـ لم يات الصباح بعد .

قلت : إذن مساء الخير .

قالت : والمساء ايضاً مر من وقت طويل . الا تعرف الزمن الذى نحن فيه ؟!

احسست فيها بروح وعطر الفلسفة . ومر بذهنى انها شهرزاد هاربة من ليالى شهريار

آه .. انه ليكون الحدث العظيم . انا ايضاً تركت كل شىء خلفى .. فهل يمكن ان يلتقى اثنان لا يملكان من الحياة شيئا غير الثورة على الماضى ، وغير الحنين لشىء جديد ؟!

قلت لها : نحن فى زمن الميلاد .

قالت : انت تتحدث رمزاً .. والاجمل هو التحديد . إننى اسالك عن الوقت الذى نحن فيه ، فتحدثنى عن الزمان البعيد . لهذا لا تعرف ماذا تقول لي : صباح الخير ام مساء الخير .

قلت : إذن فلتقولى لي انت ..

قالت : لقد قلت الكثير ، حتى اصبحت روحى عازفة عن الكلام ..

قلت : اننى احس بالكلمات تخرج من بين شفتيك كضوء النجوم ..

قالت : كلامك دعوة لي للكلام .. فى ليلة نذرت فيها نفسى للصمت ...

قلت مبهوراً : انه حقاً لنذر عظيم . وإنى لاحترمه . وساكف انا ايضاً عن الكلام ...

قالت : اريد ان اسمع وقع قدميك .

: وقع قدمى انا ؟!

: مع وقع قدمى .. هذا هو الامتحان !

: امتحان ؟ اى امتحان ؟!

: لو توحد ايقاع خطواتنا . لو خرج منه إيقاع واحد .. نواصل السير معاً .. اما إذا لم يتوحد الايقاع .. فساترك لك هذا الشارع .. وليمض كل منا .. كما كان فى طريق ...

• • •

ارتفع قلبى وسقط فى آن واحد .

لم يكن سقوط القلب خوفاً فقط من ان تتركنى وتصبح حلماً جميلا كان ومر ، كان خوفى ايضاً ان ينتهى هذا الموقف السحرى الغريب الشبيه بحكايات الصبا وعمر الخيال البرىء ، حين كانت الجميلة تضع حبيبها فى امتحان صعب لتختبر مدى صدق حبه : بحر شاسع يعبره ، او جبل شاهق يصعده ، او جناح نسر عظيم يمتطيه .

ها هى جميلة آخر الليل تضعنى فى امتحان ليس اقل صعوبة : ان يتوحد ايقاع خطى اثنين غريبين .. رجل وامراة .. فى سكون الليل ، ويصبح ايقاعاً واحداً ، كانهما مخلوق واحد ؟!

وبدا لي فجاة ان السكون العميق المحيط بنا هو الخطر الاكبر . فابسط وادق الاصوات ستسمع فيه .. اقل نشاز سيدوى معلناً الفشل ، ومن ثم الافتراق .

قلت : معذرة يا اميرة الليل . اكان لابد ان تضعنى الامر على صورة امتحان ؟ معذرة فانا اكره الامتحانات !

وضعت عينيها فى عينى وقالت بجدية : الامتحان ليس لك وحدك . الامتحان لي انا ايضاً . ومع هذا ، فانا لا احب ان اسمى ما نفعل امتحاناً . دعنا نسير بتلقائية ،



التلقائية قرينة الصدق . (واشارت بكفها) : هيا نبدأ السير .. ام انك لا تريد ؟!

قلت وانا اكاد اصيح ، متحكماً فى طاقات بدات تنفجر بداخلى : كيف لا اريد ؟! إننى يا جميلة الليل ، بعد هذا الذى حدث اصبحت اؤمن انك قدرى .. واقولها لك : حتى لو جاء وقع قدمى نشازاً مع وقع قدميك فلن اتركك تمضين عنى . لن اسمح لك ان ترمينى بسحرك الرائع هذا ثم تمضين عنى .. فقد ..

قالت مقاطعة وقد اطل من بريق عينيها غضب خطير : إذن فقد انتهى الموقف بيننا. انهيته انت قبل ان يبدأ !

وشدت من قامتها لتواصل سيرها وحيدة فاندفعت واقفاً امامها .. لا لا .. انا لم انه شيئاً . إنما كنت اتحدث بانفعال ..

قالت : هذا هو ما لا اريده .. انا لم اخرج الى الليل لافقد فيه حريتى .. واختيارى ... تحت سحر اى انفعال ..

قلت : دافعاً عن نفسى تهمة خطيرة : إنك ترمينى بابشع اتهام يمكن ان يوجه لي وانا واقف فى العراء تحت النجوم . اننى لست ضد حرية الانسان وحقه فى الاختيار. لكنى كنت اعبر عن احساس صادق . لا احب ان افقدك هكذا سريعاً ، واخاف ان افشل فى الامتحان . فقد تخوننى قدماى .. وانا رجل فى الاصل فلاح ، واتطوح وانا اسير فى الهواء ، وادب فى الارض كيفما كان . بل اننى كثيراً ما اجدنى سائراً فى جميع الاتجاهات فى وقت واحد .. (وازداد انفعالى) اكان لابد ان يكون الامتحان بتوحد ايقاع الخطوات ؟! لم لا يكون بتوحد ايقاع النظرات ؟

قالت : توحد ايقاع الخطى بين الناس ، لا يتم الا اذا توحدت بينهم كل الايقاعات الاخرى .

قلت وقد سطع سحرها اكثر فى نفسى : اقسم إنك لفنانة . لم اتشرف الى الآن بمعرفة حضرتك . هل ابدأ انا بتقديم نفسى ؟ !

رفعت ذراعها : ليس الآن . هذا هو آخر شىء نفعله . ايقاع الخطى سيتكفل بكل شىء . هيا نبدأ السير . نمضى فى اتجاه البحر .

وبدأت السير بالفعل ، فتحركت معها على الفور . كان كل خوفى من الانفعال الذى يسيطر على . أن يفسد ايقاعى . يعطى لخطواتى سرعة اكثر ، او صوتاً أعلى .

نشيد آخر الليل

وضعت كل أحاسيسى فى خطواتى ، متتبعاً ايقاع خطواتها . كانت تسير بهدوء .. وبدا لى أن الأرض تحتها سحاب هى تسير عليه .. هوناً .. بايقاع .. تعزف على بيانو سماوى .. تركزت نظراتى على قدميها .. ترانى استطيع مصاحبة هذا اللحن بقدمى .. فجأة أحسست بوقع خطواتى يضطرب . هل اسرعت ام ابطأت ؟ !

أحسست باضطرابى . قالت : لا انظر الى قدميك وأنت تسير .. فلننس اننا نسير ونحن نسير . أجمل الاشياء ما يحدث بتلقائية .

كانت ماضية فى السير .. شاخصة بنظراتها الى الامام .. فاتنة الملامح بشعرها المقصوص . وانفها الدقيق ، وخديها المكورين الورديين .. أننى رجل من برج الأسد .. شديد الاحساس بالجمال الأنثوى العالى المستوى . كانت ماضية فى سيرها الهوينا .. منتشية بمجرد السير على الأرض . بجوارى .. وفكرت أن أصرخ من السعادة .. وفكرت أيضاً : تراها من برج آخر غير برجى . واوشكت أن اسالها من أى برج هى ؟ ! .. لكنى فوجئت بها تتوقف وقد شع وجهها بسعادة كبرى : هل تسمع ؟

من أحد البيوت كان يتصاعد لحن موسيقى . صحت على الفور فرحاً .

ـ أنه لحن «قداس الحياة» لسباستيان باخ .. عازف الأرغن العظيم .. يا للحظ السعيد . اللحن ما يزال فى أوله .

قالت : فلنبطىء الخطو . نسمع ونحن نسير .

قلت : بل نتوقف لحظات لو سمحت . أحب جداً افتتاحية هذا اللحن . انه عندى فى بيتى .

قالت : وهو أيضاً عندى .. فى بيتى .

بيتها .. وبيتى .. يضمان لحناً واحداً . كدت اقول لها : لماذا اذن لا يصبح البيتان بيتاً واحداً ؟ لكن روعة اللحن أوقفت كل الكلمات . وفكرت مع ابتهاج الروح : العالم هو بيتنا . مثل هذا اللحن لا يسمع داخل جدران .

كانت قد استجابت لطلبى وتوقفت . وقفنا متجاورين نسمع افتتاح اللحن معاً . لكم سمعته من قبل وحدى ، وكم حرك فى نفسى من مشاعر . ولكن أية مشاعر كانت ؟ . مشاعر رجل يعيش وحده .. وباختياره .. فى غار ..على بابه ينسج العنكبوت بيته



باطمئنان .. وهو سعيد .. فرصة للتعبد وللوصول الى معرفة الحياة الحقه ..

أية معرفة وأى تعبد فى ظل حراسة عنكبوت ؟! العبادة فى الهواء الطلق أيها البشر . واضواء المعرفة تتبدى اسرارها من خلال ظلمات الليل . الحياة الحقة ما انا فيه الآن معها .. كانت موجات الارغن تتوالى وتتدفق .. وبدا اللحن مخاطبة للكون باكمله : انتباه أيها البشر شىء رائع جديد يولد . من رحم آخر الليل يخرج . تراها تحس بنفس إحساسي ؟ !

كانت الموجات تتابع مسرعة وتتقافز إثر بعضها البعض ، تندفع النشوة فيهتز كلانا على ايقاع الموجات .. على البعد .. شكراً لك يا سباستيان العظيم . كنت خائفاً من الا يتوحد وقع اقدامنا . الآن وحدت ارغنك روحينا فى ايقاع موسيقى عظيم .

كان رأسها يتمايل ويتماوج من الانغام .. لولا الاقدام على الأرض لسبحنا معاً فى الفضاء . لا بأس .. فجاذبية الأرض مازالت هى قدر الانسان .. ثم حين انتهى الافتتاح العظيم ، ودخل اللحن فى نوع من التتابع الهادىء الرقيق .. وجدت خطواتى مع خطواتها فى نفس اللحظة تواصل المسير .. على ايقاع بقية اللحن المهيب . ثمة نشوة عميقة كانت تملأ روحى ، وتفاءلت بالمصير ها هى الحياة تبعث الينا بصوت حبيب مشترك نضبط عليه إيقاع خطواتنا . ولم أعد انظر الى وقع قدمى وقدميها ، بل تعلق احساسي بموجات الأرغن الجميل .. كما لو انى فى حلم وأطير .. ومضينا نسير ..

كان اللحن يتراجع ويبتعد بالتدريج .. وبالتدريج أيضاً كان ايقاع خطواتنا يعود فيسمع فى السكون . وخشيت أن ادخل مرة أخرى فى الامتحان ..

لكنى وجدتها تكاد تجرى .. اسرعت أجرى معها .. كانت حركتنا تشبه الجرى بالتصوير البطىء .. فجأة تمهلت وقالت وهى تجذب نفساً عميقاً الى صدرها : اقتربنا من البحر . يالها من رائحة عظيمة أحبها .. رائحة اليود .. والماء المالح .. املأ صدرك .. شهيق .. زفير شهيق .. زفير .. واغمضت عينيها ومضت تتنفس .. أغمضت عينى أنا أيضاً ورحت اتنفس بعمق : شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. لا صوت غير صوت الانفاس .. انفاسنا .. نفس واحد يروح ويجىء .. انها ملحى ويودى .. وأنا .. ملحها ويودها .. وضج صدرى بالحنين ، ففتحت عينى لكى أمد لها ذراعى . غير أنى ما أن فتحت عينى ونظرت حتى وجدت المكان والشارع باكمله قد خلا منها . سقط قلبى .. ومضيت أصيح فى جميع الاتجاهات : أنت .. يا أنت .. اين أنت ؟ ! .

لكن لم أسمع غير رجع صوتى ! ! كيف .. كيف حدث هذا فى لحظات وأنا مغمض العينين ؟

وقدرت أنها لابد دخلت شارعاً جانبياً قريباً ، وتلعب معى لعبة الاستخفاء .. امتحان جديد للتوحد .. أى شارع دخلت ؟ الى اليمين أم الى اليسار أدخل ؟ !

واندفعت أجرى .. اتخبط فى البشر الذين بدأوا يخرجون من بيوتهم مع طلوع الفجر .. أهذا هو سر اختفائها ؟ ! ووجدتنى فى شبكة متداخلة من الشوارع والحوارى ولا أثر .. تذكرت كلماتها عن البحر .. اندفعت جرياً اليه .. ليس غير الشاطىء والموج العالى .. ورائحة اليود والماء والمالح .. وأنا وحيد ..

أهى قسوة منها .. أم لحكمة جليلة فعلتها ؟ !

ولاحت لى بوجهها فى الفضاء .. فاتنة مبتسمة : املأ صدرك .. شهيق زفير .. شهيق .. زفير .

أغمضت عينى .. ورحت املأ صدرى .. شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير .. وعلا صوت الأرغن .. متناغماً مع صوت البحر الكبير .

« عبد الله الطوخى »

٣ سبتمبر

ومسيرة ١٢ عامًا على استقلال دولة قطر

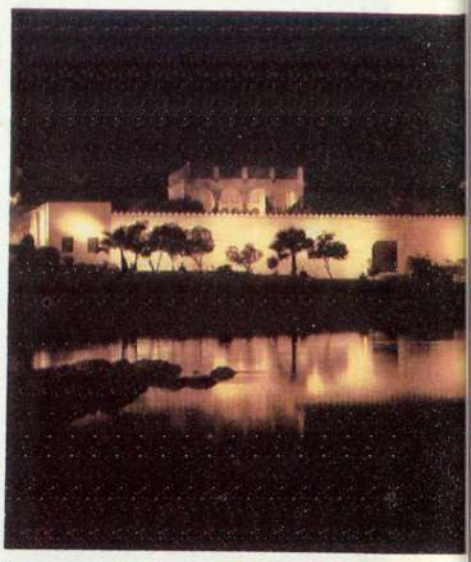
لقد بذلنا في سبيل القيام بواجبنا الوطني كل جهد ممكن لتحقيق أعظم قدر ممكن لبلدنا ورفع مستويات شعبنا في كل الميادين، وتحدثًا بنعمة الله، يحق لنا أن نفاخر بالثمرات الطيّبات التي أثمرها هذا الجهد.

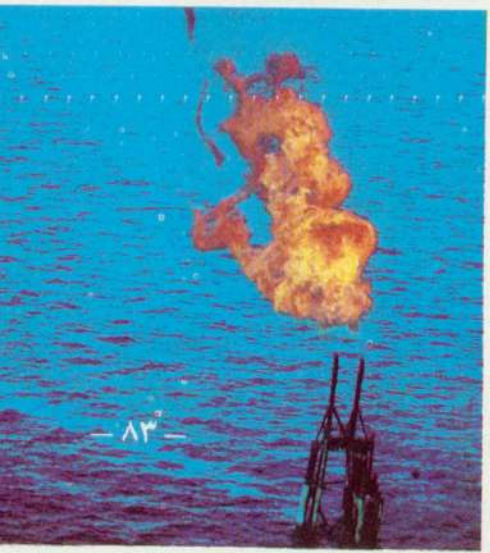
خليفة بن حمد آل ثاني

٦ ديسمبر ١٩٨٢















حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة





حول أهداف التربية في قطر

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

ليس من شك فى ان الهدف الاستراتيجى الاساسى للعملية التربوية الصحيحة برمتها مهما اختلف مكانها وزمانها ، هو النهوض بالمجتمع ككل ، ودفعه إلى الامام لكى يستوى كائناً عضوياً متكاملا وقويا ، وقادراً على حماية ذاته ومواجهة تحديات العصر وتعقيداته التى تجد يوماً بعد يوم .

ولكن كيف يمكن للعملية التربوية ان تنهض بالمجتمع إلى مثل هذا المستوى ؟! فالمجتمع كما هو معروف للباحثين السوسيولوجيين ، ليس كائنا ذا وجود حسي قائم بذاته ، حتى ان الكثير من علماء السوسيولوجيا باتوا ينكرون وجوده كلية ، ويعلنون انه ليس ثمة مجتمع فى الواقع المادى المباشر ، وانما مجموعة من الأفراد أو الاعضاء أو البشر يعيشون فى ظروف مكانية وزمانية معينة ! ولئن صح ذلك ـ وهو لاشك صحيح من زاوية ما ـ فان العملية التربوية حين تهدف إلى النهوض بالمجتمع ككل ، فانما لا يكون امامها من سبيل لتحقيق مثل هذه الغاية العظمى الا من خلال النهوض بافراده لاسيما الناشئة ، عن طريق تهذيبهم وتعليمهم وتثقيفهم . واعدادهم فى النهاية لكى يكونوا أعضاء صالحين فى مجتمعهم ، وكل منهم قادر على ان يقوم بالدور المؤهل له فى الحياة على خير نحو ممكن .

وعلى هذا ، فالتربية فى نهاية الأمر ليس لها من مجال سوى الانسان ، وليس لها من هدف سوى نهضة المجتمع والوصول به الى اقصى درجات الرقى والتحضر ، فتربية الانسان والتحضر عمليتان متلازمتان كما يعلمنا التاريخ وهذه هى الأمم القديمة صانعة الحضارة ، فى مصر القديمة والعراق واليونان ، تشهد حضارتها العتيقة على انه لولا فعالية النهضة التربوية لما كان من الممكن ان تصل كل من الحضارة الفرعونية والسومرية واليونانية إلى الدرجة التى وصلت اليها بالفعل .

ولم نذهب بعيداً ؟ وهذه هى حضارتنا الاسلامية قد سادت العالم فى الأمس القريب ، وحملت لواء العلم والحضارة ردحاً طويلا من الزمن ، فاشعت بنورها على ربوع العالم المعروف آنذاك ، من الصين والمحيط الهادى شرقاً ، إلى أوروبا والمحيط الأطلنطى غرباً ، ولعل الباحث المدقق المنصف لن يجد وراء ذلك من سر ، اللهم الا الاهتمام بالانسان الفرد ، والعناية بتهذيبه وتثقيفه وتوجيهه الى طلب العلم والدأب على المعرفة ، وتنظيم علاقاته بنفسه وبالآخرين وبالكون كله ، وبخالق الكون سبحانه وتعالى .

ولاننا جزء حي من هذه الحضارة الاسلامية الزاهرة ، وامتداد حقيقي اصيل لها ، فلا غرو ان نعمل فى بلدنا على توجيه العملية التربوية على ضوء هذا الارث الخالد ، فنجعل من الانسان القطرى لب اهتمامنا ونخصه بجل عنايتنا ، وليس لنا فى النهاية من هدف ، سوى الوصول بمجتمعنا الى ما نرجوه له من رفعة وسمو يليقان بارثه التليد ومجده الغابر .

وبالطبع ، هناك الكثير من الانجازات الرئيسية التى تم تحقيقها فى مجال التربية والتعليم ، لاسيما منذ شروق فجر الاستقلال فى ١٩٧١/٩/٣ م وحتى اليوم ، ولكن فى مقابل ذلك ، هناك الكثير مما نصبو إلى تحقيقه بعد ، وهذه سنة الله فى خلقه ، أن يبقى دائماً بينهم وبين طموحاتهم مساحة للكد والعمل ، والا فانه لو تطابق الواقع مع الطموح ، لما بقى مبرر للعمل ، ولا عاد هناك مسوغ للمزيد من الانطلاق نحو الأفضل .

ولعل الأرقام وحدها ، هى التى تستطيع أن تكشف باختصار بليغ عما تم انجازه بالفعل ، فلنترك الأرقام تتحدث عن هذه الانجازات التى تمت فى امد وجيز ، وبالتحديد فى اثنى عشر عاماً هى عمر الاستقلال القطرى حديث العهد .

ففى العام الدراسى ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ، كان عدد الطلاب القطريين فى التعليم العام والتخصصى (٢٠٩٧٩) طالباً ، فارتفعوا فى العام الدراسى الماضى ، (٨٢ ـ ١٩٨٣ م) الى (٤٥٦٧٩) طالباً بنسبة زيادة قدرها ١١٧ر٧٪ .

وكان عدد المدارس ٨٩ مدرسة ، فاصبح



احتفالات يوم العلم



الدفعة السابعة من خريجى جامعة قطر .

١٦٨ مدرسة ، بنسبة زيادة مقدارهـــا ٨ر٨٨٪ .

وكان اجمالى عدد المعلمين ١١٦٥ معلما فاصبح اجمالى عددهم ٤٢٥٧ معلما ، بزيادة نسبتها ٥ر٢٦٥٪ ، مع ملاحظة ان المعلمين القطريين منهم كان اجمالى عددهم ٢٩٤ معلما قطريا ، فاصبح اجمالى عددهم ١٣٢٧ معلما قطريا ، اى ان نسبة زيادتهم قدرها ٤ر٣٥١٪ ، مما يشير الى ان نسبة الزيادة فى المعلمين القطريين تطرد بمعدل يفوق كثيرا نسبة الزيادة العامة فى العدد الاجمالى للمعلمين .

وكان عدد المبعوثين من الطلاب الجامعيين ٤٠٢ مبعوثا ، فوصل عددهم الى ١٢٢٣ مبعوثا ، بنسبة زيادة قدرها ٧ر٢٠٦٪ .

اما عن التعليم الجامعى ، فقد اقتصر عدد الخريجين عام ٧٢/٧١ على ١٠٩ خريجا ، فوصل عددهم عام ٨٣/٨٢ الى ١٦٤٠ خريجا ، بزيادة نسبتها ٦ر١٤٠٤٪ ، وقد كان لانشاء جامعة قطر اسهام اساسي فى وصول حجم الزيادة الى هذا المستوى .

وكذلك فقد كان عدد الدارسين فى تعليم الكبار ١٧٨٠ دارسا ، فصار عددهم ٨٣٣٤ دارسا ، بزيادة نسبتها ٢ر٣٦٨٪ ، وقد كان لابد ان تواكب هذه الزيادة المطردة ، زيادة كافية فى حجم الجهاز الادارى ، وقد وصل حجم جهاز الادارة التربوية الى ٩٥٠ موظفا ، بينما لم يكن هناك عام ٧٢/٧١ سوى ٢١٣ موظفا ، اى ان نسبة الزيادة ٣٤٦٪ .

وقد كان من المتوقع ان تتطلب هذه الانجازات انفاقا باهظا ، وبالفعل ، فان الدولة لم تبخل باى شىء فى سبيل توفير كافة الامكانات المادية التى تكفل سير العملية التربوية فى خطها المطرد المنشود ، ويكفى ان نعرف ان ميزانية التربية والتعليم تضاعفت عما كانت عليه عام ٧٢/٧١ بنسبة ٢٤٠٠٪ .

وقد واكب هذه الزيادة فى الكم تطوير نوعي ملموس فى عناصر العملية التربوية من المناهج والكتب المدرسية ، الى الوسائل التعليمية واعداد المعلمين والبيئة المدرسية وغيرها ، ذلك ان الزيادة الكمية وحدها لن تصل بنا الى الغاية المنشودة من العملية التربوية ، وهى بناء الانسان القطرى ، ما لم يؤخذ فى الاعتبار مثل هذا التطوير النوعى ، حتى يكتمل للعملية التربوية قطباها : الافقي والراسي .

ولئن كان هذا هو اهم ما تم إنجازه ، فانه لا يزال امامنا الكثير عن المشروعات والاهداف القريبة والبعيدة ، سواء فى حقل التعليم العام او فى حقل التعليم العالى ، ففى الحقل الأول مازلنا نصبو إلى مزيد من الافادة بكل ما يجد فى الافق حول تكنولوجيا التعليم . ومازلنا ندرس سبل توحيد المناهج بيننا وبين جيراننا من الاقطار الخليجية الشقيقة ، التى تحكمنا وإياها ظروف واحدة ، وحاجات واحدة ، وبيئة واحدة ، وينتظرنا معا مصير واحد ، كما اننا مازلنا نطمع فى التغلب على بعض الصعوبات التى تواجه التعليم الفنى فى البلاد ، واهمها العزوف النسبى من قبل الطلاب عن مثل هذا النوع من التخصص .

اما فى الحقل الثانى اى حقل التعليم الجامعى ، فاننا عاكفون على دراسة اقوم الطرق لتطوير الجامعة بحيث تتلاءم مع الحاجة الفعلية للواقع وعلى ضوء ذلك فسوف يتم انشاء بعض الأقسام الجديدة فى الكليات الخمس القائمة الآن : كلية التربية للمعلمين والمعلمات ـ كلية الشريعة ـ كلية العلوم الانسانية ـ كلية العلوم ـ كلية الهندسة ، كما سوف يتم باذن الله إنشاء كلية جديدة سادسة هى كلية الادارة والاقتصاد ، وما ذلك إلا مجرد امثلة من مشروعات المستقبل فى المجال التربوى عامة . وباذن الله تعالى ومشيئته فانه لن يمر عام جديد إلا وهناك جانب من هذه الخطط والمشروعات قد تحقق وخرج إلى حيز الوجود .

نامل ان يسدد الله خطانا ، ويمكننا من تحقيق ما نصبو اليه من رفعة وسمو لهذا الوطن الكريم ، فى ظل قيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، امير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة ولي عهده الأمين .. والله من وراء القصد .

محمد بن حمد آل ثاني





التعاون الخليجي هدف تسعى إليه قطر

بقلم: الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

قال الله تبارك وتعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » صدق الله العظيم .

من هذا المنطلق الربانى وبهذه الاصالة التاريخية سعت قطر جادة جاهدة فى سبيل التعاون العربى الخليجى كوسيلة مقربة لتعاون عربى اكثف واوسع باعتبار ذلك هدف من اهدافها النبيلة التى تسعى بكل ما اوتيت من قوة ومن طاقة لتحقيقه .

ولقد كان دورها رائداً فى هذا السبيل فبذلت جهداً جباراً ومساهمة قوية رائدة فى سبيل ابراز اتحاد الامارات الذى كان مطروحاً فى ذلك الوقت ليضم بالاضافة الى قطر والبحرين امارات الساحل التى تتكون منها الآن دولة الامارات العربية المتحدة ولم تدخر جهداً فى ذلا المسعى، ولم تبخل بتضحية بل ان دستورها المؤقت الصادر فى تلك الفترة نص على ان : « قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة عضو فى اتحاد الامارات العربية .. »

وعندما لم يكتب لذلك الامل ان يتحقق لم تفقد الأمل فى الوصول الى وسيلة تحقق بها هدفها السامى فاخذت تساهم مع شقيقاتها العربيات فى هذا الخليج الطيب فى طرح وبلورة هذه الفكرة، يغذى ذلك الطرح اصرار قوى على الوصول لنتيجة يفرح لها جميع ابناء هذا الخليج وتكون نواة خير فى سبيل اتحاد الأمة العربية من مشرقها الى مغربها .

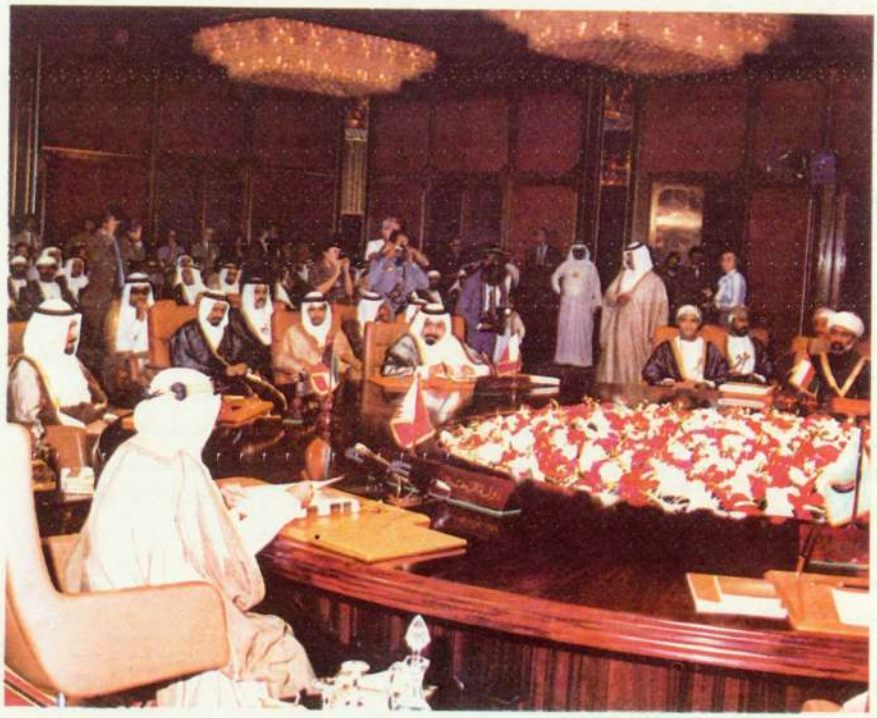
وحالما تبلورت ونضجت اطروحة انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية كانت دولة قطر مشاركاً فعالا بكل الجهد والجد لابراز المجلس للوجود، وبذلت لذلك وفى سبيله كل ما تملك من طاقة وامكانيات فكانت وفودها وعلى ارفع المستويات دائمة التنقل والترحال لعقد الاجتماعات المتوالية فى عواصم دول الخليج العربية تمهيداً لهذا الحدث الجليل .

ولقد كان يوم توقيع اتفاقية انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى ابو ظبى المصادف للحادى والعشرين من شهر رجب لسنة الف واربعمائة وواحد (٢١ / ٧ / ١٤٠١) الموافق للخامس والعشرين من شهر ايار ـ مايو ـ سنة الف وتسعمائة وواحد وثمانين (٢٥ / ٥ / ١٩٨١) من قبل اصحاب الجلالة والسمو ملوك وامراء دول المنطقة والذى قام فيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر بالتوقيع عليه باسم دولة قطر كان ذلك اليوم من الأيام المجيدة المشهودة ، فرح له الشعب العربى فى منطقة الخليج العربى وكانت فرحة دولة قطر بهذا الانجاز فرحة كبيرة لها ما يبررها حيث تحقق بذلك حلمها الكبير الذى سعت اليه وبذلت فى سبيله الغالى والنفيس .

وكان ما ورد فى ديباجة تلك الاتفاقية المباركة يمثل تمثيلا حياً طموحات دول المنطقة وآمال شعوبها حيث اوضحت بكل جلاء ان توقيع هذه الاتفاقية كان ادراكاً منها لما يربط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة وانظمة متشابهة اساسها



سمو امير البلاد المفدى اثناء مشاركته لاخوانه اصحاب الجلالة والسمو
قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى اجتماعاتهم التاريخية



العقيدة الاسلامية ، وانه ايماناً بالمصير المشترك ووحدة الهدف التى تجمع بين شعوبها ورغبة فى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بينها فى جميع الميادين واقتناعاً بان التنسيق والتعاون والتكامل فيما بينها انما يخدم الأهداف الساميةللأمة العربية .

واستكمالا لما بدأته من جهد وفى مختلف المجالات الحيوية التى تهم شعوبها وتحقق طموحاتها نحو مستقبل افضل وصولا الى وحدة دولها،كل ذلك تمشياً مع ميثاق جامعة الدول العربية الداعى الى تحقيق تقارب أوثق وروابط أقوى بين اعضاء دول الجامعة.هذا غيض من فيض وقليل من كثير سعت اليه قطر وتحقق بعضه بحمد الله ومنه ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يحقق وحدتنا الكبرى لنضع امتنا العربية المجيدة فى موقعها اللائق بها تحت الشمس وبين الأمم والله المستعان ونعم الوكيل .

أحمد بن سيف آل ثاني





العمل الاجتماعي وانطلاق الطاقات البشرية

بقلم : علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

كثيراً ما يتحدث الناس وفى اكثر المناسبات عن الشئون الاجتماعية . وكثيراً ما يطالب الناس للحصول على الرعاية الاجتماعية ، وكثيراً ما يلجا البعض للاستفادة من المساعدات الاجتماعية بشتى معطياتها ، وهذه ظاهرة بديهية لا اعتراض عليها لانها خلقت مع الانسان ، ولا يمكن أن تستقر الحياة بدون عمل اجتماعى .

فالعمل الاجتماعى الحكيم المتقن هو السبيل الوحيد لخلق مجتمع متعاون متكاتف صحي يسوده الاستقرار والاطمئنان بل ومن أهم مميزات الدولة الواعية المتجهة نحو التنمية الشاملة الجاده والتطور الاجتماعى السليم هو ايجاد نظام اجتماعى متكامل يكفل للمجتمع الرعاية الواجبة بسواسية متزنة بقدر المستطاع .

وللعمل الاجتماعى مجالات واسعة ومتعددة ، وللعمل الاجتماعى مفهوم واضح معروف ، وقد تكون الأطالة مملة لو أردنا شرح جميع جوانب هذا العمل ومنافعه الجمة ابتداء من نشاته حين خلق الله ادم عليه السلام وأمنا حواء . وقد يكون لذلك مناسبة أخرى انشاء الله .

وكثيراً ما ترد هذه الجملة مقترنة بعبارة النمو الاقتصادى لانهما صنوان لا يكتمل أحدهما الا بوجود الآخر .

لذلك فان العمل الاجتماعى يعتمد قبل كل شيء كما هو معلوم على قاعدتين اساسيتين . اولهما القاعدة الاقتصادية وهى الأهم ، وثانيهما قاعدة العدالة الاجتماعية التى بدونها لن يستوفى العمل الاجتماعى الشروط المطلوبة لطبيعته .

فمتى ما توافرت فى الدولة الموارد الاقتصادية الكافية ، ومتى ما وجد العزم الأكيد والنية الصادقة . اذا تم كل ذلك فقد آن الاوان لانشاء أجهزة فعالة ووضع تخطيط علمى سليم مستوفى الدراسة للعمل الاجتماعى والعمل على تنفيذه .

وهكذا فان دولة قطر منذ بداية عهدها التشريعى وانطلاقاً من واقعها الاقتصادى وما يتحقق فى البلاد من تطورات بارزة فى كافة الميادين العملية ، عكفت على وضع استراتيجية محددة للعمل الاجتماعى الذى اضحى فى مفهوم الاقتصاد الحديث من أهم أركان التنمية فى أى مجتمع .

ولذلك كان اهتمام الوزارة منذ البداية ، العمل على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والمادية الى اقصى قدر ممكن ، واتجهنا نحو التخطيط العلمى المدروس لنتخذ منه أسلوباً للعمل تتحدد من خلاله المبادىء والأهداف والبرامج والمتابعة والتقييم . كما أعطينا اهتماماً كبيراً لقضايا العمل والشؤون الاجتماعية والتعاون والجمعيات الخيرية وغير ذلك من الانجازات المثمرة النافعة التى تعود على وطننا الحبيب بالتقدم والازدهار والاستقرار ، فى ظل قائد البلاد وأميرها المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

إننا ندرك تمام الادراك أهمية الربط بين النمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية ، ولهذا كان هدفنا الأول هو حماية العامل والسهر على أمنه وسلامته وتأمين مسكنه وغذائه وملبسه ، لأننا عندما نرفع مستوى نوعية الجهد البشرى نكون قد اسهمنا فى توفير الأرض الصلبة التى تخلق مناخاً اجتماعياً يخدم أهداف التنمية بوجه عام والتنمية الصناعية بصفة خاصة .

وقد رأينا خلال السنوات الماضية ، كيف كان الاصلاح الاجتماعى فى طليعة الأهداف التى تبنتها دولة قطر ، خاصة وأن القيادة السياسية فى البلاد تؤمن بأن هذا الاصلاح هو المنطلق الأساسى للتطور الحضارى ، ولذلك تبنى النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد فى صلب مفاهيمه ومبادئه الاساسية القدر المناسب من الاهتمام بأهداف خدمات التنمية

الاجتماعية وتوفير أفضل الرعاية للمواطنين ، واعتبر الاصلاح الاجتماعى ـ بنواته الفرد ـ يشكل طليعة الأهداف المنشودة للتنمية البشرية باعتباره المنطلق الأساسى للتطور الحضارى والعدالة الاجتماعية .

ومن هذا المنطلق الذى رسمته السياسة العامة للدولة ، كان على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن تبذل أقصى الجهود لتوفير شتى الخدمات للمجتمع القطرى ، بداية من تطوير اداراتها المختلفة وانشاء إدارات جديدة لتوجيه وتطبيق السياسة الاجتماعية الملازمة للتنمية الاقتصادية ، الى وضع تخطيط اجتماعى متكامل وشامل يضمن سلامة التنفيذ وتحقيق الأهداف فى أقصر وقت ممكن وباقل التكاليف .

وقد حظيت الوزارة بلفتة كريمة من لدن حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى بتحقيق التنظيم المنشود فى العمل الادارى ، وذلك بصدور القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ الخاص بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتحديد أهدافها وصلاحياتها وتنظيمها الداخلى ، فقد أعطى هذا القانون دفعة قوية للنهوض بمسئوليات العمل الاجتماعى من أجل تحقيق أهدافه النبيلة ، وقد اشتمل هذا القانون على انشاء ادارة جديدة للتخطيط والشؤون الفنية تنسق مع الأجهزة المختلفة فى الدولة لوضع السياسة العامة بشأن العمالة والاسكان والضمان الاجتماعى والتعاون ، وتضع البرامج اللازمة لتنفيذ مشروعات الوزارة ومتابعة تنفيذها ، وتتعاون مع الجهات القانونية المختصة فى اعداد التشريعات اللازمة لسير العمل بالوزارة ، واعداد وثائق البحوث والاحصائيات ، وتدرس وتحلل المعلومات والبيانات والتقارير المتعلقة بنشاط الوزارة مع اصدار التوصيات بشأنها ، وذلك بالاضافة إلى دراسة كل ما يصدر عن المنظمات الدولية والعربية من توصيات واتفاقيات .

وتنفيذا لسياسة الدولة لتطوير المستوى الصحى والاقتصادى والاجتماعى استمرت الوزارة ـ بالاشتراك مع وزارة الأشغال العامة ـ فى تنفيذ انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية ، حيث تم خلال العام الماضى تسليم ٦٥٠ مسكنا منها ٤٧٥ مسكنا شعبيا و ١٧٥ مسكنا مجانيا ، وتم خلال هذا العام تسليم ٦٠١ مسكنا فى منطقة الخليج الغربى (الدفنة) ، وهناك الآن قيد الانشاء ٩٧٣ مسكنا شعبيا ، ويعطى نظام المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود من المواطنين تسهيلات ومزايا فريدة من نوعها ، فهو يمنح المنتفع الذى ينطبق القانون على حالته الاجتماعية قطعة أرض تتراوح مساحتها ما بين ٦٤٠٠ و ١٠ آلاف قدم مربع دون مقابل ، ويسدد ٦٠ فى المائة من تكاليف بناء المسكن بدون فوائد على مدة تتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ سنة .. وهذا بالاضافة إلى منحة للتاثيث مقدارها ٢٠ الف ريال قطرى ، وتتولى وزارة الأشغال العامة والأجهزة المختصة فى الدولة اعداد الخرائط والمواصفات اللازمة والاشراف على تنفيذ البناء وتوصيل الماء والكهرباء والمجارى بالشبكات الرئيسية دون مقابل .

أما بالنسبة للحركة التعاونية ، فالدولة لا تبخل باى جهد من أجل تقديم الدعم للجمعيات التعاونية بمختلف أشكالها وصورها ، إيمانا بالدور الهام الذى تقوم به التعاونيات فى خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقد بلغت الجمعيات التعاونية التى تم انشاؤها وباشرت عملها سبع جمعيات تعاونية استهلاكية ، شملت مناطق متعددة فى البلاد كالدوحة والشحانية والجميلة والغويرية والخور ، وهذا بخلاف الجمعيات الجارى تجهيزها فى عدة مناطق أخرى والجمعيات المقترح انشاؤها .

وفى مجال الشؤون الاجتماعية حققت الوزارة المزيد من الانجازات وأصبح لها مكاتب فرعية فى مدينتى الخور والشمال حتى تصل الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى مناطق اقامتهم وتدخل كل المدن والقرى خلال سنوات قليلة وحتى تقوم هذه المكاتب بدراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية وتشجيع المساهمة والمشاركة الشعبية والعمل على ايجاد مراكز وجمعيات محلية للتنمية الاجتماعية فضلا عن الاستفادة من أبناء المنطقة المقيمين فيها وخلق الحوافز أمامهم ليكون لهم دور فعال فى تلك المناطق .

وقد تم تنظيم قسم الضمان الاجتماعى وتدعيم جهازه الوظيفى المعنى بالرعاية الاجتماعية ، وذلك لتحسين مستوى الأداء لهذه الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة للفئات ذات الأوضاع الخاصة كالأرامل والمطلقات والأيتام والمعوقين والعاجزين عن العمل بسبب المرض أو الاصابة أو الشيخوخة ، وقد بلغت المساعدات الاجتماعية فى العام الماضى ٨٠ر٣٢٣ر٦١٠ ريالا قطرى ، واستفادت منها ٦٨٦٠ حالة اجتماعية .

وبالنسبة لمشاركة الفتاة القطرية فى بناء المجتمع تم انشاء مركز رئيسى للتاهيل الاجتماعى بمدينة الدوحة ومركزين فى الخور والشمال ، ومهمة هذا المراكز هو تعليم الفتاة المهن والحرف اليدوية التى تتوافق مع قدراتها وتساعدها على الاعتماد على نفسها لكسب الرزق والمساهمة فى تنمية البلاد .

وقد أنشئت ـ كذلك ـ الجمعية القطرية لرعاية المعوقين وقامت بمجهود كبير فى هذا المجال خلال العام الماضى وهو العام الدولى للمعوقين .

وبالاضافة إلى كل ذلك وغيره من الانجازات سعت الوزارة إلى تحمل مسئولية مباشرة فى مجالات العمل والاستخدام ، فعملت على تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين وتمكنهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تحقق لهم العدالة الاجتماعية وترفع مستواهم ، كما عملت على مكافحة البطالة وفتح مجالات عمل جديدة أمام المواطنين ، وتوطيد العلاقة بين طرفى الانتاج ـ العمال وأصحاب الأعمال ـ وحل المشاكل التى تنشأ بينهما بالطرق الودية أو وفقا لقانون العمل ، ومراقبة توفير تدابير اجراءات السلامة حفاظا على صحة العمال وحمايتهم من أخطار المهنة أو أمراضها أو اصابات العمل ، وتنظيم استخدام العمالة العربية والأجنبية .

وفى مجال توثيق أواصر الأخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية ، تم توقيع اتفاقيات بشأن استخدام العمال مع جمهورية مصر العربية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية التونسية وجمهورية السودان وجمهورية الصومال ، وذلك من أجل توفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشروعات الانمائية فى الدولة .

وهكذا نرى أن العمل الاجتماعى فى دولة قطر لم يعد محصورا فى اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، ولكنه أصبح عملا يرتكز على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية إلى أقصى قدر ممكن ، فى ظل رؤية واضحة للأهداف التى تحقق المستقبل المنشود .

علي بن أحمد الأنصارى



الإعلام القطري ومنطق العصر

بقلم: عبدالله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

يزعم كثيرون ـ ونحن معهم فى هذا الزعم ـ ان عصرنا الحاضر هو ازهى عصور البشرية إلى الاطلاق ، اذ يكاد بما تم فيه من تقدم ان يكون عدة عصور كثفت تكثيفاً شديداً فى عصر واحد .

وقد يشتد الخلاف حول اى انجازات العصر انفع واجدى وفق الزاوية التى ينظر بها المختلفون لموضوع الخلاف ، لكن الذى لا نزاع فى نفعه او جدواه مهما تنوعت زوايا الرؤية هو ما ابدعته عبقرية العصر من ثورة فى وسائل الاتصال الغت حدود الزمان والمكان بما اتاحت من تدفق هائل للمعلومات وزعزعت من الجذور مسلمات تعمقت فى ضمير الانسان إلى اقصى الحدود .

ومنطق عصرنا هو منطق العلم الذى جعل التطور اساساً وحيداً تتفسر على ضوئه الأشياء .

ولقد اتيح للاعلام القطرى خلال السنوات الماضية منذ الاستقلال وحتى الآن ما لم يتح لغيره من امكانات اذ وفرت له الدولة كافة اسباب التطور والنمو .

ولو نظرنا الى قدرات الاعلام القطرى التكنولوجية لكانت النظرة قاصرة وغير موضوعية لأنها ستكون فى هذه الحالة من جانب واحد فقط . لكن الانصاف فى النظر يقتضينا النفـــاذ الى ماوراء القشرة من جوهر أو لباب ، وعندئذ سيتضح لنا ان للاعلام القطرى خط يسير عليه هو المزج بين الأصالة والمعاصرة . فشعب تضرب جذوره فى عمق الزمان الوف السنين



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

كشعب قطر لابد لمن يعالج قضاياه من نظرة الى الماضى للتاليف بينه وبين الحاضر والمستقبل ، وارض كارض قطر يحيط بها البحر من جوانب ثلاث لابد لمن يتكلم عنها ان يضع البحر فى اعتباره بما يعكسه على سلوك المطلين عليه وبذلك يجمع الزمان والمكان فى ان واحد .

والواقع أن الاعلام القطرى يتعرض دائماً ـ من خلال الكلمة والصورة لاعقد القضايا العالمية ، فيقدمها لقارئه ومستمعه ومشاهده بلغة بسيطة جذابة تدخل القلب والعقل معاً .

وهو ـ فى نفس الوقت لا يترك قضية تهم المجتمع ومجموع المواطنين إلا ويبادر إلى معالجتها دون هيبة ، بما اتيح له من مناخ الحرية .

وهذا بالاضافة إلى اهتداء اعلامنا بتعاليم شريعتنا السمحاء ، والاهتمـــام بالثقافة الدينية لتكون نبراسا لشبابنا ، يسير على هداه ، ويواجه به كل انواء الشك التى سادت العالم الغربى بعد ظهور القوانين الطبيعية او المادية وظهور مذهب النشوء والارتقاء وعلم المقارنة بين الأديان وما تفاقم فى القرن العشرين من مذاهب اجتماعية واقتصادية زلزلت الموازين والقيم .

والمعروف أن فكرة القومية هى من الأفكار التى تميز عصرنا ، وهى فكرة قديمة اذ تمتد جذورها الى قيام التجمعات البشرية الأولى ، ولكنها فى هذا العصر تكتسب ابعاداً جديدة يوليها الاعلام القطرى عظيم الاهتمام عن وعى وادراك لمقومات قوميتنا العربية من وحدة اللغة

والعنصر ووحدة التاريخ والعادات والتوجه السياسى .

وقضية العلم وما طرأ عليه من طفرة منذ أواسط القرن العشرين يعالجها اعلامنا دون تضحية بالروح من أجل المادة فمن المعلوم انه حـــدث ابان الثورة الصناعية فى اوروبا فى القرن الماضى ان ارادت تلك الثورة ان تقتلع الانسان من جذوره الروحية لتجعله آله من آلات المصانع ومن حسنات ديننا الحنيف انه لا يضحى بالروح من أجل الجسد أو العكس فالانسان وفقاً له مخلوق للدنيا والآخرة معاً .

ويهتم اعلامنا بكافة قضايا الأدب والفكر وخاصة ما يهتم منها بالحياة اليومية وقضايا الانسان ومدارس النقد الأدبيـــة وما تقدمه من تحليل وتقييم .

أما السياسة وخضمها الواسع فان الاعلام القطرى يعالج جوانبها الوطنيـــة والقومية والدولية وفق النهج المستنير الذى وضع اسسه بانى نهضة قطر الحديثة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى والذى كفل لدولتنا الفتية احترام الجميع .

أمور يعسر حصرها يتعرض لها اعلامنا القطرى وفق منطق عصرى ، ولذلك حظى بالاهتمام والتقدير من الجميع .

واذا كانت بعض الدول لا تهتم الا بالقطاع الرسمى من الاعلام والذى تديره الدولة وتضرب صفحاً عن القطاع الأهلي منه بل قد تلاحقه بالقيود التي تحـــد من نشاطه فان الوضع على غير ذلك فى دولة قطر فالصحافة الأهلية لا تنى الدولة عن مساندتها بكافة الأساليب لعل ابرزها وافعلها اثراء هو انها لا تخضع لأية رقابة من أى نوع .

ولأن الحدود قد زالت او كادت بين الثقافة والاعلام بحيث لم تعد أية قضية ثقافية لتستعصى على المعالجة الاعلامية لذا فان الكتاب يحظى باهتمام أجهزة الاعلام فى الدولة كوسيلة اعلامية وثقافية معـــاً .

والمصنفات الفنية مسموعة ومرئية تلك الظاهرة التى تصاحب طفرات العصر هى كوسيلة اعلامية وثقافية وترفيهية أمر جدير بالتشجيع ولأنها أصبحت تدخل الآن كل بيت وتتواجد فى كل مكان فهى تراقب وفق معايير تكفل التوازن بين ما فيها من قيم ثقافية وغيرها وبين النظام العام والآداب والقيم الأساسية للمجتمع .

ولسنا بدعاً فى ذلك فقد كانت بعض الدول تحسب أن فى الرقابة على المصنفات الفنية افتئاتاً على الحريات وانتقاصاً منها ولكن نفس هذه الدول رأت أن تسن قوانين للرقابة لحماية هذه الحريات والابقاء عليها لأن المجتمع المنحل الفاسد تنبت به الجريمة فى مكان الحرية ، وتشيع الرذيلة من منابت الفضائل .

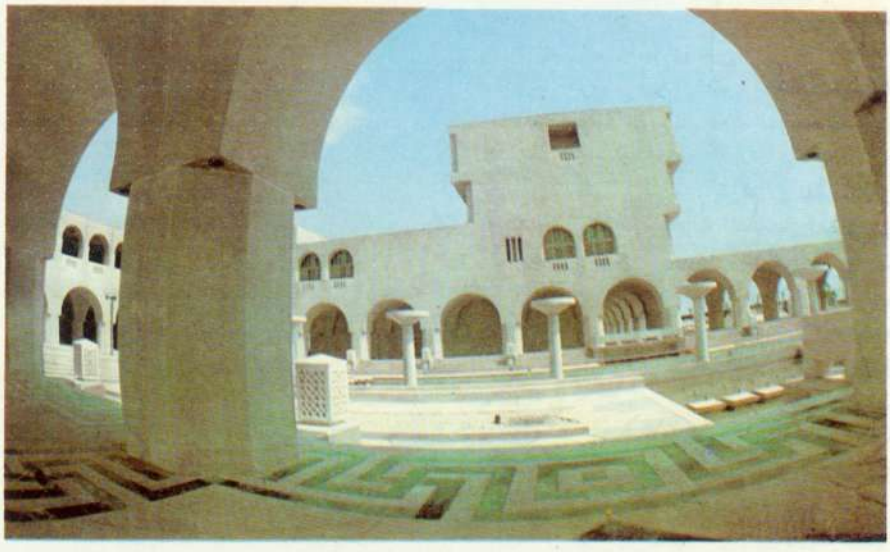
طريق بلا نهاية يقطعه الاعلام القطرى وفى كل مرحلة وعند كل خطوة يطور أسلوب السير ذلك ان التطور كما قلنا هو منطق العصر .

عبد الله محمد صادق

بعض المطبوعات التى اصدرتها وزارة الاعلام



المبنى الجديد لوزارة الاعلام





الوجه الثقافي والفني في قطر

بقلم : موسى زينل
مدير إدارة الثقافة والفنون

تعتبر ادارة الثقافة والفنون احدى منجزات وزارة الاعلام القطرية حيث صدر قرار وزير الاعلام بتكوين هذه الادارة والاقسام التابعة لها خدمة للمواطن القطرى .

وقد انيط بهذه الادارة المسئوليات التالية :

- اظهار الوجه الثقافى والفنى للبلاد .
- توسيع رقعة الاهتمام بالممارسات الثقافية والفنية بين أوساط المواطنين .
- نشر الوعى الثقافى والفنى داخل البلاد وخارجها .
- التعريف بمظاهر الحياة الثقافية والفنية القديمة منها والحديثة والمصاحبة للتطوير والنهضة التى تعم البلاد عبر مسيرة الاستقلال فى ظل راعى وقائد نهضة البلاد أميرنا المفدى الشيخ / خليفة بن حمد آل ثاني حفظه الله .

اما بشأن انجازات هذه الادارة منذ انشائها عام ١٩٧٦ م وحتى الآن فهى تتلخص فى :

أولا : المراقبة العامة للنشاط الثقافي : وهى تهتم بتنشيط العمل الثقافي في البلاد

ومن أهم انجازات المراقبة العامة للنشاط الثقافى استضافة أسابيع ثقافية عربية مثل الأسبوع الثقافى العراقى ـ الأسبوع الثقافى التونسى ـ الأسبوع الثقافى الأردنى ـ الأسبوع الثقافى السودانى ـ الأسبوع الثقافى الفلسطينى ـ الأسبوع الثقافى اليمنى ـ الأسبوع الثقافى المغربى ـ وكذلك الاشراف على وفد وزارة الاعلام القطرية فى الأسبوع الثقافى الخليجى فى باريس .

وقد احتوت كل هذه الأسابيع الثقافية على العديد من الفعاليات الثقافية والفنية مثل تقديم عروض مسرحية وفنون شعبية ـ اقامة معارض الصناعات الشعبية والفنون التشكيلية والكتب الثقافية ـ اقامة ندوات ومحاضرات وامسيات شعرية

كما تقوم المراقبة العامة للنشاط الثقافى باستضافة العديد من المحاضرين والمفكرين العرب منهم والاجانب لالقاء محاضرات ثقافية عامة وذلك ضمن الموسم الثقافي للادارة .

وتهتم المراقبة بتنشيط الحركة الثقافية بتدعيم نشاطات المواهب الشابة فى الشعر والأدب وعمل مسابقات فنية وثقافية مثل مسابقة (أحسن مقال عن مدينة الخور ـ ومسابقة الصور الفوتوغرافية ـ ومسابقة الكتابة لقصص الاطفال) .

ثانيا : قسم الفنون والصناعات الشعبية : ويهتم برعاية الفنون الشعبية القطرية وحفظها من الاندثار

وقد شارك القسم في مهرجانات الفنون الشعبية التالية :

- مهرجان الفنون الشعبية الذي اقيم في بغداد ١٩٧٩ م.
- مهرجان الترويح السياحي بالكويت ١٩٨٠ م.
- مهرجان الشباب العربي بدمشق ١٩٨١
- مهرجان دول جنوب شرق آسيا للفنون الشعبية والذي اقيم بالهند ١٩٨٢ م .

ثالثا قسم المسرح :

وهو يقوم برعاية الفرق المسرحية المحلية وتقديم الدعم المادي والفني حتى تتمكن الفرق المسرحية من تقديم الاعمال ذات المستوى الجيد .

وقد افتتح مسرح قطر الوطني في ٢٢ فبراير ١٩٨٢ بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تولي سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم في البلاد .

ومنذ افتتاح ذلك الصرح الفنى قدمت عليه بعض العروض المسرحية والموسيقية مثل :

- عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وأمسية موسيقية لمعهد الموسيقى ومسرحية الربيع السابع لفرقة الرحبانية وذلك بمناسبة افتتاح المسرح .
- الاحتفال بيوم المسرح العالمى لسنة ١٩٨٢ م والذى قدمت فيه الفرق المسرحية الثلاث مسرحيات ذات فصل واحد لكل فرقة
- استضافة فرقة كامبرج المسرحية (مسرحية ترويض النمرة) والفرقة التركية للفنون الشعبية ، وأمسية موسيقية لعازف الة العود (للوت) الفرنسي ومعرضا لهذه الالة اقيم فى قاعة المسرح .

ولقد عزفت فرقة ناش اللندنية الموسيقية مقطوعات من الموسيقى الكلاسيكية القديمة .

- استضافة فرقة (كركلا) للفنون الشعبية اللبنانية وفرقة الفنانين المتحدين المصرية (مسرحية ريا وسكينة) حيث لاقت الفرقتان اقبالا كبيراً من الجمهور .

وجاء يوم المسرح العالمى لسنة ١٩٨٣ م لكى تقدم من خلاله فرقنا المسرحية الأهلية الثلاث عروضها عليه بهذه المناسبة وقد استضافت الادارة أسبوعا ثقافيا مغربيا قدمت جميع عروضه الفنية على خشبة المسرح .

وقد قدمت فرقة (الماندراجور) الفرنسية



المعارض



الفنون الشعبية

مؤخراً عرضاً بالتمثيل الصامت وعرضاً اخر لمسرحية باللغة الفرنسية عن حياة الشاعر (جورج بوشنر) . حيث تمت ترجمة هذه المسرحية إلى اللغتين العربية والانجليزية من خلال أجهزة الترجمة الفورية بالمسرح .

رابعاً : قسم الفنـــون التشـكيلية والمعارض : وقد حقق عدة منجزات من بينها :

● انشاء مبنى خاص لرعاية الفنانين القطريين ـ وهو المرسم الحر ـ الذى يستقبل الفنانين المحترفين والهواة لممارسة هواياتهم ـ وتزويد هذا المرسم باحد خبراء الفن التشكيلى والمدرسين والمدرسـات المتخصصين فى مجال الفن التشكيلى .

● اقامة المعارض الفنيـــة المختلفة للفنانين القطريين / مثل المعرض السنوى للفنانين التشكيليين القادرين على اقامة معارض خاصة بهم .

● الاشراف على المعارض الفنية المرافقة للاسابيع الثقافية العربية التى اقيمت بالبلاد .

● اقامة معارض فنون تشكيلية قطرية فى الدول الاوروبية للتعريف بالفن القطرى فى الخـارج مثـل / معرض الدول العربية بالمانيا الغربية / معرض لندن ومعرض باريس ١٩٧٨ م ـ معرض فرانكفورت ١٩٨١ م معرض الفنان / يوسف أحمد بولاية واشنطن ديسي بامريكا ١٩٨٢ م .

● استضافة معرض الخليج الأول للفنون التشكيلية الذى اقيم فى شهر فبراير ١٩٨٠ م ، اثناء انعقاد الاجتماع الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربية .

● المشاركة فى المعارض الخليجية مثل معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب والمقام كل سنتين منذ عام ١٩٧١ م .

● اقامة معارض شخصية من خارج قطر وذلك لاثراء الحركة التشكيلية فى البلاد مثل معرض الفنان الامريكى المسلم محمـد زكريا يناير ١٩٨٣ م ، ومعرض الفنانة رمزية باج ابريل ١٩٨٣ م .

● اقامة الدورات والندوات التخصصية فى الفن التشكيلى وعمل حوار هادف بين الفنانين القطريين ، وقد تم اقامة دورة فى الخط العربى للفنان الامريكى المسلم محمد زكريا ١٩٨٣ م .

● التشجيع على اقامة مسابقات فى التصميمات ذات المواضيع التخصصية .

● اقامة معرض سنوى لرسوم الاطفال وذلك للكشف عن المواهب الحقيقية من قبل هذه الرسوم .

● قد تم انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية وتعتبر هى أول جمعية تضم الفنانين المحترفين والهواة

خامساً : قسم الدراسات والبحـــوث : ويعتبر هذا القسم من أحدث الأقسام بالادارة ومن أهم انجازاته :

● اجراء البحوث الميدانية لجمع وتدوين وتحقيق التراث الشعبى .

● توثيق المعلومـــات والبحـــوث والتحقيقات الميدانية عن الحياة فى دولة قطـــر .

● تنظيم مسابقات لتاليف قصص الأطفال على امتداد دول الخليج العربيـة وكانت المسابقة الأولى سنة ١٩٧٧ م ووقع الاختيار على أربع قصص وهى (ثعلوب ، الاتفـاق ، الغيمـة السوداء ، اجمـل من قوس قزح) وكانت الثانية سنة ١٩٧٩ م بمناسبة العام الدولى للطفل

● مسابقة القصة القصيرة بالتعـاون مع مراقبة النشاط الثقافى .

ومن ضمن مؤلفات الأطفال طباعـــة قصتى ـ اسنان راشد وصياد اللؤلؤ ـ وكتاب لاناشيد الأطفال بعنوان انشودتي .

ومن نشاطات القسم في مجال الشعر :

● طباعة ديوان الشاعر القطرى حمد ابن فرحان النعيمي .

● طباعة ديوان الشاعر البحـــرينى عبد الرحمن رفيع .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى سعيد البديد .

● طباعة ديوان الشاعر القطرى علي ميرزا محمود .

وفى مجال المؤلفات :

● كتاب تاريخ قطر وثقافتها المعاصرة .

● كتاب المؤسسات السياسية فى قطر .

● ايقاعات اغاني الغوص فى قطر .

هذه بعض الأضواء على النشاط الثقافى والفنى فى دولة قطر ، وهو نشاط نحاول أن نملأ فيه روح المواطن وعقله بكل روافد الثقافة والفنون التى هى الغذاء الفكرى للانسان المعاصر فى كل مكان .

موسى زينل



أضواء على المحاكم الشرعية والشئون الدينيّة في قطر

اصدرت رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية كتابها الاحصائى السنوى لعام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ .

وفى صدر التقرير نبذة وافية عن قطر : الدولة والسكان ، ويحتوى هذا التقرير الاحصائى على ستة ابواب هى : تمهيد عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر وانشاء رئاسة المحاكم الشرعية وتطويرها وتنظيمها الادارى الجديد .

وثانى هذه الأبواب عن الهيكل الادارى والتنظيمى ، وثالثها عن الاختصاصات والأعمال ، ورابعها عن الموظفين ، وخامسها عن الموازنة ، وسادسها عن الانجازات .

وقد جاء فى الباب الأول عن تاريخ القضاء الشرعى فى قطر انه منذ ان مارس الشيخ محمد بن ثانى سلطته الفعلية فى منتصف القرن الميلادى الماضى وقد كان لكل قبيلة من القبائل المستوطنة فى شبه الجزيرة القطرية رئيساً مختاراً من الناس ، وكان اول من عرف بتولى القضاء الشرعى هو الشيخ محمد بن حمدان فى عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني (١٨٦٨ ـ ١٨٩٢ م) ثم اختير بعد ذلك الشيخ عبد الله بن احمد ابن درهم ، وفى سنة ١٨١٣ م استدعى الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع وهو من الفقهاء المشهورين واسند اليه أمانة القضاء فى قطر ، وقد بنى له بناء خاصا عرف باسم المدرسة فى منطقة الجسرة بالدوحة فكان يجلس فيها للتدريس والقضاء حتى استقال من عمله سنة ١٩٣٩ م .

ومنذ ٤٢ عاماً ، وبالتحديد فى الثالث عشر من شهر ذى الحجة عام ١٢٥٩ هـ ـ يناير ١٩٤١ م تقلد فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود أمانة القضاء فى قطر .



غلاف الكتاب الاحصائى السنوى الذى اصدرته رئاسة المحاكم الشرعية .

وقد باشر الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود عمله فى القضاء بمحكمة شرعية فى الدوحة برئاسته ، ووضع نظاما لتسجيل القضايا والاحكام وحفظها ، وقام بتعيين كل من الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً فى تحرير الاقرارات وإثبات الشهادات وعقود الزواج والشيخ ابراهيم ابن عبد الله الانصارى فى القضايا المستعجلة وإبرام عقود الزواج وتحرير الاقرارات والشهادات ، وبعد وفاة الشيخ الأنصارى تم تعيين السيد ابراهيم بن يوسف السادة مكانه .

إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية

ومع اكتشاف النفط وزيادة السكان وإتساع العمران تكاثرت القضايا وتعددت أعمال المحكمة الشرعية وتنوعت اختصاصاتها ، فتقرر لذلك إنشاء رئاسة المحاكم الشرعية وكان ذلك فى اول المحرم ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م واسندت رئاستها الى الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود . وكانت تضم فى حينها .

(١) المحكمة الشرعية الكبرى .
(٢) المحكمة الشرعية بالدوحة .
(٣) دائرة الأوقاف والتركات .

وبقيت رئاسة المحاكم الشرعية تمارس عملها فى مقرها القديم بمنطقة الجسرة لفترة طويلة الى ان تم انشاء مبناها الجديد جنوبى قصر الدوحة والذى افتتحه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م ، ومنذ بداية عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م اصبحت الدائرة تحمل اسم «رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية» ، وتم تعيين وكيل لها خلال عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م واوكلت اليه مهمة تصريف جميع اعمالها وخول صلاحية التوقيع على كافة المعاملات والشيكات وكل ما له علاقة بمهمة الرئاسة والادارات التابعة لها .

بدايات التطوير

خلال اعوام ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ هـ وبعد دراسة أوضاع الرئاسة وأساليب العمل فى إدارتها افتتحت الادارات والاقسام التالية :

(١) ادارة شئون المساجد (٢) مكتب العلاقات العامة (٣) قسم التركات (٤) قسم الهندسة والصيانة (٥) قسم المشتريات (٦) قسم المحفوظات (٧) قسم الحسابات (٨) ادارة الشئون الاسلامية .

(٩) مكتب الشئون الزوجية (١٠) قسم الاحصاء والتخطيط .

التنظيم الادارى الجديد

امام المهام والاختصاصات المتزايدة وفى ضوء انظمة وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية فى بعض البلدان العربية تقرر إعادة تنظيم الوحدات الادارية فى الرئاسة فصدر لذلك القرار رقم ١٨ لعام ١٤٠١ هـ بحيث تم جمع الأقسام ذات الهدف الواحد تحت ادارة واحدة وقد روعى ان يقوم كل قسم بمهام معينة ضمن الهدف المشترك للادارة التى يتبعها .

وفى الباب الثالث فصلت إختصاصات واعمال رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية حسب اداراتها واقسامها المختلفة

إدارة شئون الأوقاف

تختص ادارة شئون الأوقاف باقامة المساجد وبيوت الائمة وما يستوجب ذلك من اعداد التصاميم الهندسية والاشراف على التنفيذ كما تتولى صيانتها وترميمها .

وتقوم الادارة ايضا برفد المساجد بموظفين يتم اختيارهم عن طريق لجنة التوظيف المشكلة برئاسة مدير الشئون الادارية والمالية ، وتزويدها بالاثاث والاجهزة وكل ما يلزم لدوام إقامة الشعائر الدينية فيها . الى التفتيش عليها ومراقبة العاملين فيها للتاكد من مدى قيامهم بواجبهم ، كما تتولى الاشراف على الأملاك الوقفية الاخرى والمحافظة عليها واستثمارها .



مسجد "أبو بكر الصديق"

وتشمل هذه الادارة ستة اقسام .

الشئون الاسلامية

تتولى هذه الادارة نشر الثقافة الاسلامية فى البلاد .. وذلك بعقد الندوات وإلقاء المحاضرات ، وتوزيع الكتب الاسلامية والمصاحف ، وإنشاء المكتبات فى المساجد ، كما تقوم باعداد البحوث والدراسات التى تخدم الاسلام والمسلمين وترد على المغالطات والشبهات ، بالاضافة الى طباعة المصاحف والكتب الاسلامية بمختلف اللغات وتوزيعها على المسلمين داخل البلاد وخارجها . وتقوم بتنظيم الاتصال بالعالم الاسلامى من خلال وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية والهيئات والمراكز والجمعيات فى العالم ، كما تشارك بحضور المؤتمرات الاسلامية واعداد الأبحاث اللازمة لها ، واستقبال وفود المسلمين الزائرين الى البلاد ، كما تشرف على معهد الائمة والخطباء وتحسين مستواهم الثقافى . وتضم هذه الادارة خمسة اقسام .

التركات وشئون القاصرين

تختص هذه الادارة بحصر التركات والاشراف عليها ريثما يتم توزيعها على مستحقيها وفقا لقرار القاضى الشرعى ، وتتولى رعاية شئون القاصرين والمحافظة على املاكهم وادارتها وتنمية اموالهم وإستثمارها كما تشرف على صيانة هذه الأموال ... وتضم الادارة الأقسام الآتية :

ا ـ قسم التركات ب ـ قسم شئون القاصرين جـ ـ قسم المحاسبة .

مجلة الامة

وهى مجلة اسلامية شهرية جامعة ، وإحدى وسائل النشر للثقافة الاسلامية ، ومن رسالتها ، العمل على جمع كلمة المسلمين ، البعد عن إثارة الأمور الخلافية ، وعن إعادة طرح المشكلات التاريخية التى انضج بحثها وانتهت بزمانها واشخاصها ، الاهتمام بمعالجة مشكلات المسلمين وتحدياتهم الحاضرة والمستقبلة ، ومحاولة تصنيف هذه المشكلات بحسب الاهمية ، والتفسير الاسلامى للحياة بجوانبها المختلفة ، جعل المسلمين اكثر إحساسا بمتغيرات الحياة وضرورة إختصار فترة التخلف ، ومواكبة التطور على هدى من تعاليم الاسلام . حتى يعود المسلمون الى مكانتهم فى قيادة البشرية ، هذا بالاضافة الى انها نافذة يطل منها القارىء على دولة قطر والعالمين العربى والاسلامى .

وفي الباب الرابع من التقرير الاحصائي لرئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ،





مبنى رئاسة المحاكم الشرعية .

يستعرض الكتاب بالاعتماد على الاحصائيات الدقيقة والجداول والاشكال البيانية الموضحة حجم الموظفين والعاملين بالرئاسة حسب فئاتهم الوظيفية وتخصصاتهم وجنسياتهم فيما بين سنتي ١٣٩٥ هـ ، ١٤٠٢ هـ ومما يدل على توفيق الله للرئاسة في تنفيذ عملها وما يقع على عاتقها من مسئوليات هو انخفاض معدل الزيادة السنوية للموظفين من ٩٪ ١٣٩٥ هـ الى ١٪ سنة ١٤٠٢ هـ ، ومغزى هذا الانخفاض هو ان الرئاسة تعمل بخطة ثابتة وخطوات مدروسة . كما تدل الاحصائيات على ان الرئاسة تتجه الى الاعتماد على القطريين كلما امكن ذلك ومما يدل على هذا هو ان نسبة القطريين العاملين بالرئاسة تمثل ٥٢٪ من مجموع العاملين .

وفي الباب الخامس يعرض التقرير الاحصائي لموازنة الرئاسة خلال الفترة من سنة ١٣٩٥ هـ ـ سنة ١٤٠٢ هـ ولعل الارقام انصع دليل على المشروعات الطموحة للرئاسة ، فقد انفقت الرئاسة مثلا على المشروعات الرئيسية العامة في هذه الفترة ثلاثة وثلاثين مليونا وثلث المليون من الريالات القطرية .

ويأتي الباب السادس ليتكلم عن الانجازات التي حققتها الرئاسة مفصلة حسب انجازات كل ادارة من إدارات الرئاسة

وفيما يخص انجازات إدارة شئون الأوقاف فقد وضعت الرئاسة خطة لانشاء مساجد نموذجية بحيث تتميز عن غيرها من ناحية السعة والمظهر والتصميم الهندسي الذي يجمع بين صفات العمارة الاسلامية والعمارة الحديثة .

وفيما يخص إدارة الشئون الاسلامية فالادارة تنظم سنوياً موسماً ثقافياً إسلامياً تدعو فيه عدداً من رجال الفكر والدعوة الاسلامية في العالم ليشاركوا بمحاضرات أو ندوات في موضوعات اسلامية معاصرة تتناول جوانب ومشكلات فكرية واجتماعية بهدف نشر الوعي والثقافة ، وقد شاركت الرئاسة فى عدد من المؤتمرات الاسلامية خلال عام ١٤٠١ هـ ـ ١٤٠٢ هـ ، وتقوم الرئاسة باستقبال الوفود الاسلامية القادمة الى الدولة وتهيء لهم برامج لزيارتهم واطلاعهم على نهضة البلاد ، كما اعدت أرشيفاً يضم معلومات وافية عن عدد كبير من الجمعيات والهيئات والمراكز الاسلامية في العالم كما يضم الدراسات والقرارات التي تتخذ في الموتمرات والندوات الاسلامية .

وقد قدمت الرئاسة خلال السنوات الماضية مساعدات ومعونات مالية لعدد من المراكز والجمعيات الخيرية الاسلامية في مختلف الدول العربية والاسلامية والاجنبية وقد بلغت هذه المعونات في عام ١٤٠١ هـ حوالي خمسة ملايين ريالا قطرياً .

ويقوم قسم الدعوة والارشاد بتنظيم دروس الوعظ والارشاد في مساجد الدولة ومعسكرات الجيش والشرطة والسجون . ومنذ شهر رمضان سنة ١٣٩٩ هـ وتقوم الرئاسة بجهود خاصة لتكثيف الوعظ والتوعية الاسلامية في الشهر الكريم من كل عام وعززت هذه الجهود بدعوة عدد من كبار العلماء والوعاظ في الدول العربية الشقيقة للمشاركة في هذه الجهود .

وفي مجال المكتبات فقد انشئت الادارة في عدد من المساجد الكبيرة مكتبات مزودة بالمراجع الاسلامية والثقافية المتنوعة هذا الى جانب مكتباتها العامة الموجودة بمقر الادارة كما قامت بوضع خزائن للكتب في ٧٠ مسجداً وزودتها بمختلف الكتب التي يحتاجها المصلون .

وتتولى الادارة طباعة وشراء المصاحف والكتب الاسلامية بلغات متعددة وذلك من اجل توزيعها على المسلمين داخل قطر وخارجها خاصة المراكز والمعاهد واتحادات الطلبة والجمعيات الاسلامية وعلى الأخص الموجودة فى المناطق المحتاجة وبين الاقليات الاسلامية في العالم .

ومساهمة من الرئاسة فى توصيل المحاضرات والمواد الدينية الى ابعد مدى فقد عمدت الى توزيع اشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات وغيرها على المؤسسات والنوادي والجمعيات والمراكز الاسلامية داخل البلاد وخارجها .

ومساهمة من الرئاسة في تحقيق الوعي الثقافي الاسلامي فقد أصدرت « كتاب الأمة » في سلسلة فصلية

وفي ختام هذا العرض الموجز للعمل الضخم الذي تقوم به رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية لا يسعنا إلا أن ندعو الله أن يوفق القائمين على هذا العمل الى كل ما فيه خير للمسلمين .. وان يسدد خطاهم على طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تقاسيم عشوائية..
إلى الذي لم يأت بعد !

شعر: فوزي صالح

● تقسيمة أولى :

ربما آتى إليكم ذات يوم
حاملا كل المواعيد القديمه
عابراً صمت التواريخ البليده
ربمـــا
يعرفنى البعض فسيماي علامه
ربما يأسرنى البعض ضماده
فاعرفونى
قبل أن تطغى الغيوم
أنا لا أملك سيفاً أو رصاص
بل ولا أعرف سحراً
أشعث الشعر
ملىء بالحيـــاء
مبضعى اللفظ ، ومصباحى الحقيقه
يا أحبائى أصيخوا
ربما آتى إليكم ذات يوم فاعرفونى

● تقسيمة ثانية :

هل أتاكم نبأ الغيم ،
وميقات المطر ؟ ؟
سوف يأتى ..
انظرونى قطرة من بعد قطره
مانحاً كل الشقوق المكفهره
رشفة من بعض فيضى ..

● تقسيمة ثالثة :

ها أنت يا غريدة المساء
تدخلين فى عروقي الكسيحه
تؤججين فى الدماء
صولة المحال
ترفرفين كالحداء فى مدارج الفناء
والدماء ماء

[redacted]

● لازمة كسيرة :

تووددى .. تووددى
دماءنا .. وبددى
توعدى .. توعدى
وللسلام .. غردى
حقوقنا .. خرافة
فمددى .. وهودى
توعدى .. تووددى
تووددى .. توعدى

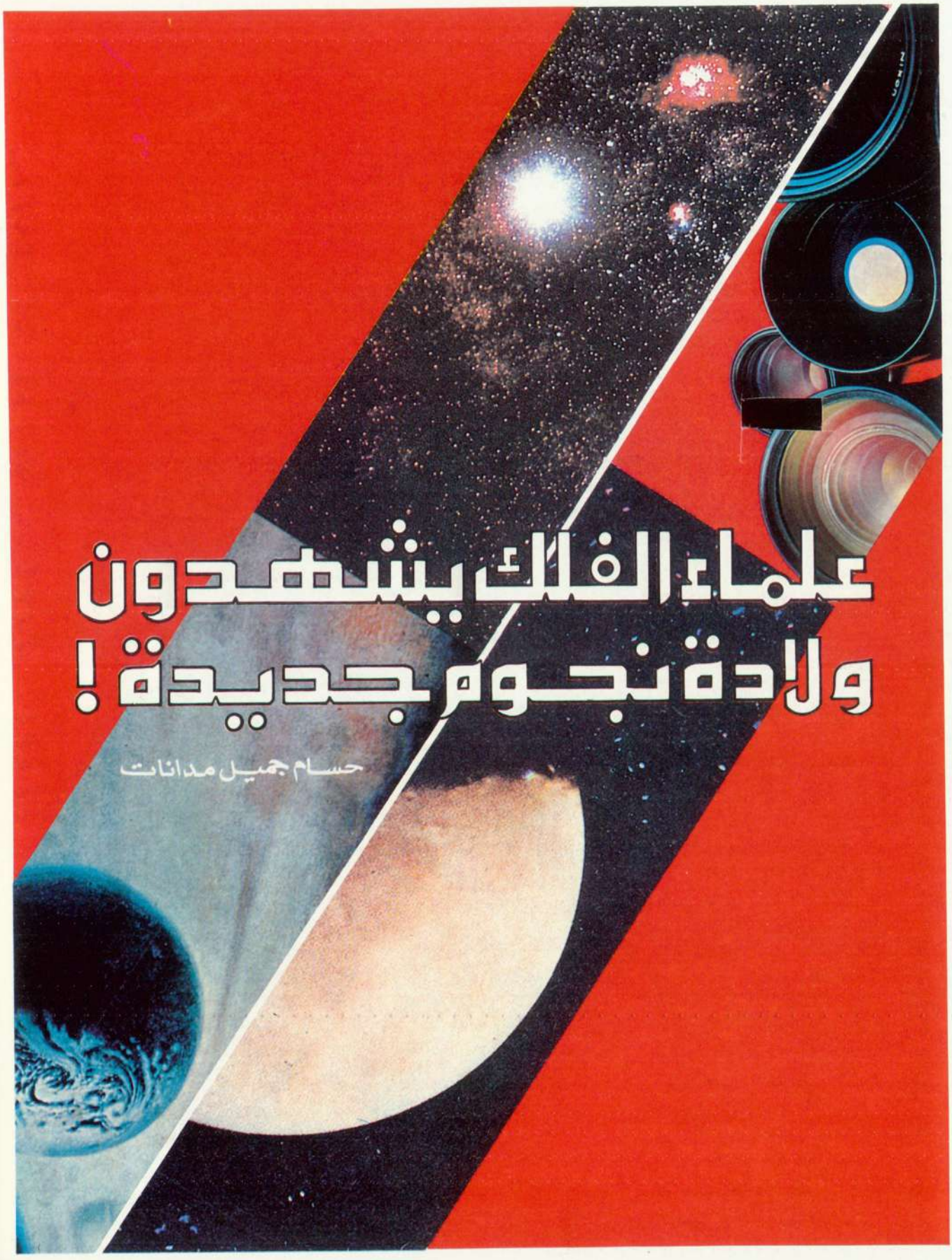
● ● ●

● تقسيمة رابعة :

ويدخلون كالجراد فى لحومنا
يناوشون جرحنا
فى مضرب المواجع
، .. ويهدمون
ونحن قابعون يا ضياعنا
نعانق الرؤى ،
وننشق السموم ! !

● تقسيمة خامسة :

مشدود
أتفكر فى اللا معقول
أتحاور .. أرنو
أتبين مفهوم الصمت
لا أدرى ان كانت أحلام
أم أن البعد الملعون يميت الفكر
أسماء تتكاثر من غير ختان
فلسفة عرجاء
تتخلق فى رحم الإفك .. ،



علماء الفلك يشهدون ولادة نجوم جديدة!

حسام جميل مدانات

لماذا يخفت ضوء بعض النجوم بشكل دورى ؟

يجيب العلماء : إن السر يكمن فى مرور كرات هائلة الحجم من الغبار امام هذه النجوم وبشكل منتظم . وهذه الكرات يمكن اعتبارها بقايا او أشباح نجوم قديمة مندثرة . ولكنها ايضا عبارة عن نجوم جديدة وتوابع نجوم (كما هى الحال فى نظامنا الشمسى) ، فى طريق التكوين . وهكذا فعندما تنفجر بعض النجوم وتموت فان رفاتها الغبارى يتجمع ثانية لولادة نجوم اخرى من جديد .

ولكن كيف ظهرت النجوم ؟ ولماذا تملك بعضها كواكب تدور حولها ؟

الواقع انه طوال العصور الماضية ، كانت الاجابة على أسئلة من هذا النوع ، تدخل فى مجال الشعر والخيال ، اكثر من دخولها فى المجال العلمى ، أما الآن فنجد العلماء فى مجالات الفلك والفيزياء النووية وقد بدأوا يقدمون تصورا علميا للعمليات الكونية المعقدة ، ولقد تمكنت الأرصاد الفلكية (سواء للضوء المرئى أو للأمواج الكهرومغناطيسية والاشعاعات الكونية المتنوعة) ، من إعطاء الأساس لتكوين فرضيات تبدو صحتها محتملة جدا .

ويبدو ثابتا ان النجوم تولد من كتل الغبار التى توجد متناثرة ، ثم تتكثف فى الفضاء داخل المجرات ، والأذرع اللولبية للمجرات تكون غنية بالغبار الذى يشكل بؤر جذب لدقائق أخرى جديدة باستمرار بفضل قوى الجاذبية ، وهذه الكرات من الغبار هى الصورة الأولية لنجوم المستقبل .

ولكن يبقى أنه بين الفرضيات والمشاهدة فرق كبير ، فالفلكيون لم يتمكنوا من مشاهدة نجوم فى طور التكوين إلا حديثا ، وهم متأكدون الآن من أنهم قد شاهدوا نجوما فى الأطوار الأولية من تكوينها ، وفيما يلى أمثلة على أجنة النجوم التى تتم مراقبتها منذ زمن ، وكل منها يعد مثالا على مرحلة مختلفة فى عملية تكوين النجم .

كيف تتكون النجوم ؟

المثال الأول لنجم يراقب باستمرار منذ بداية القرن الحالى ، واسمه ابسلون أوريجى Epsilon Aurigae ، وهو نجم قريب من كابيلا Capella فى مجموعة نجوم كوشر Cocher . وكانت مرتبته تساوى (٣,٤) خلال ربع قرن ، ثم انخفضت الى (٤,٢) خلال سنتين لتعود وترتفع الى (٣,٤) وهكذا من جديد وبشكل دورى . وهذا النجم هو عملاق أصفر تساوى كتلته ثمانية أمثال كتلة الشمس ، ويبعد عنا حوالى (٢٠٠٠) سنة ضوئية .

ولكن ما هو السر وراء هذا الخفوت المفاجىء فى قوة إضاءة النجم والتى تدوم لسنتين ؟

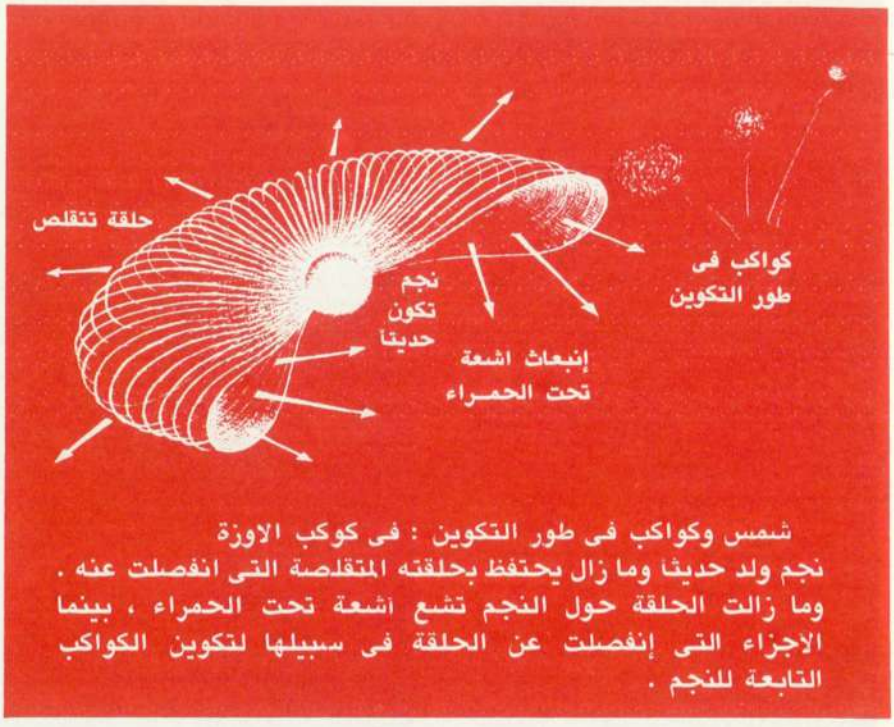
إن الطريقة التى تضعف فيها إضاءة النجم تساعد فى فهم هذا اللغز ، فانخفاض مرتبته من ٣,٤ الى ٤,٢ عملية تحتاج الى حوالى ستة أشهر ، ثم يبقى سنة فى مستوى اضاءته الدنيا ، حيث يبدأ ضوءه بالاشتداد بعد ذلك وخلال ستة أشهر أخرى . وبعدها يحافظ على مستواه الطبيعى لفترة الربع قرن التالى . إذن هناك تابع معتم لهذا النجم يتحرك ليصبح بينه وبيننا متحركا حركة دورانية بطيئة نسبيا . ولكنه لا يكون حاجزا كليا للضوء . إنه يمرر نسبة من ضوء النجم ، وهذا ما يجعلنا نفترض انه كرة مركزة من دقائق الغبار . وتدل الدراسات أن قطر هذه الدقائق يبلغ حوالى السنتيميتر ، وهذه الكرة الغبارية تحيط بكتلة مركزية وتدور حولها .

وتبلغ الكتلة الكلية لهذه الكرة من الغبار المتكثف بين عشرة واثنتى عشرة مرة قدر كتلة الشمس . وتدور هذه الكتلة حول النجم «ابسلون أوريجى» بتاثير الجاذبية المتبادلة بينهما . ويبعدان عن بعضهما حوالى ٣,٥ مليار كيلومتر ، أى ما يقارب المسافة بين الشمس وكوكب بلوتو . وعندما يبدأ التفاعل النووى ويبدأ تكوين هذا النجم ، فانه سيشكل مع النجم الآخر نظام نجم مزدوج ، بينما ستشكل هالة الغبار حوله مجموعة من التوابع أو الكواكب .

والمثال الثانى يتعلق بنجم فى مرحلة التكوين ، ولكنه وصل طورا أكثر تقدما ، إذ بدأت توابعه تتكون . إنه نجم فى مجموعة Cygne ويدعى MWC 349 . تبلغ كتلته ثلاثين مرة قدر كتلة الشمس ، وحجمه اكبر بعشر مرات من حجمها . وقد لوحظ الخفوت الدورى لاضاءته منذ نصف قرن ، ولكن رصد هذا النجم حديث الولادة (عمره عدة الاف من السنوات فقط) بواسطة الأشعة تحت الحمراء ، مكن من رؤية هالة مضيئة ضخمة على شكل اسطوانى ، ولوحظ أن قوة إضاءتها تنقص بمعدل ١٪ كل شهر .

ويبلغ قطر هذه الاسطوانة ٢٢٤ مليون كيلو متر (أى انها تغطى المسافة من مركز الشمس حتى الأرض) . ويتناقص حجم الاسطوانة باستمرار مع اقترابها من النجم الأم .

ويعتقد العلماء ان ما يشاهدونه هو عبارة عن مرحلة تكثف المادة اللولبية الدائرة حول النجم لتكون الكواكب ، وسينطفىء بريق الهالة مع تكوين هذه



شمس وكواكب فى طور التكوين : فى كوكب الاوزة نجم ولد حديثا وما زال يحتفظ بحلقته المتقلصة التى انفصلت عنه . وما زالت الحلقة حول النجم تشع أشعة تحت الحمراء ، بينما الأجزاء التى إنفصلت عن الحلقة فى سبيلها لتكوين الكواكب التابعة للنجم .

الكواكب . وحسب المعدل الحالى ، فان الاسطوانة ستختفى وتفقد ضوءها خلال مئة سنة .

والمثال الثالث يتعلق بنجم بالغ الجمال يدعى Betelgeuse فى مجموعة Orion وهو نجم قوى الاضاءة ، يميل لونه للحمرة ويشاهد فى فصل الشتاء . إنه نجم كهل عملاق يبلغ قطره ٣٥٠ مليون كيلو متر . وقد أظهر الرصد بالأشعة تحت الحمراء وجود كتلة ضخمة من الغبار المقذوف من النجم ، يبلغ قطرها ٤٥٠٠ مليار كيلومتر ، وهو حجم مذهل ويعادل حوالى ثلث سنة ضوئية (أى أن الضوء يحتاج الى أكثر من مئة يوم ليقطع هذه المسافة) . إن هذه الظاهرة هى نقيض ما رأيناه فى المثال السابق . إنها تظهر نجماً يقذف المادة الزائدة بعيداً عنه . إن هذه الظاهرة تساهم فى تجديد الغبار والدقائق والأنوية التى ستتغذى عليها الثقوب السوداء فى المستقبل .

والمثال الرابع يتعلق بأجسام سماوية تدعى «بأجسام بوك» ، نسبة للفلكى الهولندى بارت بوك . ويبلغ عددها (٢٧) تشكيلة من الأجسام الواقعة فى طريق الضوء القادم من بعض النجوم والتى تمنع مرور الضوء . إنها كتل مكثفة من الغبار والغازات ، ويبدو أن كتلتها تبلغ بين خمس وعشر مرات قدر كتلة الشمس . وتمثل المراحل الأولى من عملية تكثف الغبار بفعل الجاذبية ، وهى عملية تحتاج الى حوالى مليون عام لتتم .

غلاف الهيدروجين

بهذه الأمثلة الأربعة تظهر الحلقة وقد أغلقت فى مراحل حياة النجوم ، ولكنها فى الواقع حلقة متصلة ، دورة تتكرر وتعيد نفسها ... بدأنا بمثال عن نجم فى طور التكوين ، ثم آخر تتشكل كواكبه التى ستدور حوله ، وثالث كهل يبذر مادته بقذفها بعيداً عنه ، ورابع يبدأ خلقه بعملية تكثيف الغبار الكونى .

ولكن هل تعبر هذه الأمثلة عن جميع المراحل ؟ ألم يبق هناك حلقة مفقودة أو بالأحرى جزء مفقود من الحلقة ؟ .. لقد كان إنجازاً هاماً أن تم العثور على هذه الأمثلة الحقيقية الملموسة (إذا صح التعبير) لمراحل كان وجودها افتراضياً فى السابق . ولكن ألا يوجد مسبب ، محرك أو مثير لهذه العمليات ؟ ما هى القوة التى تطلق الزناد أو تشعل الفتيل لتبدأ عملية التطور من غبار الى نجم ؟

يبدو أن الاجابة على هذا التساؤل قد تحققت حديثاً .. إذ يعتقد العلماء أن القوة الكامنة وراء انطلاق هذه العمليات هى انفجار نجم (سوبرنوفا Supernova) حتى لو حصل هذا الانفجار فى مكان ليس بقريب من مكان تواجد الغبار الكونى الذى سيلد النجم .

لقد قام الفلكى «وليم هيربست» بدراسة قوقعة من الغاز المشع فى مجموعة الكلب الكبير . مفترضاً أنها عبارة عن الغلاف المتبقى من انفجار نجم «سوبرنوفا» ، وأنها فى تمدد مستمر . ولقد ثبت أن هناك غلافاً من الهيدروجين يتمدد باستمرار فى هذا الغلاف . وقد أدى قياس سرعة التمدد الى تقدير الزمن الذى مر على حصول الانفجار والذى يقارب ٦٠٠,٠٠٠ سنة . وفى مركز الغلاف الغازى هذا ، يوجد النجـــم (HD-54463) والذى كان أحد نجمين فى توأم أو نجم مزدوج . أما الآخر فهو النجم «سوبرنوفا» الذى انفجر .

ما قلناه حتى الآن عادى ومعروف فى عشرات الأمثلة الأخرى ، ولكن المثير فى هذا الأمر أنه فى أطراف القوقعة الغازية تظهر مجموعة من النجوم الشابة CMa RI وعمرها حوالى ٦٠٠,٠٠٠ سنة !

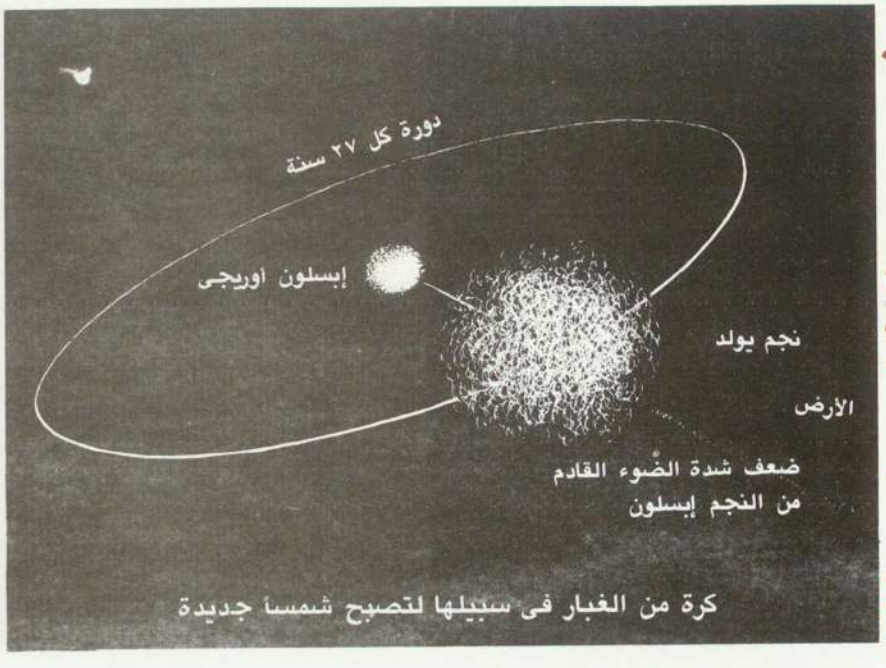
إن توافق عمر هذه النجوم مع عمر الغلاف الغازى لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة .. إنه من شبه المؤكد أن هذه النجوم ناتجة عن مرور الغلاف الناتج عن انفجار النجم «سوبرنوفا» بكتلة من الغبار الفضائى . وتسير هذه النجوم الشابة بنفس سرعة تمدد الغلاف الغازى . ولابد أنه يوجد داخل الغلاف نجوم أخرى فى طور التكوين وأصغر من هذه . ويحاول العلماء الآن قياس عمر حوالى ثلاثين نجماً توجد داخل الغلاف للتحقق من صحة فرضياتهم .

ويبدو أن الشمس قد نتجت فى الماضى عن عملية مشابهة .. أى انفجار «سوبرنوفا» مما أطلق ميكانيكية التقلص لكتلة من الغبار لتكون نجماً جديداً .

وبدراسة النظائر الموجودة فى بعض النيازك الساقطة على الأرض ، نستنتج أن تركيب السديم الأولى ، والذى نشأت منه الشمس هو تركيب غير متجانس . إنه يحوى عناصر يبدو أنها تكونت فى مكان آخر .. فى نجم «سوبرنوفا» فى الغالب ، ثم خلطت هذه العناصر أثنـــاء مرور الغلاف الغازى الناتج عن انفجار «السوبرنوفا» (قبل خمسة مليارات سنة) بالسديم الغازى الذى ولد الشمس .

هل يتحول الى شمس ؟

وبامكان الفلكيين الذين يدرسون ولادة النجوم من الغبار الفضائى داخل المجرات ، أن يلاحظوا مثالاً قريباً منهم .. هذا على الأقل ما يؤكده مجموعة من علماء الفلك والفيزياء . فقد قادتهم ملاحظـاتهم الى استنتاج أن المشترى ، وهو أكبر الكواكب



كرة من الغبار فى سبيلها لتصبح شمساً جديدة

● علماء الفلك يشهدون ولادة نجوم جديدة ! ●

التابعة للشمس ، يمر فى الطور الاولى لارتفاع درجة حرارته قبل أن تنطلق التفاعلات النووية الحرارية .

ومن العبارات الشائعة فى وصف المشترى أنه نجم قد أجهض ... مشروع نجم لم ينجح ! والسبب فى ذلك ، هو أن كتلة الهيدروجين فيه أقل بعشر مرات من الحد الأصغر اللازم للوصول الى ضغط مركزى كاف لحصول انصهار نووى حرارى ، كما يحصل فى الشمس مثلا ... إذ تنصهر أنوية الهيدروجين لتعطى الهيليوم وكمية هائلة من الطاقة .

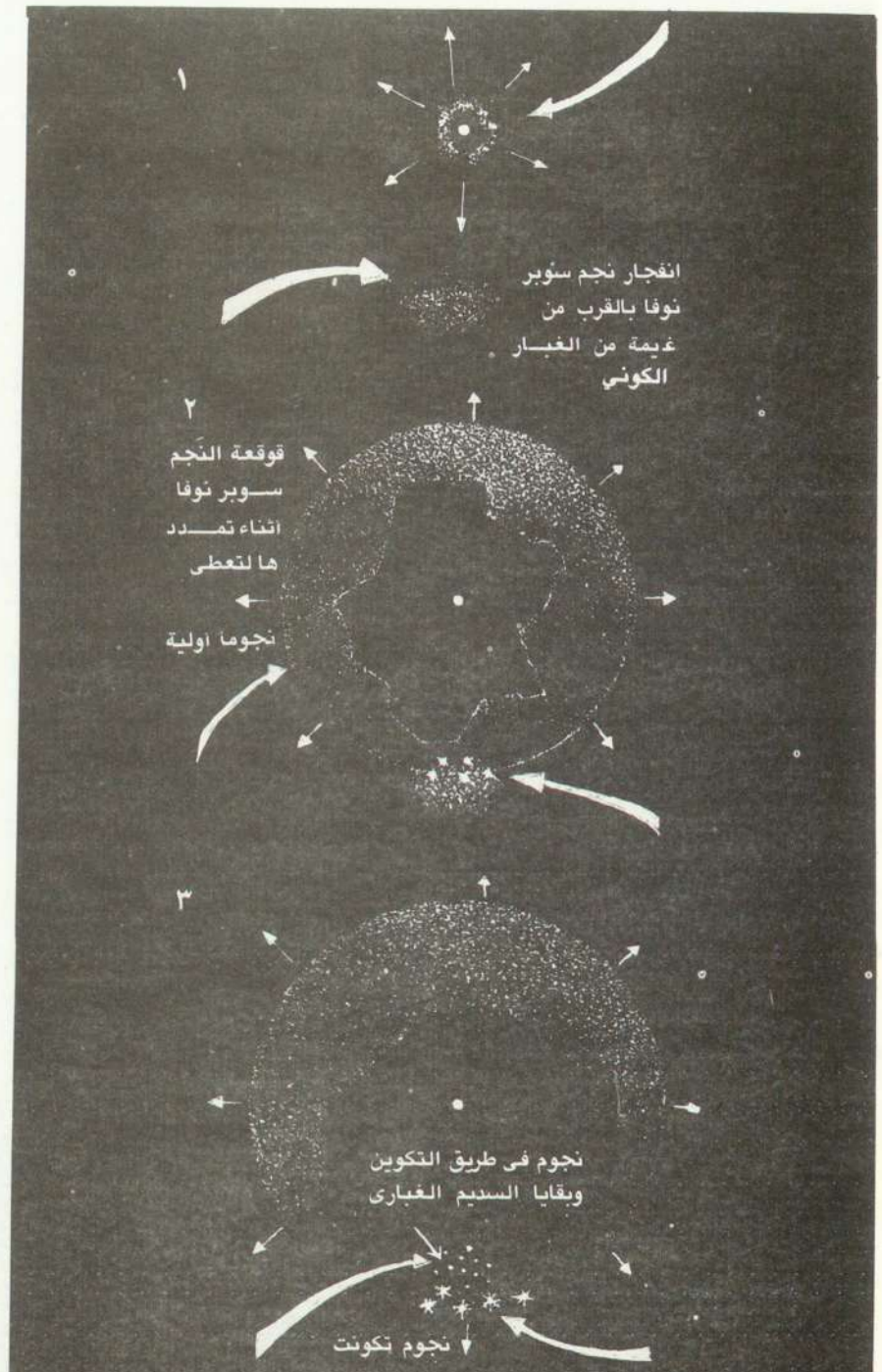
ولكن الملاحظات الأخيرة تدل على أن المشترى يحتوى بالاضافة الى الهيدروجين على الدوتيريوم ، وهو أحد النظائر الثقيلة للهيدروجين . ولم يكن العلماء قد اعتبروا الدوتيريوم فى حساباتهم السابقة . وهذه الكمية من الهيدروجين والدوتيريوم ستكون كافية لبدء التفاعل النووى الحرارى .

وفى الحقيقة ، إن المشترى يشع من الحرارة أكثر مما يصله من الشمس ، وكان العلماء يفسرون ذلك على أنه نتيجة عملية إشعاع الحرارة المتبقية من التقلص الذى حصل قديما أثناء تكون الكواكب (قبل خمسة مليارات سنة) ، أو بسبب استمرار تقلصه .

ولكن الفلكيين يرفضون هذه التفسيرات إذ يعتقدون أن هذه الحرارة التى يشعها المشترى هى دلائل بداية تفاعل نووى حرارى . وأن المشترى الذى تزداد كتلته بجذبه باستمرار لأجسام فضائية وغبار كونى ، سيشتعل بشكل متسلسل وتدريجى خلال عشرات أو مئات ملايين السنين القادمة ليصبح شمسا جديدة .

ولكن تحول المشترى الى شمس لن يكون له تأثير خطر على أرضنا ، فأصغر مسافة بين المشترى والأرض هى خمسة أمثال بعد الأرض عن الشمس . وفيما لو اعتبرنا أنه سيعطى إشعاعات مساوية لما تعطيه الشمس فان الأرض لن يصلها ما يعادل خمس الطاقة الشمسية من المشترى ، وإنما مربع هذا العدد أى $\frac{1}{25}$ من الطاقة التى تصل الأرض من الشمس . ومن المؤكد أن المشترى سيكون أضعف بخمس أو عشر مرات من الشمس إشعاعيا . وهذا يعنى أن الأرض ستستقبل إشعاعا إضافيا يقل عن ١٪ من الاشعاع الشمسى الذى تستقبله حاليا . إذن ، لا داعى للقلق ! خاصة وأن هذه الشمس الجديدة لن تتكون قبل مرور عدة بلايين من السنين كما يؤكد العلماء .

حسام جميل مدانات الأردن



النجوم من الغبار ، وإلى الغبار تعود :

(١) فى الصورة العليا ينفجر نجم « سوبر نوفا » وعلى مسافة منه يوجد سديم من الغبار الكوني ضمن نفس المجرة .

(٢) غلاف مادة النجم وقد قذفت بتأثير الانفجار لتصل إلى سديم الغبار وتسبب بدء تكثيف الغبار الذى سيكون نجوما فى المستقبل . وتكتسب أجنة النجوم هذه ، سرعة مساوية لسرعة تمدد المادة المنفجرة للنجم « سوبر نوفا » .

(٣) وهكذا تبقى هذه الأجنة على محيط الغلاف المتمدد للمادة المنفجرة ، بينما بقايا الغاز فى داخل هذا الغلاف ، تبدأ الآن بالتكثف لتكوين أجنة نجوم جديدة .

لقطات من الكون المثير



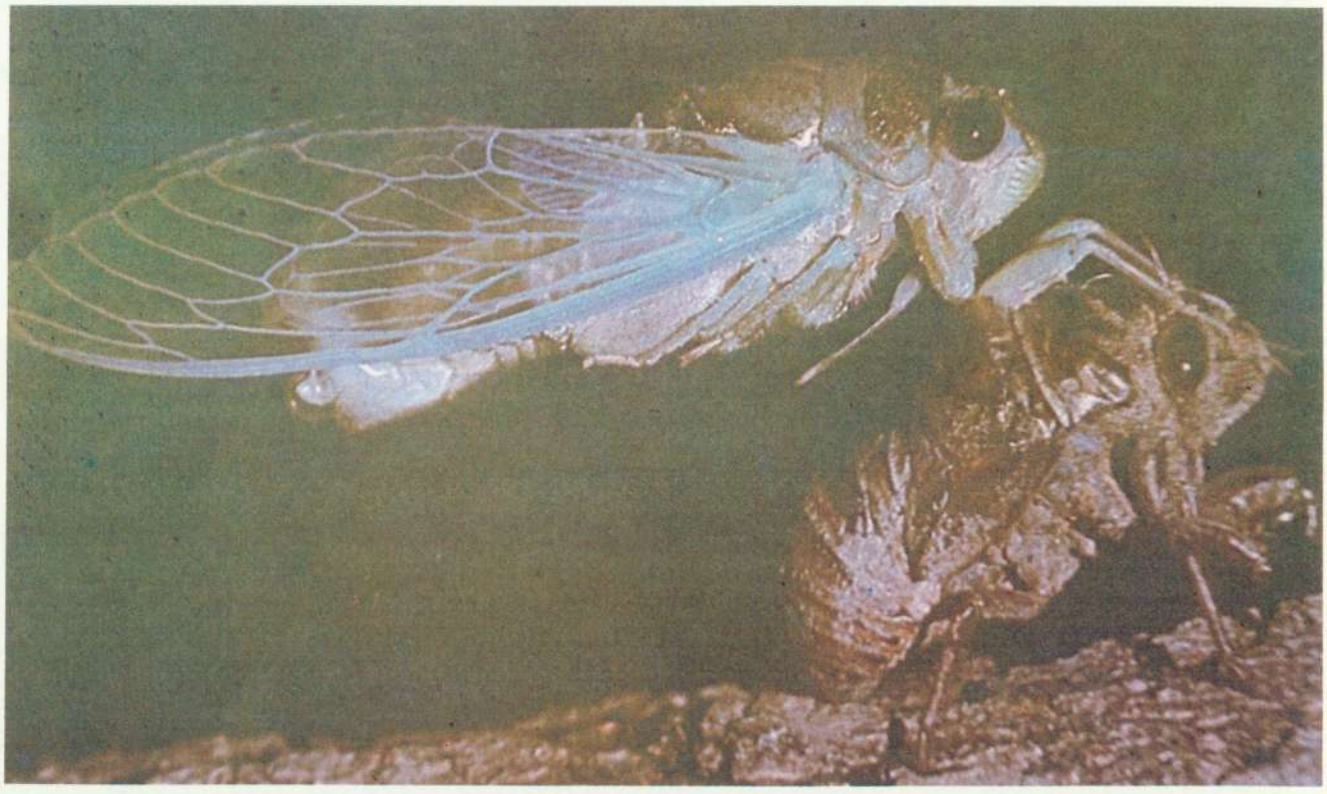
عيون لضبط الزوايا !

كل الحيوانات المعروفة قد جاءت الى الحياة بعينين ، لكنَّ لكل قاعدة شواذاً ، خاصة مع الرتب الدنيا من المخلوقات ، لأن انماط العيون فيها تختلف عما هو سائد بيننا ، ولقد جاءت لتصبح اداة تيسير لا تعسير ، ولنختبر منها نمطاً واحداً ، فهذه العيون الأربع كانما هي عيون «بانورامية» ولقد تراصت على راس أحد انواع العناكب المعروف باسم العنكبوت القافز ، لانه يقفز على ضحيته قفزة مباغتة ، لكن بعد ان تجري عيونه حساباتها ، وتقدر زواياها ، وتحدد الموقع تحديداً مضبوطاً ، فاذا وثب العنكبوت على ضحيته ، فانوثبته قلما تخيب ، اضف الى ذلك ان بعض الأنواع القافزة ، قد تمتلك من العيون ثمانية ، ليرصد بها لأطول مسافة ممكنة ، وللعناكب صانعة الشباك عيون ضعيفة ، لانها لا تستخدمها كثيراً ، فاهتزاز الشبكة بالصيد يغنيها عن عيونها ، وليس للعناكب التي تعيش في الظلام عيون بالمعنى المفهوم ، فكانما كل عين قد جاءت لما هي له ميسرة .



الناس أمزجة وهوايات

للناس فيما يعشقون مذاهب ، فمنهم من يحب جمع المال أو تحصيل المعرفة ، أو تكوين مجموعات من العملات النقدية ، أو طوابع البريد المختلفة ، الى آخر هذه الأمور التي نعرفها تمام المعرفة ، لكن هذا الياباني المدعو تايكي بوشيزاوا يعرض علينا هوايته الغريبة ، فهو مغرم بجمع علب الكبريت ، لدرجة أن ما جمعه منها قد كون به متحفاً معتبراً ، ولقد بدا هوايته منذ عام ١٩٢٤ ،واصبح رصيد مجموعته الآن ٥٥٩٧٤٤ علبة ، وليس فيها تكرار ، كما انها قابلة للزيادة كل عام ، وقد يتساءل البعض : وما الفائدة ؟ .. والجواب : انها امزجة ، فما يسعد الناس ، قد لا يسعدنا ، او قد يدعو للسخرية .



كأنّما هو نشور من القبور!

تبدو الصورة وكانما قد جمعت حشرتين تقفاحداهمافوق الاخرى ،رغم ان هذه من تلك ، فالتي الى فوق هي الاصل ،والتي تحتها هي « الشبح » اي جلدها القديم الذي تنسلخ منه كماينسلخ الثعبان من جلده ..لكن الغريب في هذه الحشرة المعروفة باسم « السيكادا » او (زيزالحصاد) انها لا ترى النور الا لمدة اسابيع قليلة ، بعد ان ظلت مدفونة في باطن الارض طوال سبعة عشر عاما متواصلة . فكانما هي بعد هذا الدفن الطويل جداً ، لا تعيش على وجه الارض إلا قليلا .. وفي هذه الفترة الوجيزة تغني ذكورها لاناثها ، فتسعى اليها وتخصبها لتضع بيضا ،ينشق عن يرقات تتجه الى باطن الارض ، لتتغذى ، ثم تتحول الى عذراوات تبقى مدفونة كل هذا العمر الطويل ، وبعده تخلع ثوبها ، وتبدا حياتها القصيرة ، وتتكرر القصة الازلية .. اي ان ذريتها في عامنا هذا الذي نعيش فيه ، سوف تخرج لتغني فى عام ٢٠٠٠

مجتمعات غير متطورة



الدارسون للمجتمعات البشرية التي لازالت تعيش حياة جد بدائية ، يقدمون لنا حقائق مثيرة ، وعادات غريبة ، بحيث تذكرنا بالعصور الحجرية القديمة ، وهذا المنظر يوضح لنا نمطاً من انماط حياة الهنود الحمر القاطنين في تجمعات صغيرة في ادغال معزولة بالبرازيل .. فالبيت من قش ، والملابس من قش ، والحياة خالية من الهموم ، وهذان « الشبحان » الغريبان رجلان يختبئان تحت ردائين ليؤديا طقوسهما الدينية في هذا المعبد المتواضع ، ومثل هذه الأردية يلبسونها في مناسبات الاعياد ، لكنهم في معظم الاوقات يعيشون شبه عرايا ، وكانما البساطة والحرية ، خير من نفاق وعبودية المدينة .

عصر الاتصال

بقلم: الدكتور عصام سليمان موسى

يتميز عالمنا المعاصر بالتقدم المذهل الذى تشهده الصناعة الالكترونية . فقد كان اختراع التلغراف والهاتف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مؤشراً لمولد عصر جديد هو عصر الاتصال الالكتروني . ورغم ان البداية كانت بسيطة ومتواضعة بمقاييس الزمن الحاضر ، الا ان صناعة الالكترونيات شهدت تسارعاً عظيماً فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . ونتيجة لهذا ، شهدنا مولد الأقمار الصناعية ، ومحطات الاتصال الأرضية ، هذه الأجهزة التى مكنت ربط العالم بشبكة منظمة من المواصلات الفضائية السريعة والمتقنة الى أبعد حدود الاتقان .

ان السمة الرئيسية التى تطبع العصر الحالى بفضل تطور صناعة الالكترونيات هى فى كونه عصر الاتصال (Age of Communication) . ويشار اصطلاحاً الى الصناعة المتقدمة التى حملت هذا العصر على اكتافها بتكنولوجيا الاتصال (Communication Technology) . فاذا كانت سمة العصر هى هذه الصناعة المتطورة التى تميزه عن عصور اخرى سابقة ، فانه ولاشك يحق للبعض صدقاً القول بان عصرنا الحالى قد شهد ثورة عظمى فى الاتصال وصناعاته . لذا ، فاذا كانت العصور الماضية قد تميزت بقيام ثورات كبيرة هزتها واخرجتها من دورتها التاريخية ، وحررتها من جمودها ، كما فى الثورة التجارية ، او الثورة الفرنسية ، او الثورة الصناعية ، فان سمة العصر الحالى هى بحق ثورة فى الاتصال : علماً وصناعة .

وقد شهدت وسائل الاتصال الجماهيرى ، بدءاً من منتصف القرن الماضى ، تسارعاً ملحوظاً فى التطور التقنى . لكنها اصبحت فى زمننا الحالى ضرورة لا غنى عنها لكل انسان . وانتشرت وسائل الاتصال الجماهيرى ، وتطورت صناعتها ، معطية زخماً ، ومداً قوياً ، لثورة الاتصالات الحديثة .

ولا ادل على اهمية هذه الثورة ما نلمسه جميعاً من آثارها فى حياتنا . من منا يا ترى لم يستخدم الهاتف ، وينعم بلقاء صديق او قريب عبر خطوطه مختزلا المسافات الطويلة ؟ ومن منا لا يتسمع للمذياع ينقل اليه اخبار الدنيا واغانيها وتوقعات الحالة الجوية ؟ ومن لا يستمتع بمشاهدة البرامج التليفزيونية المختلفة ، الاخبارية او الترفيهية او التعليمية ؟ الم نتسمر جميعنا فى العام الماضى امام الشاشة الفضية نتابع مباريات الكرة العالمية التى حصلت فى اسبانيا ، فشاركنا فيها وكاننا نجلس على المدرج فى المكان الذى جرت فيه تلك المباريات ؟ الم نر ، فى برامج اخرى ، شخصيات عالمية تتحدث الينا من خلال المقابلات ، رغم ان البحار تفصلنا عنها ، بواسطة اجهزة الاتصال المتطورة ـ الأقمار الصناعية ومحطاتها ؟ اليس ذلك اقرب الى الحلم منه الى الحقيقة ؟

لكن هذا واقع . لقد استطاعت تكنولوجيا الاتصال الحديثة ان تنجح فى اختزال المسافات الفيزيائية ، فتقرب بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم ، عاملة على تحطيم الكثير من الحواجز النفسية والاجتماعية والزمانية والمكانية التى كانت تفصل بينهم حتى عهد قريب . الا نشعر باننا نعرف مصر ، والمصريين ، بصورة جيدة ، بفضل المسلسلات والافلام الاجتماعية المصرية ، رغم اننا لم نطا ارض الكنانة يوماً ؟ الا نشعر ايضاً باننا نتفاعل مع مشاكلهم ونفهم ظروف حياتهم فهماً مناسباً . بفضل وسائل الاتصال الجماهيرية الالكترونية ؟

لو نظرنا حولنا نظرة فاحصة لراينا تكنولوجيا الاتصال تغمر حياتنا وتغزو علينا مشاعرنا ووجداننا وافكارنا دون وعي مباشر منا . فالاقمار الصناعية تسبح بالسماء من فوقنا ، والامواج الكهرومغناطيسية تتطاير فى الأثير من حولنا ، دون ان تدركها عين او اذن ـ لكنها لدى ارتطامها باجهزة الاستقبال (الاتصالية) من حولنا ، تتحول اصواتاً وصوراً حية تتدفق بالمعلومات والنماذج المختلفة . وقل مثل ذلك عن الكتب والمجلات والجرائد التى تقذفنا بوابل من الحقائق والاعلام والترفيه ، وبسرعة قصوى ، كاننا نعيش فيضاً من المعلومات لا ينتهى .

شبكة الاتصالات هذه التى تربط العالم واجزاءه المتناثرة البعيدة حقيقة عصرية تستدعى الدراسة والفهم . بفضلها صغر العالم وصغر حتى اصبح قرية عالمية ـ A. Global Village ـ كما شاء مارشال ماكلوهان ان يسميها . فعالم القرية صغير

محدود يعرف ساكنها كافة التفاصيل عن ازقتها . ومبانيها ، وساكنيها ، وشوارعها ، وينابيعها ، ودوابها . بل واكثر من ذلك ، يحس انه يعرف هؤلاء معرفة وثيقة ويعرف تاريخهم . وهذا الحال مع عالمنا الحديث الذى نعرف الكثير عنه بفضل اجهـــزة الاستقبال الموجودة فى كل منزل ، وبفضل الكتب والمجلات التى اصبح بمقدور كل واحد اقتناؤها وقراءتها .

ومن المؤكد ان المرء يقف فى نهاية الخط متلقيا فى الاغلب ما تبثه وسائل الاتصـــال الجماهيرى . نحن على اتصال بالعالم ، ولكن من طرف واحد وهو طرفنا . ووسائل الاتصال الجماهيرية المتوفرة الآن تسمح بتحقيق ذلك ، لاننا « نتلقى ونستوعب المعلومات المتدفقة علينا ، كاننا جهاز استقبال فى معظم الاحيان » . ومن هنا فان عصر الاتصال الجماهيرى المعاصر قد راى فيه البعض « عصر الاتصال الآحادى اى ذى الطرف الواحد » .

صحيح ان الواحد منا يستطيع ان يتوقف عن التعرض للتليفزيون او الاستماع للمذياع ، او يلقى بالجريدة جانبا ، ان لم يعجبه ما يقال او ما يعرض . وقد يرى البعض ان هذا امر سلبى ينتقص من دور وفعالية الاتصال الجماهيرى . لكن انتشار وسائل الاعلام بشكل كبير ، وفى كافة الدول ، وعلى مختلف المستويات ، يحد من قدرة الاعلام على تجاهل المرء كلية ، وتجاهل احاسيسه ومشاعره ومواقفه من القضايا المختلفة . فالاتصال الجماهيرى موجه اولا واخيرا للجماهير المختلفة بهدف كسب ودها وقبولها وليس رفضها . لذلك يعمل الاعلاميون على تحقيق هذا القبول والرضى . ولهذا نراهم يحرصون على ان يجيء عملهم متقنا ضمن مواصفات معينة تجذب الجماهير لهم ولوسائلهم . فوسائل الاعلام فى تنافس دائم لتقديم الاحسن القادر على جذب قاعدة واسعة من الجماهير . وكلما ازداد حجم القاعدة التى تتعرض لوسيلة معينة ولبرامجها ، كلما ازدادت قوة تلك الوسيلة : على الصعيدين المادى والمعنوى .

والمؤسسة الاعلامية التى تقذف برغبات جماهيرها عرض الحائط لا تلقى الا الفشل ويصبح مثلها مثل الذى يصرخ فى مدرج تخلو مقاعده من الناس فلا يسمع احد صراخه .

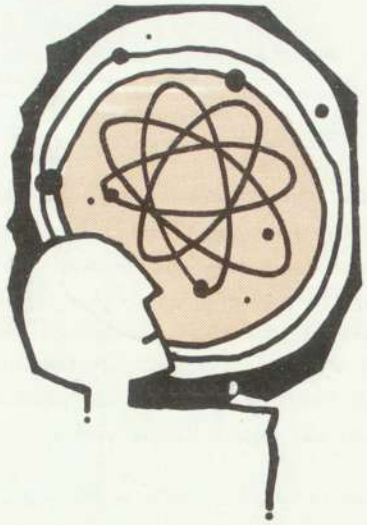
نخلص من هذا الى ان المؤسســـة الاعلامية مهمة اهمية المضمون الذى تنقله الى الجمهور ، وان الجمهور المستقبل لتلك المضامين يبقى فى النهاية هو المحك الذى يقرر نجاح المعروض عليه او فشله .

المؤسسة الاعلامية اذن بحاجة لجمهور يتعرض لها كما ان الجمهور بحاجـــة لمضامين ترضيه وتشبع نهمه للمعرفة والترفيه والنماء . وتزداد اهمية الجمهور فى وقت غدت فيه المؤسسات الاعلاميـة تعتمد الاستقلال الاقتصادى ، فهى اذن بحاجة لدعم هذا الجمهور ـ وخاصة عن طريق الاعلان . والجريدة التى تفشل فى بيع اعداد كافية يكون مصيرها افلاس اصحابها ، واغلاقهم لابوابها ، والاستغناء عن خدمات العاملين فيها .

من هنا فان عملية الاتصال الجماهيرى عملية متكاملة ، تتكامل فيها ادوار المؤسسة الاعلامية (المرسل) والمضمون المعروض (الرسالة) والجمهور المتلقي (المستقبل) ، فلا يجوز دراسة جزء من هذه الجزئيات الرئيسية للعملية الاتصالية بمعزل عن الجزئيات الاخرى . علاوة على ذلك ، فان فهم جزئيات هذه العملية كل على حدة امر ضرورى لدراس الاتصال الجماهيرى .

مقدم عصر الاتصال الحديث جعل من دراســـــة الاتصـــال الانسـانى (Human Communication) امرا لازما ، فاصبح فرعا اكاديميا تدرسه مختلف الجامعات ، وتقوم على ادارته نخبة متميزة من الباحثين والمفكرين ، يعملون بداب وجد لدراسة الوسائل والسبل لفهم طبيعة الاتصال الانسانى .

لقد ثبت الاتصال نفسه علما قائما بذاته مستقلا فى القرن العشرين ، خاصة وان قدرة وسائل الاتصال الجماهيرى ـ كالاذاعة ـ على اختراق الحدود الاقليمية جعل منها قوة عظمى ومؤثرة فى مجالات الدعاية والاقناع وابراز وجهات النظر



المختلفة ، مما حدا بتلامذة الاتصال لدراسة هذه الظواهر ومحاولة فك الغازها وجوانبها المعتمة للاستفادة منها بمحاربة الاعداء ، او فهم مقاصدهم . وتتسع دراسة الاتصال وتتشعب تبعا لاختلاف دارسيه وميادينهم فهناك الاتصال الذى يعنى بشؤون النفس ، والاقتصاد ، والسياسة والعلوم البحتة ، وغير ذلك كثير ، فمادة الاتصال الاكاديمية مرتبطة اذن بكافة الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية . من هنا ، فان دارس الاتصال يجب ان يكون متميزا بقدراته وامكاناته ليستطيع ان يلم الماما كافيا بجوانب المعرفة المختلفة . كاللغات والاداب والتاريخ وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والزراعة والاحياء والاحصاء وغير ذلك من علوم انسانية وفيزيائية ورياضية ، قد تزيد او تنقص تبعا لمقدرة الشخص واهتمامه وميدان اختصاصه العملى او النظرى . دارس الاتصال الناجح يجب ان يكون قادرا على فهم النفس البشرية من خلال التركيبة الاجتماعية ليستطيع ان يكون منتجا ناجحا ومؤثرا فى الاخرين .

قدرة الاتصال فى الاساس هبة من الله انعم بها على عباده وميزهم على غيرهم من المخلوقات . وبواسطتها يستطيع الانســان ـ منذ ايام الحياة الاولى ـ ان يتصل مع غيره ويتواصل ، وان يقترب من الناس او يبتعد عنهم ، بفضل القدرة على صنع الرموز ـ الكلمات والايماءات ، والاشارات ـ وتبادلها مع الآخرين لسبر اغوار نفوسهم وفهمهم وتفهيمهم ، لكن الاتصال الجماهيرى ، بفضل وسائل تكنولوجيا الاتصال الالكترونية ، هو انجاز انسانى حضارى يبين بجلاء قدرة العقل البشرى على الابداع . وكانى باجهزة الاتصال تعمل مثل جناح للانسان تحمله محلقة به فى الرحاب الواسعة ، حاملة اياه ليشاهد ما تعجز قدماه عن ايصاله له ، او حاملة له ما يشاء هو ان يشاهد او يسمعه وهو فى مجلس مريح فى المنزل محوطا بافراد اسرته ، ناعما بدفء البيت .

كذلك ، فان تطوير هذه الاجهزة الراقية لمؤشر واضح على ان الانسان فى الاصل انسان اتصـــالى ـ يسعى للاتصـــال والتواصل مع الناس اينما كانوا وبشتى السبل والوسائل .

وقد حقق الانسان هذه الرغبة ، وعلى افضل صورة ، فى عصرنا الحالى ، عصر الاتصال .

د. عصام سليمان موسى .

بقلم : جمال قطب

سيدة العصر والحرب والسلام

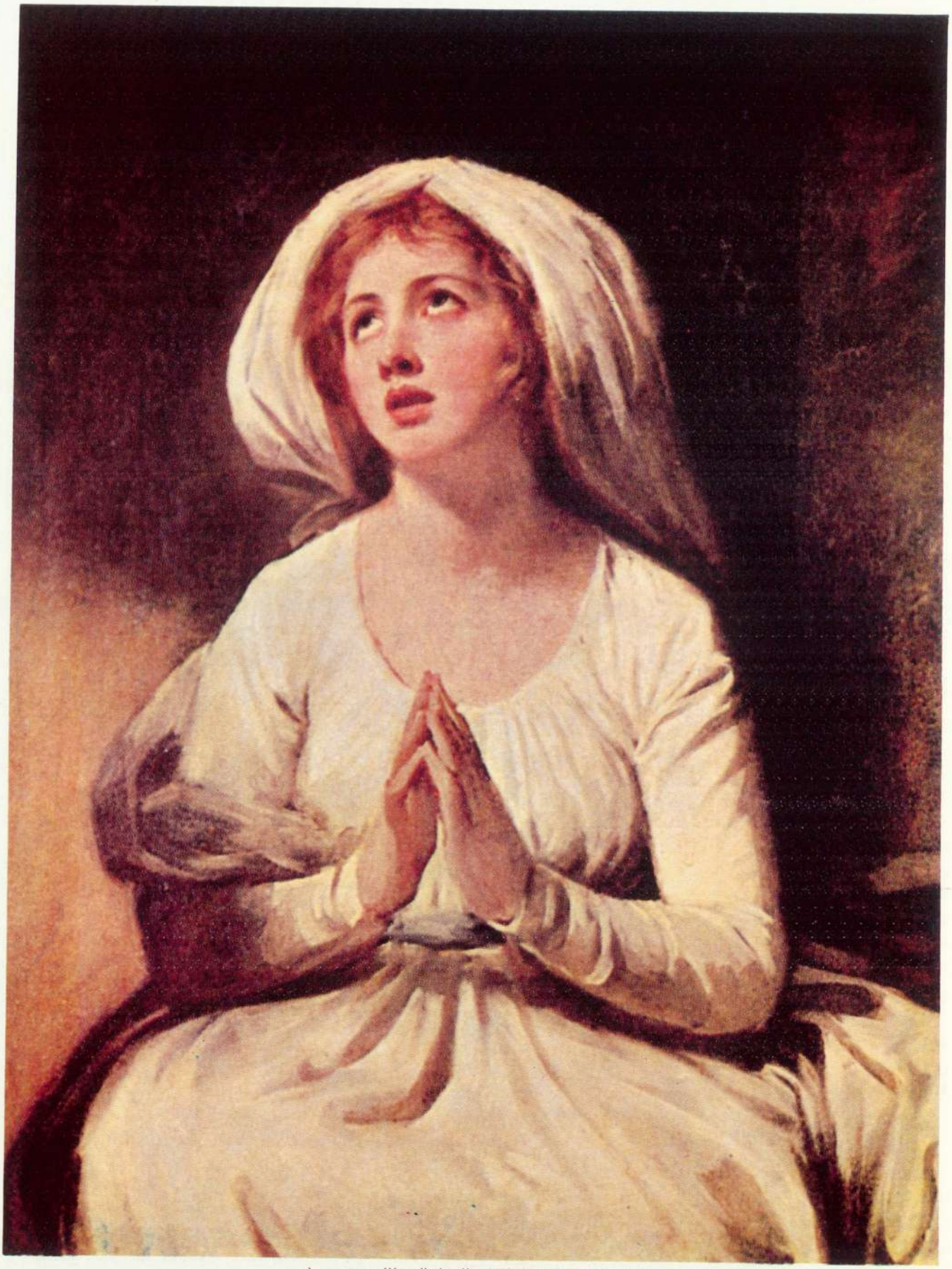


جورج رومنى – المع فنانى بريطانيا فى القرن الثامن عشر (١٧٣٤ – ١٨٠٢)

تاريخ مثير .. واحداث اقامت الدنيا واقعدتها وفي بريطانيا دولة التقاليد التي لا تغرب الشمس عن اراضيها ! يعقد برلمانها لمناقشة امر هام : كيف تستحوذ هذه الفاتنة على قلب سفير الامبراطورية العريقة ، فيهيم الرجل الوقور بها ، وتصبح اسرار البلاد في يد تلك الفاتنة تعبث بها كما عبثت بالسفير الكهل (وليام هاميلتون) ويضطر السير هاميلتون لعقد قرانه بهـا . لا لتنتهي تلك الاحداث المثيرة .. ولكن لتبدا احداث اخرى اكثر دويا ، تعلو اصداؤها حتى تعم العالم اجمع .. عندما اوقعت (ليدي هاميلتون) في شراكها الناعمة قائد اساطيل الامبراطورية – او قائد النصر كما كان يطلق عليه آنذاك – سير ادميرال نلسون ! وقصتهما معا طويلة غريبة .. تشعبت الى التحكم في مصير السياسة والحرب والسلام ،وفتحت لاحداثها صفحات التاريخ ولا يسعنا المجال لكي نسرد وقائعها مفصلة .. فلهذا مقام اخر .

واذا كنا قد بدانا من النهاية .. فلنعد الى الوراء بضع سنوات لنرى فنان بريطانيا الشهير (جورج رومني) وقد عثر على ضالته التي ينقب عنها .. لتكون نموذج ونجمة لوحاته العللية التي تاخذ مكانها اولا باول في اروقة المتاحف والمعارض . كانت مثالا للجمال وتفتح الانوثة ورقة المحيا واتقاد الذكاء ..

كما كانت ضائعة في قاع العاصمة البريطانية ، تنتقل بين حوانيتها وبيوتها بحثاعن عمل متواضع يقيم اودها ويحفظها من السقوط تحت الاقدام في ليل لندن القارس الطويل .. وجدها الفنان في منزل احد اصدقائه ، وصحبها الى مرسمه بعد ان بهر بمقاييس جمالها المثالي .. وعلى مدى اربع سنوات اخذ يرسمها ويستلهمها في كل اللوحات والرموز والموضوعات حتى بلغ مجموع لوحاته الكبيرة لها خمسا وعشرين لوحة .. وبضع مئات من الرسوم التحضيرية السريعة ... وكلها الآن محفوظة في اطر من ذهب في كثير من المتاحف والقصور والمحافل الرسمية . ومن مرسم الفنان ، ذاعت شهرة (اما – ليون) واصبحت سيدة من سيدات المجتمع الراقي في حفلاته وندواته ومعارضه وسهراته .. واصبحت الفاتنة محط الانظار في مختلف العواصم الاوروبية .. فقد كانت مراسم الفنانين العظام امثال رومني – هي وكالات الانباء المصورة في تلك الايام حيث تنقب عن الجمال .. وتبرزه فى اجمل صورة ، ثم تنشره على العالم على هيئة لوحات عالمية خالدة ! وهكذا تعرف عليها سفير بريطانيا في ايطاليا (سير وليام هاميلتون) ، فصحبها معه ، وحملت الاسم الكبير (ليدي هاميلتون) بعد ان تزوج بها في حفل اسطوري مهيب .. وفي بيت السفير بمدينة نابولي .. حط الاسطول البريطاني رحاله .. ونزل قائده نلسون ضيفا على سفير الامبراطورية .. وما إن وقعت عينا القائد على نجمة لوحات رومني .. حتى بدات قصة اخرى اثارت العالم حينذاك ، وقالت عنها الملفات الرسمية .. إنها إحدى قصص التاريخ المؤثرة في مسيرة السياسة والحرب والسلام .. ويرى القارىء على الصفحة المقابلة إحدى صور الليدي هاميلتون ، التي رسمها لها رومني ، وكانت سببا فى شهرة الفاتنة في كتب التاريخ ، وفي شتى انحاء العالم .

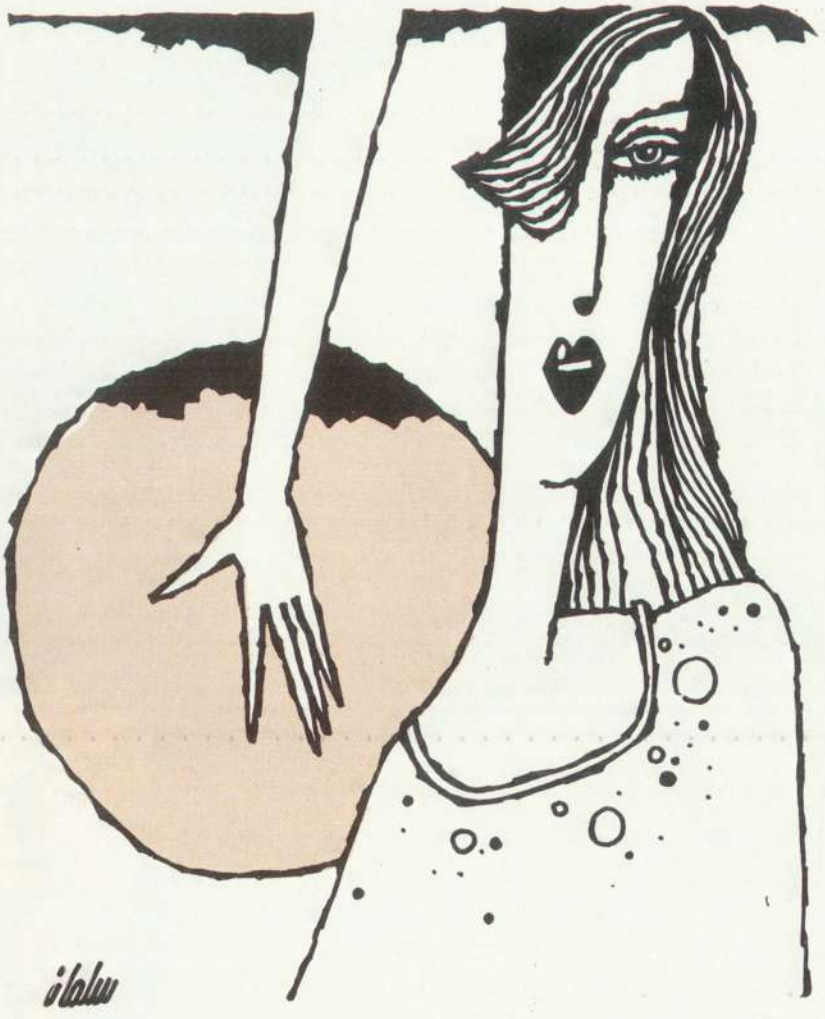


اماليون او « الليدى هاميلتون » للرسام البريطانى جورج رومنى .

● قصـــــة ●

شجرة السنديان العجوز

بقلم : كلثم جبر



(١)

ـ فاطمة .. يقتاتني الصمت ونظرات الريبة في عينيك ؟

« تفجر الوجع من الشريان اكتسح غربة القرية وعيون أطفالها المنطفئة » .

تماثل الأمل بداخلها ، ولكن همهمات قوم تتسلل .. وصدى الليل الهادىء يسقط ، وانعكاسات القمر فوق سطح البحر القريب جداً من هياكل القرية السوداء . تتمازج الهمهمات ونقيق طائر « النورس » من بعيد . تقترب الهمهمات ..

ـ فاطمة .. علينا بالاسراع الآن .

« يتوقف انبثاق الحلم من المسام » .

تقترب الهمهمات أكثر .. تفتح فاطمة فمها . تبدو أسنانها كاضواء لؤلؤية في أمسية بحار زاخرة .. يداه أسرع ، يغلق فمها . يسحبها حيث هو يطأ الأرض ،هى خلف التلة الجلمودية يحتميان .. تتضاءل الهمهمات وتختفي . يتنهد ويرفع متاريس يده عن الشهقة بداخلها .. يهمس ..

ـ فاطمة ؟

« ينبت في الخاطر السؤال . تطفو ذكرى الأمس بناظريها فيستوطن الفزع » .

ـ فاطمة ـ غداً ساعلمك بكل شيء . غادرى المكان الآن سريعاً .

« يجتث الفرح وينبت الأسى » .

تمد يديها رغم الظلمة ، تهزه بعنف تصرخ ..

ـ من ؟ كيف ؟

« تختصر السؤال » .

ـ أتوسل إليك فاطمة عودى الآن .

قدماها غابة رعب تشابكت أغصانها ،

انزرعت بالرمال الرطبة ، تنتزعها بقوة ، تحاول جرها .. عيناها بحيرتا الم . تتلعثم ذكرى الأمس بالذاكرة (يتجسد وجهه الأسمر وعيون الغرباء النهمة وهى تحصي اللؤلؤ) .

تنطفيء الذكرى .. فتهرول .. تركض .. تسقط فوق الأرض الرملية . ويحرس هو الطريق !

تتلاحق ظلالها وانعكاسات القمر حيث بوابة بيتها الطيني . تدفع الباب تحاول الولوج ، تستقبلها أجساد إخوتها الممددة فوق « الفرش » المتلاصقة تحت بيارق السماء سعياً وراء نسيمات رطبة وهرباً من لسع حرارة الداخل الساخنة . يسبقها صوت أمها ..

ـ طوال هذا الوقت تستدعين خالتك ؟

تلج للداخل .. تحمل فراشها تضعه فوق الأرض الرملية .. تتمدد فوقه مجاورة اجساد الصغار حيث انعكاسات القمر تغمر وجه أمها والفناء « يهمس الحـــــزن والرعب » .

ـ أعتذر أمي .. لم أجد خالتي لذا عدت متباطئة .

(٢)

تهرول وجدائلها السمر وجلدها البني تحت الشمس الحارقة تحمل وجعها وصحن الطعام حيث الباب الموبوء باقصى القرية والنخلة . تطرقه .. وتدلف .. تحتضن الكف العجوز . تضع طبق الطعام أمامه وتصمت . عيناه الضريرتان فى الظلمة تبحثان عن صوتها . يرتجف وصوته ..

ـ فاطمة ـ تبدين اليوم رغم العتمة فى عيني كشجرة سنديان عجوز تنتظر اقتلاع ريح هادرة لها أو السنة لهب أو ضربات فلاح حديدية ؟

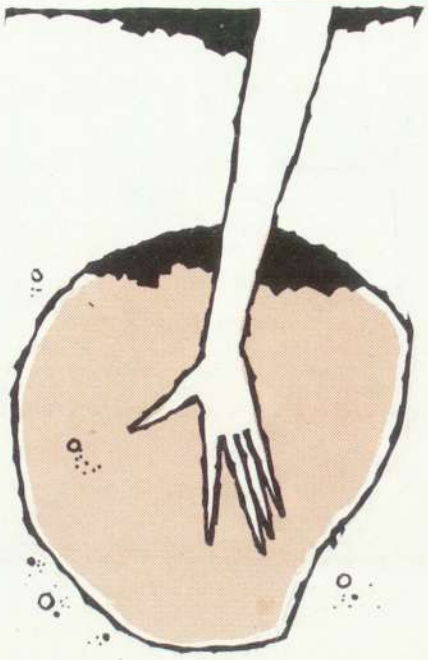
تهمس ..

« واللحظة الحلم تبرق فى الذاكرة » .

ـ انتظر وجه الحقيقة خلف الغيمة الممطرة متى يبزغ أزهر من جديد !

« يضمحل القاع وينسحق الفرح تحت أبيادر الريح » .

يعوى العجوز ..



ـ مذاق الصمت حنظلي الطعم والبوح محاولة انتحار فاشلة .

تحزم جدائلها وصحن الأمس الفارغ وتطرق الرمال الحارقة بقدميها يتلون جلدها البني والسؤال فى الخاطر تستنشق رائحة البحر من بعيد .

ـ فاطمة .

يلهث صوت خلفها تعرف وجهه الأسمر دون أن تلتفت تستشعره بجانبها . ترى وجهه الذى بات لا يحمل لوناً تحت الشمس ورابطة الدم تحمل انتماءه لها والتصاقه بها والقرية تهمس حينما تئن الصواري في الأمسيات الرطبة « بأن فاطمة محبوبته وزوجته القادمة » .

يلحق بها ..

ـ أعلم غضبك فاطمة .. لقد شاهدتك تلك الليلة رغم الظلمة وقلقي . ولكن ؟

« تطفو ذكرى تلك الأمسية الهلع ويتضاءل الحلم » .

ـ ولكن .. لن تستطيعي الفهم مهما حاولت الايضاح .

« تسقط فى الدهشة » .

ـ لذا عليك النسيان .

« يتهاوى الحزن داخل عروقها فتنزف مقتاً » .

تقترب من بوابة بيتهم الطيني . تنكسر نظرات أخيها الصغير تحت الشمس . تمسح قذى عينيه بطرف ثوبها وترفع وجهها إلى اللاهث خلفها ..

ـ ولكن .. اللؤلؤ الذى تداولته أيدى رهط الغرباء ويداك بتلك الليلة المدلهمة . حبات عقد مهر فرح القرية الذى أعلن عن سرقته . حيث لا فـــرح يعم القـــرية باختفائه ! !

(٣)

يتكسر الموج ويضرب دفة السفينـــة الراسية . تجاور الشراع وهمس العجوز المتحشرج يصلها متقطعاً ..

ـ فاطمة .. الا زلت كشجرة السنديان العجوز ؟

« يحصدها الغضب » .

لن أزهر بعد اليوم .

يبتسم العجوز ..

ـ قريباً يقام عرسك .

« تنغرس ذكرى تلك الليلة القادمـة المتوجةبدقات الطبول بجلدها بوحشية » .

ـ وجع القرية مهري .

يرتجف العجوز كشراع مزقته العاصفة وترامى بقايا فوق الشط ـ يفترش الرمل المبلل يلقي الموج برذاذه فوق حضنه يبلل ثوبه ووجهه ويردد ..

ـ متى نغرس مشاتل الحقيقة نحصد الصبار .

تفترش الرمل الرطب بجانبه ..

ـ أيدى البحاره معروقة . وظهورهم تعبة . والتنفيس تحت الماء أصبح مجهداً . وعدد الجثث القادمة يفوق الأقدام المبحرة وحصيلة عرقهم مهري .

يستقبل العجوز مزيداً من الرذاذ بحضنه ووجهه يهمهم وهو يغرس أصابعه المعروقة فى الرمل . يغرسها حتى العمق .. يسحب ذيل سمكة تعفن تحت الماء يسحقها باصابعه يتضاءل ..

ـ فرح القرية وعرسك ضدان .

« تهدر عزماً » .

ـ فرح القرية مهري .

يتساقط العجوز حزناً يلملم بقاياه ويرعد بداخله ..

« ستقتلعك الريح أو السنة لهب أو ضربات فلاح حديدية » .



المجلس

إنسان الخليج في لوحات فنان



عبد الله المحرقي .. فنان من البحرين .. اهتم في لوحاته بابراز موضوعات البيئة واحياء التراث .

بقلم : يوسف أحمد

لاشك أن الفنان عبدالله المحرقي باسلوبه المتميز واختياره لموضوعات البيئة كالغوص والقنص وحياة البحر وغير ذلك من العادات والتقاليد المتوارثة ، اصبح يمثل علامة فنية بارزة تختلف عن باقي الفنانين التشكيليين في البحرين !

انه فنان حشد كل طاقاته ووظف كل موهبته الفنية من اجل تسجيل بيئة البحرين بالفرشاة والالوان ، لاقتناعه بضرورة الاهتمام ـ اليوم ـ بتسجيل كافة الانشطة الانسانية التي كانت موجودة أيام زمان ، خوفا من أن يضيع احساسنا باهمية التراث مع مرور الوقت وزحمة الحياة العصرية !

واذا ما استعرضت أهم لوحاته ، لوجدت أنها تصور الحياة اليومية بادق تفاصيلها ، فهي تصل الى قلبك بسهولة ويسر خاصة وان اقتناعاته تؤكد أن الفنان مطالب بايصال مضمون العمل الفني الى المتفرج دون تعقيد أو دخول فيما يسمى بفلسفة اللوحة !

وهو عندما يتحدث عن أسلوبه في العمل الفني ، فانه يعترف بتعامله في البداية مع كافة الاساليب الفنية : الكلاسيكية والرومانتيكية والتاثيرية والسيريالية والتجريدية ... ثم خروجه بعد هذه التجارب باسلوب خاص ، يجمع بين الرومانتيكية والكلاسيكية !

والمعروف أن هذا الاسلوب ـ بالطبع ـ يلقى قابلية عند مجموعة كبيرة من المشاهدين ، فهم يرون انفسهم فيه ، ويتعلقون به ، ولهذا فان الكثير من البيوت في البحرين أصبحت تضم اليوم لوحة أصلية للفنان عبدالله المحرقي ، الأمر الذي يجعلنا نستطيع أن نطلق عليه لقب « فنان الشعب » لاننا نادراً ما نجد مثل هذا الاقبال



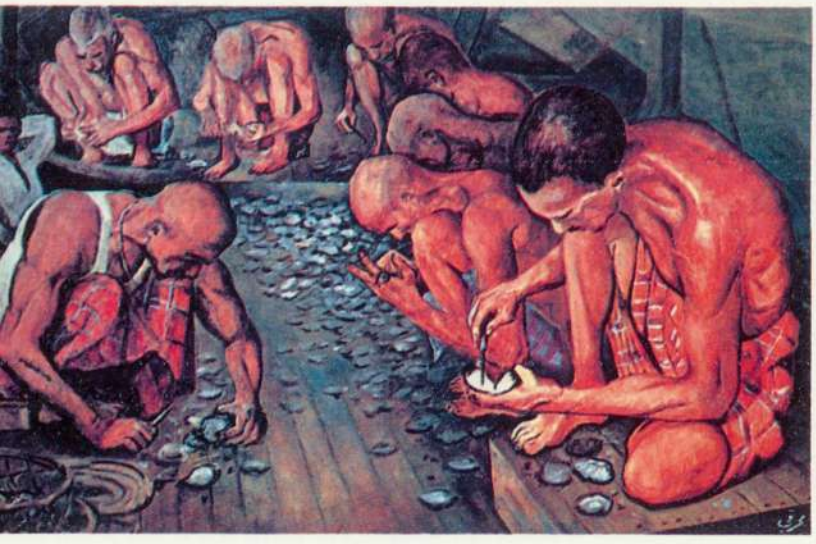
سباق الخيل



العطش



زي شعبى



فتح محار اللؤلؤ

الشديد على مستوى الشعب لاقتناء اعمال فنان في منطقة الخليج !

والمتتبع لأعمال هذا الفنان ، يدرك انه فى بعض الاحيان كان يتجه في اسلوبه الى التكعيبية ، وفي أوقات اخرى كنا نراه سيريالياً ، غير أن هذه الاتجاهات وغيرها كانت دائما لا تبعده عن روح البيئة ومعالجة الكثير من الموضوعات الانسانية !

وقد كانت رحلة الفنان عبدالله المحرقي فى الحياة غنية بالموهبة والاصالة ، ففى بداية حياته أحس بحب شديد للرسم منذ صغره ، كان عمره فى ذلك الوقت ١٢ عاماً ، أخذ يقلد اخاه الكبير وتمنى ان يصبح مثله ، وفى المدرسة الابتدائية كانت هوايته المفضلة هى رسم وجوه أساتذته وزملائه وأهله في البيت ، وبعد حصوله على الثانوية العامة من القاهرة رفض والده أن يلحقه بكلية الفنون الجميلة لاعتقاده بأن الفن لا يتناسب مع العادات والتقاليد ، لكن تصميمه على دراسة الفن أدى الى موافقة والده فى النهاية ليسافر الى دمشق ويلتحق بكلية الفنون هناك ، ويقضي معظم وقته دارساً للفن الاسلامي الغزير وتصميمات المساجد والأسواق العتيقة ، ومتأملا لصفاء المياه العذبة في قنوات الريف والخضرة الزاهية والطبيعة التي نمت في اعماقه حب الحياة والجمال !

وعاد الى البحرين وهو مشرب بهذه التجربة الفنية العريقة ، وبعد حصوله على درجة البكالوريوس عام ١٩٦٦ بتقدير امتياز !

وهنا اخذ يفكر في الاسلوب الذي سيخاطب به المتلقي للفن فى وطنه ، خاصة وان هذا المتلقي قد تنفره الصدمة الفنية من أي تعامل مع الفن التشكيلي !

وقرر أن يخاطب المتفرج مخاطبة مباشرة من خلال موضوعات تسجيلية تعيد اليه الأيام التي مازال الحنين اليها رابضاً فى اعماقه .. واستطاع بهذا الاتجاه أن يكسب



ام الزمام

إنسان الخليج في لوحات فنان

قلب وعقل المتفرج في البحرين ، وان تلقي أعماله الكثير من الرعاية والتقدير ..

واعطت وزارة الاعلام في البحرين لفنانها كل الثقة ،فعينته مستشاراً فنيا لها ، وتم تكليفه بتصميم طوابع البحرين البريدية واللوحات الرسمية للوزارة والوزارات الأخرى بعد أن كان نصيب الفنانين الأجانب كبيراً في هذا المجال !

وفي عام ١٩٧٠ أقام معرضاً خاصاً في لندن لأعماله الفنية ، وكان بذلك أول فنان تشكيلي خليجي ينقل بيئة الخليج الى رواد المعارض في انجلترا ، وظهرت اهمية هذا المعرض من الاقبال الشديد عليه وتعليقات النقاد الفنيين في الصحافة الانجليزية ، واجمعت الآراء وقتها على أن سر نجاح هذا المعرض يعود لسببين ! أولهما : التعرف على البيئة في البحرين من خلال أسلوب واقعي بسيط .. وثانيهما : الرغبة في اكتشاف سحر الشرق ، وخاصة في منطقة الخليج التي مازالت بكراً وتحتاج الى الكثير من التنقيب والبحث وراء جذورها التاريخية والانسانية ..

وقد اتبع هذا المعرض بمعرضين آخرين في البحرين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ ، لقيا من الجمهور كل ترحيب وثناء على هذا الجهد الرامي الى احياء شكل الحياة القديمة في لوحات فنية !

والمعروف أن الفنان عبدالله المحرقي لم يترك معرضا للفنون التشكيلية في دول الخليج إلا وشارك فيه بمجموعة من أعماله كما انه لا يوجد مكان عام في البحرين ـ اليوم لا يضم لوحة من لوحاته !

ومن بين الفنانين العالميين الذين تعلق بهم : سلفادور دالي الرسام الاسباني صاحب اللوحة المشهورة « سمك التونة » .. وكذلك مايكل انجلو بلوحاته التي تثير في النفس الدهشة والابهار !

أما على المستوى العربي فهو يميل الى الفنان النحات والرسام المصري صلاح عبدالكريم ، والرسام السوري محمود سليم والفنان العراقي الراحل جواد سليم !

وهو يري بأن الفنان الجيد هو الذي يهتم بالثقافة الرفيعة ويملك الاحساس الجيد والموهبة والصدق والقدرة على التعبير !

ولكن ما هو موقفه من الفن التشكيلي في الخليج ؟ ..

انه يرى أنه مازال متعثراً ، لقلة المتاحف ونقص الوعي الفني ونقص النقاد ، وقلة عدد المعارض المقامة سنوياً وهذا يستدعي الاهتمام بكل ذلك ، اضافة الى اهتمام المدارس بالكشف عن المواهب الجديدة وتوفير كافة السبل لرعايتها والعمل على تنميتها ، مع العمل على تنظيم مسابقات تخصص لها جوائز مادية كبيرة ، والاكثار من زيارة كبار الفنانين العرب والعالميين للمنطقة !

ثم لا يبقى إلا أن أقول إن هذا الفنان الذي يعشق الألوان الدافئة ـ وخاصة البنيات ـ يعتبر من أهم رواد الحركة التشكيلية في البحرين .. فهو عضو مؤسس في جمعية الفن المعاصر بالبحرين، وقد مثل الجمعية في عدة مؤتمرات ولقاءات عربية عادت بالكثير من الخبرة والتجربة على مستوى الفن والثقافة في البحرين ..

يوسف أحمد



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

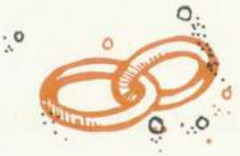
ما درجة حرارة الحيوانات

عندما نتحرك من مكان لآخر قد لا نجد اختلافا واضحا فى درجة الحرارة من حولنا ، ولكننا على اية حال لا نتوقع ان تتغير درجة حرارة اجسامنا ذاتها بتغير درجة حرارة المكان .. فذلك لا يحدث . لاننا من فصيلة حيوانية ذات حرارة ثابتة .. وتضم هذه الفصيلة معنا جميع الحيوانات ذات الدماء الحارة ، وجميع الطيور . ولكن هناك حيوانات تتغير درجة حرارة اجسامها بتغير درجة الحرارة من حولها وتنتمى إلى الفصيلة ذات الدماء المتغيرة الحرارة ، وتضم هذه الفصيلة الحشرات والثعابين والسحالى والسلاحف والضفادع والأسماك ، وتميل درجة حرارتها لأن تكون اقل قليلا من درجة حرارة البيئة ، فهى حيوانات ذات دماء باردة . نحن نعلم ان درجة الحرارة العادية لجسم الانسان هى ٩٨٫٦ درجة فهرنهايت ، ولكن هناك تغيرات عادية كثيرة تحدث فى درجة الحرارة فدرجة حرارة الجسم تكون فى اقل مستوى لها حوالى الساعة الرابعة صباحا ، كما ان درجة حرارة الجلد اقل من درجة الحرارة داخل الجسم ، وتناول الطعام مثلا يرفع درجة الحرارة لمدة ساعة او ساعتين ، وتحريك العضلات قد يرفع ايضا درجة حرارة الجسم ، والكحول يخفض درجة الحرارة الداخلية .

اما درجة حرارة اجسام الحيوانات فانها تتراوح بين ٩٦ درجة فى الفيل إلى ١٠٩ درجة فى الطيور الصغيرة ويمكننا ان نصنف الحيوانات حسب درجة حرارة اجسادها كما يلى : فمن ٩٦ درجة إلى ١٠١ درجة حرارة اجسام الانسان والقرد والبغل والجحش والحصان والفار والفيل ومن درجة حرارة ١٠٠ إلى ١٠٣ درجة حرارة البقر والغنم والكلاب والقطط والأرانب والخنازير ، ومن درجة حرارة ١٠٤ إلى ١٠٦ فى الدجاج الرومى والوز والبط والبوم والبجع ونسر الجيف ، ومن درجة حرارة ١٠٧ إلى ١٠٩ فى اجساد الدجاج والحمام وعديد من الطيور الصغيرة .

وكما يحافظ الانسان على معدل درجة حرارته ويمنع زيادتها بوسائل مختلفة فان الحيوانات تفعل ذلك بافراز العرق والتى لا تعرق منها تفعل ذلك باللهاث .

من أين جاءت فكرة خاتم الخطبة والزواج؟



من اقدم العادات الشائعة بين البشر جميعا خاتم الخطبة او الزواج ... ولا يدري احد متى بدات هذه العادة التي نجدها شائعة معروفة حتى في اكثر عصور التاريخ قدما ...

وقد تكون هذه العادة ذات مصدر فلسفي عريق .. فالخاتم دائرة .. والدائرة رمز الكمال ، وبالنسبة للزواج فانها تمثل الدائرة التي تحيط بحياة الشخص فتبدو كاملة تامة .. فباستطاعتنا ان ننظر الى اي رجل بلا زوجة او اية امراة بلا زوج على ان كلا منهما شخص حياته ناقصة .. وعندما يتزوجان فانهما يكونان وحدة كاملة ... تمثلها دائرة خاتم الزواج .

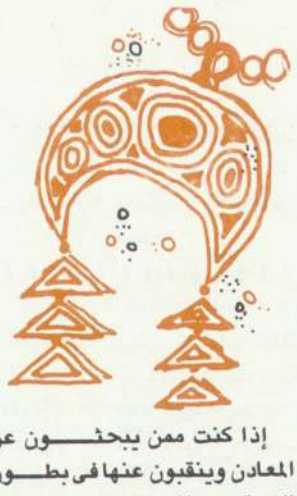
وقد يكون لهذا الخاتم صلة باعتقاد الانسان البدائي في السحر .. فقد كان ذلك الانسان ينسج حبلا او شبكة على وسط المراة التي ارادها .. وكان يعتقد ان طقوس الزواج تجعل روحها تحل في بدنه .. وانها صارت ملكه للابد

وقد شهدت منطقتنا العربية في مصر بدء ظهور عادة لبس خاتم الخطبة او الزواج .. فان الخاتم في الكتابة الهيروغليفية يعني الخلود .. وكان خاتم الخطبة او الزواج هو رمز الزواج الابدي .

ثم اخذ المسيحيون يستعملون خاتم الزواج حوالي سنة ٩٠٠ ميلادية .

ولكن بقي سؤال شغل الباحثين في تاريخ هذا الخاتم العريق هو لماذا يضعه الناس عادة في الأصبع الرابع ؟ ... ربما تعلم الناس ذلك من الاغريق الذين كانوا يعتقدون أن عرقا خاصا يصل هذا الاصبع بالقلب مباشرة .. ولكن الاحتمال الغالب أن السبب يرجع الى أن استعمالنا لهذا الأصبع اقل في العادة من استعمالنا للأصابع الباقية .. فوضع الخاتم فيه اكثر راحة وأروع زينة . ولعلنا نذكر ما كانت تعلمنا جداتنا ونحن صغار عن وظائف الأصابع وهي تلاعبنا حين تبدأ بالأصبع الصغير وتقول صغير وشاطر الى أن تاتي لهذا الاصبع فتقول لباس الخواتم .

ما الفرق بين الذهب الحقيقي والذهب غير الحقيقي



إذا كنت ممن يبحثون عن المعادن وينقبون عنها فى بطون الجبال .. فان الجواب يساوى الفرق بين الغنى العظيم والفقر المدقع .. فكثيراً ما عثر المنقبون عن الذهب على ما ظنوه ذهباً وطارت بهم الفرحة فى آفاق من احلام الثروة ولكن ما لبثت ان ذهبت الفرحة واحترقت الاحلام حين وجدوا بعد التحليل ان ما بنوا عليه قصور احلامهم ليس إلا معدناً عرف فيما بعد باسم كبريتور الحديد .. وقد خلط الناس بينه وبين الذهب الحقيقى الذى فى الصخور لأن الذهب الحقيقى يوجد غالباً فى عروق الصوان الشفاف او فى كتل كبريتور الحديد .. وتقوم الرياح والمياه بتعرية صخور الصوان وكتل الكبريتور فيتحرر ركاز الذهب الذى يكون نقياً تقريباً ثم تجرفه المياه إلى قاع الوادى فيختلط بالرمل والحصى ويسمى فى هذه الحالة الذهب الطميى (وهو الذى يعثر عليه بطريقة التعدين بالغسل) وهذا النوع من الذهب هو أول ما اكتشفه الانسان من الذهب الحقيقى . ويوجد الذهب أيضاً فى خامات المعادن الاخرى فخام الفضة يحتوى غالباً على بعض الذهب وكذلك يتحد الذهب غالباً مع خام النحاس الأحمر .. وحتى ماء البحر يحتوى على نسبة من الذهب ولكنها نسبة صغيرة جداً بالنسبة لكميات المياه الهائلة التى فى البحار والمحيطات .. لذلك لم يحاول احد فصل الذهب من مياه البحر ، ومع ذلك فان مياه المحيطات تحتوى على كمية من الذهب يقدرها العلماء بعشرة آلاف مليون طن تقريباً .. ولعل هذه الكمية الضخمة من الذهب تغرى بعض كيميائيى المستقبل فيعثروا على وسيلة رخيصة يستخلصونه بها من مياه المحيطات والبحار .

الجراح العربي الأندلسي أبو القاسم خلف الزهاوي وكتابه في الجراحة

بقلم: الدكتور أمين الطيبي

يعد أبو القاسم خلف الزهراوى رائد علم الجراحة عند العرب فى القرون الوسطى ، كما كان لمصنفاته فى الجراحة اثر كبير فى أوربا حتى القرن الثامن عشر ، حيث عرف باسم البوقاسيس Albucasis المحرفة عن كنيته (ابو القاسم) .

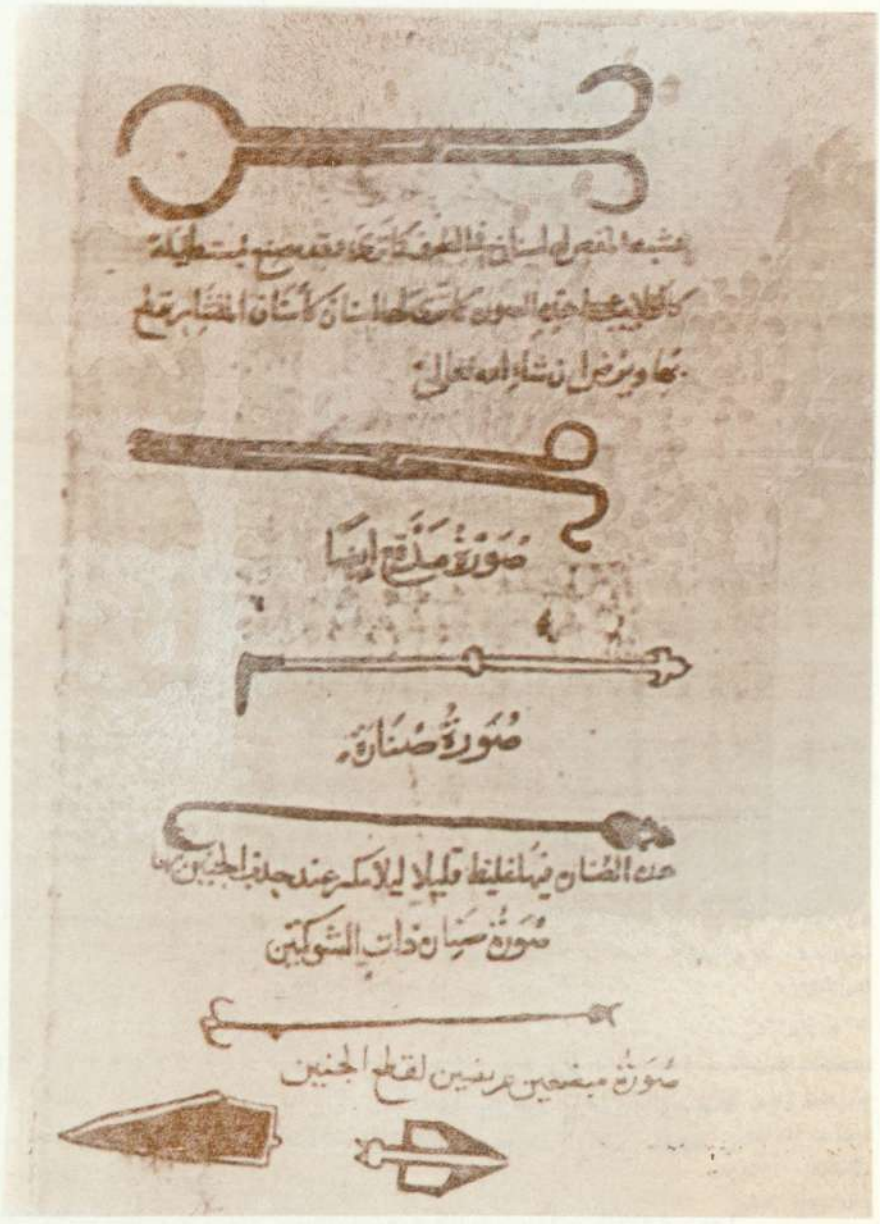
إن المعلومات المتوفرة لدينا عن حياة أبى القاسم الزهراوى ضئيلة ، فهو ينتسب الى مدينة الزهراء التى شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) على مسافة بضعة كيلومترات غربى قرطبة فى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م ، وعلى ذلك فان الزهراوى ولد بعد هذه السنة ، وزاول مهنة الطب فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلاديين ، أيام الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد . وكان طبيباً متواضعاً زاهداً ، فقد ذكر انه كان يخصص نصف نهاره لمعالجة المرضى مجاناً على سبيل الاحسان . وكانت وفاته ، كما يذكر الحسن الوزان . فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م .

يقول ابن أبى أصيبعة إن الزهراوى «كان طبيباً فاضلا خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة فى صناعة الطب ... منها (كتاب التصريف لمن عجز عن التاليف) وهو اكبر تصانيفه واشهرها ، وهو كتاب تام فى معناه» .

ويعتبر (كتاب التصريف) هذا بحق موسوعة طبية ، ، وقد ترجم الى اللاتينية وكثر اعتماد الناس عليه فى العصور الوسطى . وهو كتاب شامل عن الطب فى كافة فروعه بحيث لا يحتاج مستعمله الى غيره من الكتب . ويشتمل الكتاب على ثلاثين مقالة تتناول أولاها الأمزجة والأدوية المركبة والتشريح ، وتتناول المقالة الثانية الأمراض واعراضها وكيفية معالجتها ، وتتناول بقية المقالات المواد الطبية وإعداد الأدوية واستعمالها والأقراص والدهونات واللصقات الخ .. إلا ان أشهر فصول الكتاب المقالة الثلاثون عن الجراحة . وسرعان ما ذاعت شهرة كتاب (الجراحة) فى العالم الاسلامى ، وترجم الكتاب الى اللغة اللاتينية جيرارد الكريمونى فى طليطلة فى أواخر القرن الثالث عشر باسم Chirguria اى علم الجراحة . وكان للكتاب اثر كبير على الجراحين الايطاليين ثم الفرنسيين . وعد بعضهم صاحبه فى مرتبة ابقراط وجالينوس .

إن أول تحقيق لكتاب (الجراحة) . مع ترجمة لاتينية له ، ظهر فى اكسفورد سنة ١٧٧٨ م على يد جون تشاننج Channing إلا أن الترجمة لم تكن دقيقة ، إذ أن تشاننج لم يكن طبيباً ، كما انه اعتمد فى التحقيق على مخطوط واحد للكتاب . وقام الفرنسى لوسين ليكليرك Lucien Leclerc بأول ترجمة لكتاب (الجراحة) الى لغة أوروبية حديثة ، هى الفرنسية ، سنة ١٨٦١ م .

وقد اطلعت فى مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد مؤخراً على ترجمة انجليزية حديثة لكتاب (الجراحة) ، تعاون فى إصدارها مستشرق هو ج . ل . لويس G. L. Lewis وطبيب هو م . س . سبينك M. S. Spink ، وصدرت عن مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ . والكتاب يضم ٨٥٠ صفحة من القطع الكبير ، نشر فيه النص العربى محققاً وفى مقابله الترجمة الانجليزية ، مع مقدمة عن المؤلف والكتاب فى ثمانى صفحات . والكتاب يعتمد على سبع مخطوطات : اربع من



بعض الادوات الجراحية التى استعملها ابو القاسم الزهراوى فى العمليات الجراحية

تركيا ، واثنتين من مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد ، وواحدة من بطنا فى الهند .

يقول أبو القاسم الزهراوى فى مقدمة كتاب (الجراحة) : «وقد قسمت هذه المقالة على ثلاثة أبواب . الباب الأول فى الكي بالنار والكي بالدواء الحاد ، مبوب مرتب من القرن (أى الرأس) الى القدم ، وصور الآلات وحدائد الكي ، وكل ما يحتاج اليه فى العمل باليد . والباب الثانى فى الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام ونحو ذلك ، وكله مبوب مرتب وصور الآلات . والباب الثالث فى الجبر والخلع وعلاج الوثى Sprains ونحو ذلك ، مبوب مرتب من القرن الى القدم وصور الآلات» .

ويرى مترجما الكتاب أنه أول كتاب يتناول موضوع الجراحة بشكل يقبله العقل ، مع توضيح بالرسوم . ويقول الزهراوى إنه يستهدف إحياء فن الجراحة كما عرفه الأوائل ، وهو يجل الأوائل كما يفعل عند الحديث عن مجبرى العظام ، مضيفاً الى ما عرفوه حصيلة تجاربه الشخصية . إن الزهراوى يصف عمليات جراحية وأدوات لا تظهر فى ما وصلنا من الكتب الطبية القديمة ، وعلى ذلك فانه يمكن اعتبارها من ابتكاره ، او انها من أصل عربى .

إن كتاب (الجراحة) كان اهم واشهر كتاب فى تاريخ الطب كله فى العصر الوسيط ، وصاحبه اول مؤلف جعل الجراحة علماً قائماً بذاته ، مستقلا عن الطب ، قائماً على أساس علم التشريح .

إن الزهراوى يطالب الجراحين بالشيء الكثير حين يقول إن علم الطب علم طويل ، وان على الطبيب قبل أن يزاول مهنته ان يتدرب فى التشريح ، كما وصفه جالينوس ، لكي يكون على معرفة تامة بالأعضاء وأعمالها واشكالها وامزجتها ، وكذلك بكيفية ارتباطها بعضها ببعض ، كما ينبغى أن يكون مطلعاً تماماً على العظام والأوتار والعضلات وأعدادها وارتباطها بعضها ببعض ، وكذلك الشرايين والأوعية الدموية وما يتصل بها . وعلى ذلك فان الجراحة التى كانت الى عهد أبى القاسم الزهراوى مهنة يمارسها الحجامون والحلاقون أصبحت بفضله علماً ذا صلة وثيقة بالطب .

إن من بين ما استحدثه الزهراوى فى الجراحة والعمليات الجراحية ربط الشرايين بخيوط الحرير . كما ابتكر آلات دقيقة جداً لانسداد فتحة البول الخارجية عند الأطفال الحديثى الولادة ، من مشارط وموسعات ، وابتكر حقناً مختلفة لغسيل المثانة ، كما وصف مختلف جراحات استخراج الحصوات .

د. أمين الطيبى

مصادر البحث ومراجعه :

ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ .

انخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ .

مرسي محمد عرب : لمحات عن التراث الطبى العربى الاسكندرية ١٩٧٥ .

Albucasis, **On Surgery and Instruments,** ed. and tr. into English by G. L. Lewis and M. S. Spink, Univ. of California Press, 1973.

Ullmann, Manfred, **Islamic Medicine,** Edinburgh 1978.

يوسف إدريس يتحدث إلى
الدوحة "بصوتٍ عالٍ"

الإنسان في عالمنا بائس جدًا لأنه ليس مطلوبًا منه أن يفكر!



د. يوسف ادريس

أجرت الحوار: فوزية رشيد

يتفرد د. يوسف ادريس ككاتب بانه مارس الابداع فى مدى واسع من الزمان والوسائط الادبية المتصلة فيما بينها باكثر من وشيجة : فهو قاص وروائى ومسرحى وكاتب مقالة .. الامر الذى يضفي على اي حوار معه تنوعا وثراء وجدة .

وهو فى هذا الحوار الذى خص به «الدوحة» يتناول جدواه كاديب ، ودور الكتابة ، وما يرتبط بالتحديث فى الأشكال الادبية ان قصرت على التكنيك وحده من تغريب للقارىء وللكتابة ، وسائل اخرى متعلقة بواقع الأدب والثقافة والتعليم والاعلام فى العالم العربى ..

● انطلاقا من واقع الانسان العربى أمام هذا الكم الهائل من التناقضات الموجودة .. ما هى التوليفة النفسية الخاصة ليوسف إدريس تجاه ما يحدث ؟!

– هى توليفة نفسية أخذت وقتا طويلا جداً لكى أتقنها وانضجها . انا دخلت الأدب من قلب الحركة الوطنية وليس عن طريق القراءات فى كلية الأدب مثلا ... كنت من زعماء الجامعة ومن زعماء الكفاح المسلح والحركة الوطنية من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ أيام الثورة ، وثم اعتقلت ، فلم يكن هناك اهتمام سياسى إنما اهتمام بالوطنية مستمر ولازال موجوداً . وكان لي شعار أن الكتابة هى وسيلة لتنبيه البطولة فى الانسان ، ولهذا اتخذت شعار أن الذى لديه كلمة طيبة فليقلها والذى ليس عنده فليصمت لأننا لسنا بحاجة الى كلمات تحبطنا ، فنحن محاطون باحباط الواقع الموجود والاحداث والمشاكل الموجودة . وليس معنى قول (تنبيه البطولة فى الانسان العربى) أن أكتب أدب شعارات أو أدب بطولات خارقة ! البطولة هى الشعور البطولى ... الشعور النبيل الذى فعلا يصنع بشرية راقية وإنساناً عربياً راقياً ... لاننا كعرب يكفينا تفاخراً بانفسنا وباننا شعب كذا وكذا وامجاد وبطولات الماضى . نحن لدينا عيوب كثيرة جداً على المستوى الفردى وعلى المستوى الجماعى ويمكن على المستوى الجماعى أكثر مما هو على

المستوى الفردى ، لذلك فنحن بحاجة الى تنبيه الأجهزة الحساسة . ليست الكتابة عن الاحباطات بطريقة الرسائل الى الذات التى هى موجودة فى معظم الشعر العربى كلها رسائل للذات وحتى عند مهاجمة أو تعرية أوضاع يبقى الموقف من الأوضاع ضعيفاً أو أن الأوضاع اقوى منهم ، فى حين انه ككاتب أو كشاعر يجب ان يكون سليماً أولا حتى يستطيع أن يمثل السلامة أو الصحة فى المجتمع . ولكن لأن كثيراً جداً من الكتاب يكتبون عن عجز على المستوى الذاتى أو عن خيبة أو فشل فى الحياة فكتاباتهم تعطى مفعولا محبطاً وبالتالى تصبح عبئاً على القارىء اكثر مما تساعده . الكتابات الجديدة ذاتية اكثر مما يجب وهذا نوع (محترم وكويس) ولكن الانسان العربى فى هذه الفترة بحاجة الى المشاركة أكثر منه الى الاعتراف لأننا إذا اخذنا كلنا نعترف فسندخل فى دوامة رهيبة ، فمشاكلنا كثيرة جداً على المستوى الشخصى وعلى المستوى العام فالكتابة التى يحتاجها الشعب العربى فى هذه الفترة هى كتابة المشاركة يعنى ان يكون لدى الواحد ما يشارك به مع الآخرين ، فما كان يساعد هذا وينضجه أن تكون هناك حركة نقدية ناضجة جداً تأخذ مما لدينا من البذور الطيبة والناضجة والنادرة وتمحصها وتجعل منها الصوت المسموع فى الحركة الأدبية فى الوطن العربى ولكن مع الأسف ليس لدينا حركة نقدية ناضجة الى الآن !

● قلت فى سياق حديثك اننا بحاجة الى تنبيه البطولة فى إنساننا والى كتابة المشاركة فهل قصدت الدخول الى ما يحيط هذا الانسان العربى من إحباطات والخروج بشىء مضيء . أى بمعنى آخر مسك الخيط المضيء فى نفسية الانسان دون الدخول فى الاحباط الى القاع ؟!

ـ هذه النقطة دقيقة ومهم جداً شرحها . فليس معنى الجزء الايجابى أو الايجابية أو البطولة أو الصحة هو افتعال شىء أو وضع حلول من عند الكاتب .. حلول طفولية ... لا ... هناك بطولة موجودة فى الحياة ، من خلال حركة الحياة ذاتها وحركة النماذج . وتفاعلها بما يحيطها ... هناك فى كثير من الأحيان قصص وروايات تعالج نماذج من الحياة وقصصاً واقعية ، ولكنها تنتهى دائماً مفبركة تكرس سلبيات معينة ، رغم أن أمثال تلك النماذج فى الحياة ربما تكون أكثر إيجابية فى مواجهتها لما يحيطها ولظروف حياتها ... هذه الايجابية هى التى أقصدها وهى الجانب الطيب والمضيء فى الانسان ، فليس الانسان فقط ضحية يرثى لنفسه ويعيش العجز . انا مثلا أسمى فشلى نجاحاً أو تجربة نجاح مؤجلة ، فما أفشل فيه اليوم قد أنجح فيه فيما بعد .

● يوسف إدريس كأحد أهم الأصوات المبدعة فى فن القصة القصيرة فى الوطن العربى .. ماذا تعنى بالنسبة لك القصة القصيرة وما هى الفنية المطلوبة التى تعتقد أنك استطعت أن تمسكها فى كتابتك القصصية ؟!

ـ انا لست افضل من يجيد التكلم عن كتابته . فى الواقع انا لا أعرف كيف أكتب أو كيف اختار . هناك باستمرار بعد غير مدرك فى الكتابة أو غير واع ، وهذا هو البعد الأساسى لدى الكاتب وهو محتواه الانسانى غير الواعى والذى يبادل به نفسه من خلال كتابته . من الجائز أن لا يكون فى وعيه التام أو أن لا يكون محدداً لهدفه بالضبط ، أى أن أكتب لكى أعمل كذا وكذا أو أصور وأقول كذا ... هذا يكون أقل الأبعاد بروزاً ، إنما البعد الغير واعى أو البعد الكونى نستطيع أن نسميه «البعد الأساسى فى الكتابة» وهذا بعد لا يمكن التحدث عنه إلا بعد فترة طويلة وبعد تناول النقاد له وبعد مناقشات لكى يعرف الكاتب الأبعاد التى ينطلق منها فى الكتابة الشىء الثانى أن لدي اعتراضاً صغيراً على مسألة أننى أعلى الأصوات فى كتابة القصة القصيرة ، ربما لأننى لا أحاول أن أكتب قصة ولا قصة قصيرة ! لأن دعوتى فى القصة القصيرة أنه هو الشىء الذى تقراه ولا تحس انه قصة ولا تحس أنه قصيرة ... فالمسألة ليست بالحجم أو بالنوع ، المسألة هى رؤية أو تجسيد لعالم خفي يراه الكاتب ثم يضع جزءاً منه أو يضعه كله فى سطور قليلة ، فالموضوع ليس موضوع قصر أو طول ، وليس موضوع حرفة أيضاً ، أى أن يكون متمرناً على كتابة القصة القصيرة . ولا موضوع تكثيف أو تركيز . وإنما هو موضوع القدرة على تلك الكتابة أو الموهبة لأننى فعلا لا أكتب قصة ولا أكتب قصة قصيرة ! أنا أكتب أشياء معينة لا أعرف ما هى ، يسمونها قصة قصيرة ! إنما هى أشياء أشعر بها تماماً وتصبح حقيقة بالنسبة لي أكثر من الحقيقة فأكتبها . وهذا اختبار للحقيقة وليس للواقع مع أن هناك بعض الناس تتصور اننى أكتب عن الواقع !

● هل تقصد أن ما تكتبه يعتبر قمة الالتحام بالفن ذاته والذى يجسد الحقيقة التى انت تراها ؟!

ـ أقصد الالتحام بالعالم الداخلى أو النظرة التى أرى بها العالم .

● كلامك هذا يدفعنى الى أن استوضح رأيك فى التيارات أو الاتجاهات الأدبية السائدة فى الأدب ؟

ـ انا عندى **مقياس** واحد لنشر القصص ! ... عندى قصص لم أنشرها ، وهناك قصص بقيت لدى أكثر من ١٥ عاماً ، لأن المقياس عندى واحد وهو يقول ان هذه قصص تهم القارىء وهذه قصص لا تهم القارىء ، وهل هذه قصص ذات جدوى فى نشرها أو لا . وليس مهماً أن أبدو كاتباً فى نظر القارىء ، ولكن المهم او السؤال الذى يصبح ملحاً عندى هل هى مفيدة للقارىء قبل أن تكون مفيدة لدي ككاتب . يمكن هذا هو المقياس !

● الاتجاهات ... ماذا عنها ؟!

ـ اما بالنسبة مثلا للاتجاهات الموجودة أو التحديث فى الأدب كجزء أكثر خصوصية ... فهناك محاولات جيدة جداً ولكنه للأسف كثير منها انعكاس للتحديث الحادث فى أوربا فتكون النتيجة أنه عندما يحدث تحديث يحدث تغريب ! يعنى أن يصبح القارىء غريباً عن القصة أو القصة غريبة عن القارىء . وإذا كان لي أن أتحدث عن فن القصة بشكل عام وليس عما أكتبه أنا ، فأنا أعتقد أن المحور الأساسى لمحاولة القصة القصيرة **هو** كيف يقبض الانسان على الجزء الذى يصنع منه الكل ، بمعنى أن ليس كل جزء يكون قابلا للكتابة عنه ، وإنما أنا آخذ واحدة من خلايا الجسم البشرى أو آخذ موقفاً واحداً ولكن من خلال هذا الجزء أو الجزيىء يتجسد كل معين . فالموضوع فى القصة القصيرة هو أهم شىء وليس التكنيك ، لأن التكنيك يصبح نتيجة من نتائج اختيار الموضوع . ولكن فى بعض الأحيان يصبح العكس هو السائد فيقول أحدهم أنا سأختار لأكتب بالعامية مثلا لكى يصبح هذا تكنيكاً جديد ! الفكرة أن الموضوع ربما لا **يكون** شيئاً مهماً بالنسبة له لأنه حتى لو اختار موضوعاً مهماً وأحدث له تكنيكاً جديداً مهما يكن وباى لغة تكون فيصبح مهماً لدى القارىء ، فالأساس ليس فقط فى القصة وإنما فى القصة أو الرواية أو المسرحية أو السينما أو المقالة ... الأساسى فى كل هذا هو الموضوع .. هل هناك موضوع يستحق

يوسف إدريس يتحدث إلى الدوحة "بصوتٍ عالٍ"

أن يجند الكاتب نفسه لكي يكتبه ويجند القارىء نفسه لكى يقراه وتجند المطابع نفسها لنشر مثل هذه الكتابة ؟! من المفترض لدي أن يكون مقياس كتابة القصة القصيرة هو مشكلة حياة أو موت ! هل هذه مشكلة حياة أو موت أم لا ؟ إذا لم تكن كذلك فلا داعي لكتابتها ! لأن هناك أيضاً بعض الناس تعتبر الكتابة بديلا عن الفعل أو بديلا عن العمل فقط ... لا ... الكتابة فعل والكتابة عمل ! يعنى أن أكون خائفاً من أن أستشهد ثم أكتب قصة عن شهيد ! هذه لن تخرج قصة عن شهيد لأنها ستخرج قصة مصطنعة . إذا لم أكن أنا أشعر أو أحس وأنا أكتب مثل هذه القصة باحساس الشهيد وهو مقدم على عملية انتحارية فعلا أى أنه يعرف انه سيموت وهو مقدر لهذا وشحن نفسه بالانفعال النفسى الكافى للاقدام على هذا العمل ... طبعاً بدون هذا تكون الصورة مصطنعة . فالكتابة سواء كانت شعراً أو قصة أو رواية ليست بديلا عن الفعل ولا هى (بدل فعل) وإنما هى فعل ويجب أن تكون كذلك وعودة للرد على سؤالك ومن جانب اخر أقول مثلا ان التحديث فى الغرب أصيل وجاء ليعبر عن أزمات مجتمع حديث تجاوز أزمات مثل الجهل أو الجوع المادى أو العاطفى أو النفسى .. تجاوز هذا الى الوفرة . فياتى إذا لكى ينمنم الحياة بالطريقة الحديثة وهذا يعبر عن احتياج فى المجتمع الغربى وبذلك هو بحاجة الى التحديث الذى أصبح مفرطا فيه لديهم أيضاً ... ولكن نحن قضايانا الأساسية لم تحل فكيف ناتى لكى نستعير أشكالا لا تعبر عن قضايانا . هذا يكون مثل امراة لا تجد رداء يسترها أو يستر عورتها وتريد أن تذهب الى الكوافير لكى يصفف شعرها ! وهذا رأى ليس تقليدياً وإنما هو أيضاً رأى حديث ودعوة الى التحديث وإنما تحديث فى الموضوع ، لأن الموضوع الذى نطرقه ويخص العالم العربى يشمل مواضيع حديثة حتى على المجتمع العالمى ، بدليل انها تترجم وتنشر هناك ويقراونها بشغف شديد جداً ويعتبرون أن القصة القصيرة فى العالم العربى مزدهره !

اذا كان تشيكوف او موباسان او غيرهم اشتهروا بانهم كتبوا موضوعين او ثلاثة كانت حديثة على الأدب الاوروبى الفرنسى أو الانجليزى مثل قصة تشيكوف عن الرجل (العربجى) سائق العربة الذى لم يجد أحداً يحدثه عن موت ابنه فاخذ يحدث الحصان فنحن قدمنا الى الادب العالمى مئات من المواضيع الحديثة جداً عليه ، وحتى بالنسبة لنا نحن فهذا هو التحديث الحقيقى ، التحديث فى الموضوع ، والشكل ياتى ليكون جزءاً مكملا له . كان لدى مثلا قصة قصيرة عن طفلة (خدامه) تحمل صينية فواكه وتعبر الشارع وهى من أوائل القصص التى كتبتها .. هذه القصة وجدتها ترجمت الى الروسية والامريكية وأصبحت تدرس فى الجامعات لديهم فى الوقت الذى ليس لديهم أطفال يعملون خدامين ! ولكن لأن الموضوع كان صادقاً وجديداً فهم يقراونه ويهتمون به .. فلو مثلا اهتممت بالتكنيك الجديد فى وصف هذه الخدامة وهى تعبر الشارع ، وبالشكل دون الاهتمام بمشاعرها وهواجسها النفسية .. لم تجد من يشعر بها أو يهتم بها !

● ما هو موضع النقد بالنسبة للحركة الأدبية قى مصر أو فى الوطن العربى .. ثم ما هى حدود أزمة النقد فى تصورك ؟!

ـ الأدب بشكل عام قد تراجع دوره القيادى فى العالم العربى ، الأدب لايقود العالم العربى ولا يقود الانسان العربى . الذى يقود هو الاعلام . وسائل التليفزيون والراديو والسينما والتى هى وسائل غير علمية وغير جادة . ثم أن الفكر العربى حالياً فكر مشتت ومهلهل وموزع بين حروب فكرية صغيرة جداً وتافهة .. من ملك القصة القصيرة ومن ملك الرواية .. ومن امير الشعراء الى آخر هذا الكلام والتقييم السقيم غير المجدى . والمفكرون أو النقاد لايقدرون حجم المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتق الكاتب أو الشاعر فى هذه الفترة الحرجة وبالتالى فهذا جزء من الهلهلة السياسية الموجودة فى العالم العربى . فنحن محكومون بنفس الأوضاع التى تحكمنا سياسيا وأدبياً وفكرياً . واقول إن لهذا الجانب السيء جانبا حسناً وهو أنه من هذا الركام ستنشأ قيم وأفكار جديدة شجاعة جديدة وبعقل أكثر استنارة بكثير لأنه بصراحة فان الواقع الموجود حالياً وعلى الصعيد الذى يراه الانسان بوضوح هكذا لايوجد أي أمل ! إنما الأمل موجود فيما هو غير مرئي . وطبعاً بجانب القيادات المخلصة لابد من وجود حركة فكرية وثقافية وفنية مخلصة أيضاً من أجل أن تستطيع أن تنقذ الشعب من ترهلاته الكثيرة ومن ظروفه السيئة .

● رأيك فى القصة القصيرة فى مصر ؟

ـ هناك ازدهار كمي وكيفي الى حد ما ... ولكن أيضاً القمة النامية فى القصة القصيرة يجب أن تكون تجاه اختيار مواضيع جديدة واكتشاف الواقع العربى واكتشاف النفس الانسانية العربية والمصرية وهو اكتشاف لا يقل أهمية أو خطورة عن أى اكتشاف علمى . نحن نريد مكتشفين فى هذه النفس وليس كتاباً فقط . مكتشفين يكتشفون لنا أنفسنا ونفسياتنا ويحدثونا عنها . ولكن للأسف لدينا عدد كبير جداً من الكتاب ولكن الكثير منهم يفتقر الى هذا العنصر الهام فى الكتابة .

● سبق وأن طرحت فقر الفكر وفكر الفقر كتعبير بديل عن أزمة الفكر وفكر الأزمة ... كيف يتجسد تعبيرك هذا بالنسبة للثقافة والأدب فى الوطن العربى ؟

ـ أولا أنا حددت الفقر بانه ليس فقراً مادياً ... العالم العربى لا يعانى الفقر المادى بالشكل الموجود مثلا فى الهند أو بعض دول جنوب شرق آسيا . ولكن فى تلك الدول رغم فقرها المادى حياة روحية عالية جداً التفكير الديني والانساني لدينا كان تفكيراً خلاقاً وتفكيراً به اجتهادات خطيرة جداً ومهمة لدرجة أن الغرب المسيحى كان يترجم ويدرس ابن سينا وابن رشد وغيرهم كاساتذة كبار ولكن النتيجة أن لدينا تفكيراً فقيراً ونتيجة هذا أيضاً فقر فكرى ... وهناك دائرة متصلة ... الغنى الفكرى يؤدى الى غنى حضارى وغنى روحى فى الانسان نفسه ... فالانسان عندنا فقير ، فقير فكرياً .

● من خلال ما قرأت لك فى نفس الموضوع يتضح لي أنك أرجعت هذا الفقر الفكرى لسبب افتقاد الديمقراطية فى العالم العربى ؟!

ـ أجل .. لحد كبير وليس فى ذلك شك . هناك علاقة جدلية وهى أن الديمقراطية تحتم أن يكون للانسان رأي فيضطر المواطن فى دولة ديمقراطية مثلا ان يقرأ لكى يكون له رأى . فاذا كان فى العالم الغربى يضطر أن يختار المواطن بين مسز (تاتشر) مثلا وبين مرشح آخر لحزب العمال فانه يضطر بالنتيجة ان يقرأ لكى يعرف الفرق بين حزب العمال وحزب المحافظين ويضطر أن يقرأ فى فلسفة الاصلاح وتاريخ نقابات العمال فى انجلترا ، وبالنسبة لحزب المحافظين يضطر أن يقرأ فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وإذا كان ناخبا

يريد أن يروج لرأيه فانه يضطر أن يتسلح بالرأى والاطلاع ... والمرشح أيضاً يضطر لذلك لكى يدافع عن آرائه فى المجالس التى يرشح نفسه لها والكاتب الصحفى الذى يعمل فى جريدة ما ولديه حرية الكلمة لكى لا يصبح جاهلا ويدلى بآراء عشوائية يضطر أن يطلع أيضا باتساع . إذاً فأساس الفقر الفكرى لدينا هو الفقر الديمقراطى الذى نعانيه بالضرورة

● أى أنه من جانب آخر مكمل لما قلته ان ما تعانيه الثقافة العربية بشكل أكثر خصوصية من اختناق هو نتيجة انعدام المناخ الديمقراطى الملائم لتفتح الثقافة .

ـ هذا صحيح .. ولو أردنا تخصيصاً أكثر كمثال ... فلنمسك مثلا حياة أسرة عربية ... ماذا تفعل ؟ تفكيرها منصب بالدرجة الأولى فى أن توفر لنفسها أول بديهات الوجود الانسانى وهو البحث عن اللقمة ... أى أن تأكل لتمسك الجوع ... ولكن ثم ماذا ؟ هل هذه حياة روحية ؟! لنقارن ذلك بحياة أسر تتواجد فى أجواء أكثر إنسانية من أجوائنا ، يصبح الغذاء هامشياً ويمثل الاستمتاع بالحياة الفكرية والترفيهية والثقافية نطاقاً أكبر . إذاً بالنسبة لنا فلازلنا لم نخرج عن إطار الحياة الحيوانية ! لدينا مثلا لا توجد أسر تخطط لكى تذهب الى مسرح ما ، فيضطر المسرح أن يقدم شيئاً جيداً يرضى مشاهديه أو روّاده المنتظمين ، المسرح لدينا أصبح ذا مستوى رديء وانخفض مستواه حتى الى أيام ما قبل شكسبير مثلا ، والذى كان يعرض هناك قبل ٥٠٠ عام . فاذا عرض اليوم شكسبير عندنا فانه لا يجد جمهوراً ! لماذا ؟ لأنه أرفع ثقافياً من مستوى المسرح المعروف حالياً لدينا فى البلاد العربية والذى اعتابته الأغلبية .. وأرفع من مستوى المسلسلات التليفزيونية (موضة الثقافة اليوم) ! فحياة الأسرة المتوسطة أو العاملة أو حتى الغنية فى البلاد العربية حياة فقيرة جداً .

● من جانب آخر هذا راجع الى عدم وجود الوعى الكافى وبسبب انشغال الناس بما هو معمم وما هو موجود فى الواقع ذاته من أوجه قصور كثيرة مما لا يتيح أن يكون هناك مجال للانسان لكى يفكر فيما حوله من مصادر للجمال أو حتى أن يفكر فى الغاية من وجوده فى هذه الحياة ، وبالتالى أن يفكر فى اللفن أو فى الأمور التى تجعله بالفعل إنسانا مفكراً ومتذوقاً للفكر والثقافة والفن .

ـ الانسان فى عالمنا بائس جداً ! لأنه ليس مطلوباً منه أن يفكر ! ليس مطلوباً منه أن يفكر فى مشاكله لأن القوانين هى التى تضع الحلول لمشاكله حسب ما تراه ! وليس مطلوباً منه حتى أن يفكر فى اختيار طريقة تعليم أولاده لأن التعليم موجود وهو لا يختاره أيضاً ! وهذا التعليم فى النهاية يجعل الانسان باختصار غير متعلم لأنه لدينا نمط واحد من التعليم يخرج أناساً جهلة وليسوا متعلمين ! حتى عندما يأتى إنساننا لكى يختار كلية من الكليات فليس المطلوب منه أن يفكر لأن الكمبيوتر يدخله الكلية حسب درجات المتقدم ! فالعقل غير مستخدم فى كل أدوار الحياة ! ولكل أفراد الأسرة أطفالا كانوا أم كباراً !

● رأيك فى الثقافة المصرية فى السنوات الأخيرة ؟

ـ حدثت أزمة خطيرة فى الثقافة المصرية فى السنوات الأخيرة بعد فترة عبد الناصر وجذورها كانت موجودة حتى منذ أيام عبد الناصر لأنه مع الأسف حدث صدام بين الثورة المصرية والمثقفين ! هو صدام كانت الخاسرة فيه الثورة المصرية نفسها لأنها لم تثقف الشعب أو تعطيه ثورة ثقافية راسخة الجذور فكانت النتيجة انه عندما انتهت الحقبة الثورية لم يكن لدى الشعب المحصول الثقافى الذى يكفيه لكى يستمر فى معركته ويدافع عن الفكر المستنير ، فكانت النتيجة أيضاً أنه بمثل ما أعطي أخذ منه بدون مقابل وبدون تجذير ! لا جذور شعبية ولا حزباً قوياً يحمل أفكاراً جديدة ليس فقط بالنسبة لمصر وإنما بالنسبة للعالم العربى كله ، ووجهات نظر مختلفة حتى بالنسبة لوجهة نظرنا فى حل قضية قومية وهى القضية الفلسطينية فهى تنحصر فى فكرة واحدة أو فكرتين ولا توجد أفكار أخرى جديدة حول الموضوع ، ولم نضع لأنفسنا فكراً اجتماعياً عربياً خاصاً يستطيع أن يستوعب ما نواجهه ويحل المعادلة الاجتماعية العربية .

● تقول اننا بحاجة الى فكر اجتماعى عربى خاص خارج التجارب الفكرية الانسانية السابقة . هل تعتقد أن الواقع العربى حاليا مؤهل لذلك ؟

ـ يعنى نسبة طلبة الجامعة وخريجى الجامعة بالنسبة لعدد السكان فى البلاد العربية تعتبر من أعلى النسب فى العالم ! عندنا نسبة تعليم (عالي) كبيرة جداً وفى نفس الوقت لدينا نسبة أمية عالية جداً ! أوربا مثلا النسب فيها متوازية . لا يوجد هذا العدد الضخم من خريجى الجامعات ولا يوجد بها أيضاً عدد ضخم من الأميين وإنما هناك متوسطو الثقافة وعلى مستوى ثقافى جيد وهم الذين يملأون المجتمع هناك . فخريجو الجامعات لدينا ليسوا بمستوى الخريجين وإنما هم يمثلون التعليم المتوسط أو الثقافة المتوسطة . ونوعية التعليم وأسلوب التعليم يلعبان دوراً هاماً فى سبب ذلك ، فلازال لدينا بقايا من بقايا التعليم الحقيقى والذى كان موجوداً فى البلاد العربية والذى كان يعتمد التعليم الأوربى الانجليزى والفرنسى . وهؤلاء هم بقايا البقايا الذين لايزالون يصنعون لنا الشكل الحضارى الموجود لدينا . بعد هؤلاء لا يوجد شيء ! لأن حالياً المثقف العربى عندما يتثقف يهاجر ولا يبقى فى البلاد العربية أبداً .

● هذا يفيدنا بأن الفكر العربى هو فكر غير مبدع تجاه ما يحدث فى واقعه وتجاه الزخم الموجود فيه من قضايا مصيرية لأسباب موضوعية أشرت الى جزء منها . فى اعتقادك هل هناك من أسباب أخرى ومدى صحة تلك الظاهرة ؟

ـ يجب أن نلاحظ أن ليس سبب الأشياء جميعها هو المواطن العربى . السبب أيضاً أننا فى منطقة يعيش عليها شعب من أفقر الشعوب كما اتفقنا على نوعية ذلك الفقر . هذا الشعب يعيش فوق أغنى كنز اكتشفته البشرية . فالاستعمار والقوى العظمى التى تريد أن تستغل تلك الثروات تعمل على إضعاف مثل هذا الشعب وإفقاره فكرياً بكافة الوسائل ليظل معتمداً عليه ومطواعاً له ولا يشجع أى فكر مستقل . ولهذا أنا أقول لأصدقائى العرب الكثيرين إن الخلاف الواقع بين مصر وبين البلاد العربية ليس من صنع مصر ولا البلاد العربية ، وإنما مخطط له ومرسوم من أجل حرمان العرب من إيجاد كيان فكرى مستقل كانت مصر قد بدأته . المشكلة فكرية أساساً . المشكلة هى تجزئة العقل العربى بدءاً بمصر تمهيداً لتجزئة العالم العربى الى سورى ولبنانى وعراقى وبحرينى وليبى الخ . ليس تجزئة بالحدود وإنما تجزئة الروح العربية ذاتها وتحطيم فكرة القومية العربية .

فوزيـة رشيد

● الطبيعة هي أحسن طبيب في العالم ●

عصير الخضروات والفاكهة

قيمتها الطبية وتأثيرها على الميكروبات

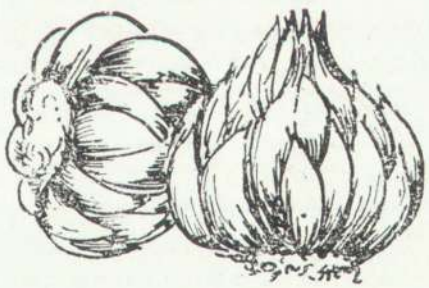
■ عصير الثوم ■ عصير البصل ■ عصير الكرنب ■ عصير الليمون

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

قديماً لم يكن للناس علم بالمطهرات فكانوا يستعملون البصل والثوم فى علاج الجروح وتطهيرها .

وقد ذكر ابن البيطار الثوم فقال :

« الثوم مدر للبول وطارد للدود ، وانه اذا خلط بالملح والزيت أبرأ البثور واذا خلط بالعسل والبورق أبرأ حب الشباب وقروح الرأس والبهق والجرب المتقرح » .



وفى عام ١٩٢٧ قام الدكتور كوك والدكتور جبريل من أطباء مستشفي بادنجتون بانجلترا بتجربة استطاعا فيها معالجة خمسين جرحاً متقيحاً بغسيلها بمحلول مؤلف من جزء واحد من عصير الثوم وأربعة اجزاء من الماء المقطر . ولم ينقض على هذا الغسيل يوم واحد حتى زال ما بهما من تقيح وشفيت جميعها .

ثم أجرى الدكتور توكين بعد ذلك ومعه بعض الأطباء الروس تجاربهم فى هذا الصدد فكشفوا أن مستحضرات البصل والثوم وبعض الخضروات الأخرى ذوات الروائح النفاذة ، تقتل بعض الميكروبات وكثيراً من بويضات بعض الديدان .

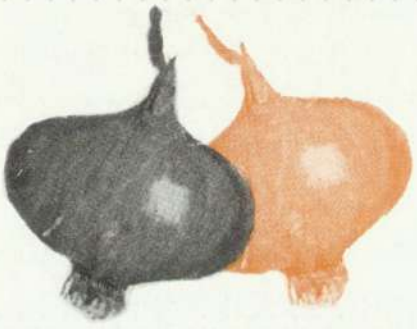
وقد عرف كثير من العلماء هذه الحقائق عندما وجدوا أن مزارع الميكروبات قد أصبحت خالية من ميكروباتها فقد ماتت عن اخرها عندما تعرضت لعصارة البصل، ووجدوا أن أكثر الميكروبات تأثيراً هى الميكروبات العنقودية التى تسبب الجروح المتقيحة والدمامل والخراجات، والميكروبات السبحية التى قد يسبب بعضها التهابات اللوز والزور .

ولأبخرة البصل والثوم نفس التأثير الناتج من عصيرها ، فقد ثبت أن ميكروبى الدفتريا والدوسنتريا الباسيلية تموت بعد ٥ دقائق من تعرضها للمواد الطيارة المنبعثة من البصل والثوم . وقد استعملت أبخرة البصل فى علاج الجروح فى مستشفيات روسيا واتت باحسن النتائج .

وكانت الطريقة هى أن يؤتى ببصلتين كبيرتين لبشرهما ووضعهما فى وعاء زجاجى ثم توضع فوهة الوعاء على الجرح على أن لا يمس البصل الجرح ، بل يكتفى أن يتعرض الجرح للأبخرة الصاعدة من البصل . وبعد عشرة دقائق ، يرفع الوعاء ، ثم يربط الجرح برباط معقم جاف حتى يندمل .

وقد ثبت أن مضغ الانسان للبصل أو الثوم مدة ثلاث دقائق يعد كافياً لقتل جميع الميكروبات التى قد تكون بالفم إلى حد التعقيم .

وإذا كونت عجينة من البصل وعرضت للهواء مدة تتراوح بين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة فانها تفقد قوتها الفعالة فى قتل الميكروبات ولهذا أثبتت التجارب أنه لابد من صنع الأدوية التى يدخل فيها عصير البصل قبل استعمالها مباشرة .



وقد قرأت مقالا فى مجلة كل شيء العلمية الفرنسية عام ١٩٣٧ لطبيب عالمى (جورج لوكوفسكى) تناول فيه أهمية البصل وعصيره فقال :

● يكثر المعمرون فى البلدان التى يكثر فيها أكل البصل وان مرض السرطان غير معروف ولاسيما فى بلاد بلغاريا حيث فيه عدد وفير من الشيوخ الذين تجاوزوا المائة سنة . وقد عزى الناس ذلك إلى أكل اللبن الزبادى ، ولكن أرد على ذلك بأن أهل قلقاسيا وبعض جهات روسيا ياكلون اللبن الزبادى بكثرة ، ولا يبلغون مع ذلك هذا العمر المديد .

ولكن امتداد العمر بأهل بلغاريا يعزى فى رأيى الى تناولهم مقادير كبيرة من البصل النيىء والخضروات الطازجة . أما اللحوم فلا يتناولونها إلا يوم الاحد .

وقد وجد أن لعصير الكرنب (الملفوف) تأثيراً فى قتل بعض أنواع الميكروبات إلا أن قوة تأثيره تختلف باختلاف الصنف . وقد ثبت أن عصير الكرنب تتأثر خصائصه بالحرارة على نقيض عصير البصل الذى لا يتأثر بالحرارة الا قليلا .

وفيما يلى اسماء البكتريا التى تتأثر بعصير الكرنب .

اسكريكيا كولاى .

ستافلوكوكوس .

أكروموباكتر .

ملافوبكتيريوم .

وعرف الاقدمون فائدة البصل الطبية ، وعدد العالم الطبيعى القديم « بلاينى » ثمانية وعشرين مرضاً يساعد البصل على شفائها .



وقد اتفق الطب الحديث مع الاقدمين فى فائدة البصل الطبية ، فلو انك مضغت قطعة من البصل لمدة دقيقة واحدة لكان هذا كافياً لقتل الجراثيم والبكتيريا التى قد تكون فى الفم ويصبح الفم معقماً كافضل ما يكون التعقيم .. بل حتى الأبخرة التى تتصاعد من البصل أثناء تقشيره أو تقطيعه فتسيل الدموع ، تكفى وحدها لقتل الجراثيم .

وقد اختبر البحاثه الدكتور ب . توكين خواص ١٥٠ صنفاً من أصناف النبات ، ثم وضع البصل فى رأس قائمة النباتات القاتلة للجراثيم ويليه الثوم ، ثم الفلفل ، واثبت الدكتور توكين ان البصل كفيل بقتل ميكروب التيفوس .

واسفرت تجربة قام بها لفيف من البحاثه الزراعيين فى محطة التجارب بولاية متشجان بامريكا عن ان اضافة عصير البصل الى المادة القاتلة للاعشاب والنباتات الطفيلية المسماه ٢ر٤ د تجعلها اقوى مفعولا .

واجرى الدكتوران « فيلاتونا »و « تورد بستييف » الاستاذان بجامعة « توموسك » الروسية تجربة لاختبار مقدرة الابخرة المتصاعدة من البصل على قتل الجراثيم فعرضا جراحاً مختلفة ملوثة بالبكتيريا لأحد عشر مريضاً لأبخرة البصل مدة عشر دقائق .. وكان بين هؤلاء المرضى اثنان ، احدهما بترت ذراعه والاخر بترت ساقه ، وتلوثت جراحهما فأصيبا « بالغنغرينا » وكانا يعانيان ألماً شديداً .. فلما تعرضت جراحهما لأبخرة البصل فى اليوم الأول زال الالم وفى اليوم الثانى تقدما سريعاً نحو الشفاء .. أما بقية الجراح البسيطة فقد تطهرت تماماً من كل أثر للبكتيريا .

وقد تمكن الكيمائيون من عزل بعض الكيمائيات التى يعتقد انها تفقد البصل خاصية قتل الجراثيم ولكن التكوين الكيميائى للبصل على درجة من التعقيد بحيث ظلت بعض عناصره خفية لم تعزل بعد . وحين يتم هذا فسوف يصبح البصل أو الكيماويات المستخلصة منه مساعداً قوياً للطب الحديث .

أما علاج نوبات الربو فيكون باعطاء المريض ملعقة صغيرة من مزيج عصير البصل مع العسل كل ٣ ساعات .. كما أن تناول بصلة متوسطة الحجم يومياً يخفض من كمية السكر فى دم المصابين بالبول السكرى كالانسولين ، ويقلل من احساسهم بجفاف الفم والشعور بالعطش ، وبالتالى من شرب السوائل . ويساعد أكل البصل على تطهير الجسم من املاح الطعام ، ويمنع نمو الجراثيم بجميع أنواعها فيه .

وقد اثبتت الدكتورة نوال فراج فى بحث الدكتوراه أن لعصير البصل تأثيراً واضحاً فى علاج مرضى السكر ، وتقليل نسبته .

ومارك العالم الأمريكى يؤكد فى مراجعه ومؤلفاته فاعلية الثوم فى مركباته وفصوصه فى الميكروبات .. وهذه الخاصية فى الثوم دعت بعض علماء الاتحاد السوفييتى فى انتاج عصارة الثوم باعتبارها عقاراً مضاداً لبعض الأمراض والميكروبات ، خصوصاً لمرضى التهاب السحايا الخطر .

عصير الليمون وأهميته الطبية

من قديم الزمان والناس يستخدمون الليمون كدواء شاف فى عدد من الاوبئة والامراض كالكوليرا والتيفويد والروماتيزم والنقرس والنزلات المعوية وأمراض الكبد . وعند انتشار الاوبئة ينصح الاطباء الناس باضافة الليمون إلى ماء الشرب بعد غليه ، لأن الليمون له خاصية القضاء على الجراثيم .



وقد وجد الدكتور « كريستماس » أن ميكروبى الكوليرا والحمى التيفودية تهلك إذا وضعا فى محلول يحتوى ٦ر جرام حمض ليمون فى كل لتر ماء ، أى ما يعادل ١٠ جرام عصير فى نفس كمية الماء المذكورة ، وبذلك يمكن تعقيم ماء الشرب عند انتشار الاوبئة باستعمال هذا العصير ، خصوصاً فى المناطق التى يصعب فيها الحصول على مياه رائقة معقمة .

ويرى « بول » فى كتابه فواكه المناطق الحارة أن عصير الليمون مدر للبول ويستعمل فى أحوال مرض الاستسقاء ، كما انه مطهر للجروح ومفيد فى بعض حالات السعال والمغص وطارد للديدان .

ويمتاز عصير الليمون بخواصه الطبية ضد التسمم . ويتضح ذلك من تسميته المعروفة « الليمون البلدى أو الليمون البنزهير » فهذه التسمية فارسية ، ذات مقطعين ، الأول « بن » معناه ضد والثانى « زهير » معناه سم ، مشيراً إلى هذه الخاصية المهمة .

وقد ذكرت جريدة الصيدلة الفوائد الطبية التالية لعصير الليمون :

أولا : يمكن استعماله فى علاج الروماتزم باستعمال القليل فى ماء الشرب ، كما يمكن استخدامه كمسكن فى حالة القىء .

ثانيا : يفيد فى علاج ضربات الشمس وذلك بان يوضع القليل منه على الجبهة . وهذا يطابق الشائع عند الفلاحين فى بعض القرى .

كما أن الليمون قابض للأوعية الدموية فاذا ما اصيب شخص بنزيف فى الأنف امكن وقفه باستعمال قطعة مبللة بعصير الليمون تدهن بها فوهة الأنف فيكون لذلك أثر سريع فى وقف النزيف ، كما انه يعتبر مهدئاً للاعصاب . وقد أوصى الاطباء كل من يشكو من ضخامة الغدة الدرقية بالاكثار من تناول الليمون .

أما سر المكانة الواسعة التى يتمتع بها الليمون فى مجال الوقاية والعلاج فيرجع الى احتوائه على عدد كبير من الفيتامينات أ ، و ، ب ٢ . بالاضافة الى الحديد والكالسيوم والفسفور والبروتين والدهن ، هذا بالاضافة إلى فيتامين ج الذى يفيد فى حالات الاصابة بداء الحفر « الاسقربوط » ، يقول الاخصائى العالمى د . ميلتون أن الليمون دواء بالغ القدرة على الوقاية منها وخاصة الأمراض التى تؤدى الى تخلخل الاسنان وسقوطها المبكر .

ويستخدم العصير فى جزر الهند الغربية بعد اضافة الملح إليه ضد مرض الدوسنتاريا وبعض الحميات وكذلك فى بعض امراض الحنجرة .

دكتور عز الدين فراج

حاضرة أنت في القلب

شعر: م. كجراي
الخرطوم

خذيني إليكِ بكلِّ عيوبي
فحبُّكِ سيدتي هو أكبرُ ذَنْبٍ جنيْتُ ،
فلاتسخري من ذنوبي
تغنيَّتُ للغضبِ المتفجِّر ،
أشرعتُ للريحِ بابي
تظل الحقيقةُ عاريةً كائتلاق الشُّموسِ ،
فما أتعَسَ الواهمون ببَحْرِ السَّرَابِ
أنا تحتَ سِقْفِكِ أسعَى فأصلب في كل يوم ،
دمي يتخثَّر في طرقاتِ العذابِ
وحاضرةٌ أنتِ في القلبِ ،
لكنكِ الآنَ مرصودةٌ في كتابِ الغيَابِ
إذا ما تَناهَتْ الى سمعيَ الضحكاتُ
أنُـوءُ بحملِيَ في لحظاتِ اغترابِي
يعذبني فيك جرح الكتابه



أسَوِّدُ دوريةً عن ريح الفجيعةِ في ربواتِ الكابه
أنام وفي خاطري كل مستقبل الوادعين الصغارْ
وأصحو لأشهدَ سجناً ،
يقام ليخرسَ نبْضَ الخطابَه
أحس بكل صليلِ القيودِ فأرفعُ رأسِي ،
لأكتبَ أغنيتي فوق صخْرِ الجدارِ ،
حروفي مضرَّجةٌ بدَم الأرجوانِ ،
تزلزلُ عرشَ المهابَه ،
أناديكِ لا لأقولَ وداعاً ،
فقد قُطِعَ اليومَ حبلُ الصدَى
ولا شيءَ غير الفرَاغِ المخيفِ ،
وولولة الرِّيحِ عبْرَ المدَى
أناديكِ : لن يتبدَّدَ صوْتِي سدًى
سأبحرُ في زورقِ الكلماتِ
أحدِّثُ عنك عرائسَ حلمي بكلِّ اللغاتِ
عهدتُك حُبْلَى بكل العواصِفِ ، صانعةَ المجدِ والمعجزاتِ
فلا تنكريني
إذا ما رأيتِ على القسماتِ ،
خطوطَ الزمان ولوْنَ الشحوبِ
فاني أنوءُ بنبض الحروفِ ،
أرى العارَ في موكب الصمْتِ تحت ظلال الغروبِ
فأبقى هنا في ترابِكِ أشربُ حزني
كما النخلِ حين تهبُّ الرياحُ ،
يقاومُ ، يسخَرُ من عادياتِ الخطُوبِ
أنا واحدٌ من بقية جيلٍ
مضَى في طريق التمرُّدِ غير هيوبِ
خذيني إليك بكل عيوبِي
فحبك سيِّدَتِي
هو أكبرُ ذنبٍ جنَيْتُ
فلا تسْخَرِي من ذنوبِي .

أوراق خضراء

مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة



محمود محمد شاكر

الكلمة الحيّة لا تموت
بل تزداد جمالاً مع الأيّام

فلسطين ثلاثة رجال

بقلم: محمود محمد شاكر

احب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لابد منهما : الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . واحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق .

والثانية : انى كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال اذكر الاسلام واشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى اعدهم منا ومن انفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون انفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الاسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسألة فلسطين ، ولكنى اشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولاكيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الاخوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل فى هذه الكلمة مآثر لرجلين من أجل النصارى شأنا ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى أوروبا وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الاقباط الارثوذكس الانبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فاذا الناس يفاجأون بمقدم القمص متياس الأنطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الاقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الاعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى اكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الانبا يوساب البطريق الاعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والامانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فعل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الادراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين اقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة.

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الأعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتها بريطانيا لافساد ما بين المسلمين والاقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الامة تفريقاً يجعل بعضاً لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الاقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر



أوراق خضراء

فلسطين ثلاثة رجال

هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على أدائه وإن أبؤاهم أن يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الاخلاص والايمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الاسكندرية » أى يهود مصر ،

فاقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فاجابهم بأنه ما قال إلا وهو يعتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وإنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ، وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الاسكندرية وافريقيا للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث أن غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لانشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم ، ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية الى هذه المحاولة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . لهم العبرة فيما حاوله الامبراطور جوليان الرومانى .

ولا ندرى كيف فكرتا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية أولئك الذين رغبوا دائما ، جماعات وأفراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرساً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون الى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين فان الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فاننا نحن الروم الأرثوذكس نرى أنه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى ، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على أنهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوى لشىء ولا رهبة لمكروه . فان غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد أثبت حديث البطريق الأعظم لانه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، ولأننا نحن المسلمين نحب المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها أحسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من أن مشايعة الدول الأوربية والامريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الاسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الاسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الانصاف والحق كما ينظر نصارى المشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فانه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة .

وقبل أن أنتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارىء ، وأنبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى أنه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟

وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية ألقت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم .

وننتهي من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب

والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حاييم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبي يحتم على أن اتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فأبناء الطائفة الاسرائيلية التى اتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا ينجزأ من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك فى عواطفهم نحو ابناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لأبناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فان واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية باقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها أبناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين فى هذا الظرف العصيب » .

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته أنه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى أن يعمل هو وأبناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، واخشى أن اقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره أحد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود فى ثغر الاسكندرية كى يثنوا البطريق الأعظم للروم الأرثوذكس عن إذاعة حديثه . أهذا أيضاً إقحام للدين فى السياسة .

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش فى أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا فى المريخ .

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن هذه الساعة التى جاش فيها العالم الاسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة فى تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الافصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً . كل الافصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية تدعي انها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد اذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور فى كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم يرضى به على مضض ، لأنه الخطوة الأولى التى تفضى إلى استيلائهم على أرض بنى اسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا فى محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدي عليهم مسلم ولا عربى ما داموا فى ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية تريد أن نقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر فى مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هى عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتالم بالمها ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء فى كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وانها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق فى قراره ولو طالت مائة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه ، ويدخل هو وأبناء طائفته فى الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً فى تاريخ الاسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر وليعلم سيادته أن الأحداث أسرع من لمحات البرق فى السحاب المتراكب . فليبادر إلى الأخير مبادرة من عرف الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا ارهاب . ان عمل الحاخام الأكبر هو «الحد الفاصل» الذى ينتظره اليوم أربعمئة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب فلن يخدعهم بعد اليوم شىء عن الطريق الذى سار فيه أباؤهم من قبل فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر
١٩٤٧

أوراق خضراء

إلى الدكتور طه حسين



زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تلطفت فأوصيتني بكتمان الحديث الذي دار بيني وبينك في حضرة « الصديق العظيم » الذي يحل وداده من قلبي وقلبك أعز مكان ، وأنا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق العظيم » بلا تهيب لعواقب العتاب ، لأن للحديث الذي جرى بيني وبينك في حضرته صلة وثيقة بأصول المذاهب الأدبية التي يشتجر حولها الخلاف في كثير من الأحايين . فإن قلت إن هذا « الصديق العظيم » خلع على ذلك الحديث حلة من الدعابة التي تشهد بما يملك من عذوبة الروح ، وإنه قد يكره أن يشار إلى اسمه في مجال الدعابة والظرف ، فإني أجيب بأن ذلك « الصديق العظيم » أرحب صدراً مما تظن ، وهو أكبر من أن يرى أن جلال المنصب يمنع من التندر الجميل .

لا خوف من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكني سأعمل بوصيتك ليصح لي القول بأني لا أتمرد في كل وقت ، وليصح لك الظن بأني أقدر على مراعاة الظروف حين أشاء .

ثم ماذا ؟

ثم أستبيح لنفسي التحدث عن بعض ما شجر بيني وبينك . ويظهر أن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عني ، وفي ذلك الخير كل الخير لو تعرف وأعرف . وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يثر الخلاف بين الشافعية والحنفية ؟ وهل تأصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تفوق العقل المصري في العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية ؟

إن الخلاف نعمة عظيمة جداً ، ويا ويلنا إذا لم نختلف .

فكيف تريد أن أكون صديقاً ظريفاً لا تسمع منه غير الكلام المعسول ؟

وهل قل الظرفاء من أصدقائك حتى تطالبني بما تعجز عنه سجيتي ؟

إن « بداوة الطبع » التي كثر الكلام في ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب إلا في كلام الشعوبية ، وهم قوم أرادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم الأثيم لبقيت من المحامد ، فكيف تنكر على رجل مثلي أن يظل بدوي الطبع في زمن توارت فيه الصراحة وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟

لابد من خلاف بيني وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس في حياة العقل والوجدان .

فإن ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذي يقول إن الصحراء تشكو الظمأ وأن البحر يشكو الرى وأن الخير في امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرق في محاورته وغرب كيف شئت وكيف شاء .

ولكن ما رأيك فيمن يصارحك بأن الحيوية لن تشيع في أبحاثك إلا إذا حاورت « الرجل الذي لا يخلو إلى قلمه إلا وفي رأسه عفريت » ؟

تلك كلمتك ، يا سيدي الدكتور ، وأنا عنها راض وبها مختال ؟

فما هو العفريت الذي يحتل رأسي حين أخلو إلى قلمي ؟

أيكون هو الجن الذي سماه الفرنسيون ؟

إن كان ذلك فأنت تشهد لي بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين .

وهل تكون العبقرية إلا من نصيب من يخاصم رجلاً مثلك في سبيل الحق ؟

وما هي المنفعة التي أرجوها من مخاصمتك وأنت رجل يفسر وينفع ؟

ما هي المنفعة التي أجنيها من مخاصمتك وقد صاحبتك عشر سنين كانت أطيب الأوقات في حياتي ؟

يظهر أنك لا تعلم أنك على جانب عظيم من الجاذبية وأن الرجل العاقل لا يترك مودتك وهو طائع .

فما سبب الخصومة بيني وبينك ؟

إليك اقتباساً من البيان :

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيت محاضرة في الجامعة الأمريكية عن البحتري سجلتها جريدة كوكب الشرق ، وشاء (العفريت الذي يحتل راسي حين أخلو الى قلمي) أن أنشر في جريدة البلاغ مقالا عنوانه :

« الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط في محاضرة واحدة » .

ثم لقيتني بعد ذلك في الجامعة الأمريكية وجادلتني في تلك الأغلاط فاعلنت اني اخطات ، وكان ذلك لأن الجمهور أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك ، وما كان يجوز لي أن أصنع غير الذي صنعت ، لأن أدبي لا يسمح لي بمصاولتك أمام الناس ، ولأن وجهك يشفع لك فهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الاعزاز والتبجيل .

فما الذي صنعت أنت في تصحيح الأغلاط التي أخذتها عليك ؟

مضيت فنشرت محاضرتك عن البحتري في كتابك : « حديث النثر والشعر » ، وأبقيت تلك الأغلاط ، أستغفر الله ، بل (تفضلت) فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبأ بأي نقد يوجه إليك !!

فما الذي كان يمنع من تدارك تلك الأغلاط ؟ وما الذي كان يمنع من شرح رأيك في الهامش إن كنت تؤمن بأني لم أكن على حق ؟؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث في صيف سنة ١٩٢٩ أن أنكرت على أن اتخذ شواهد لتطور « النثر الفني » من رسائل عبد الحميد بن يحيى . وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرىء القيس ! وكان ذلك

بمسمع من شابين واعيين هما : محمد مندور وعلى حافظ . وكانت حجتك ان عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت اليك بعد ايام واخبرتك ان الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة ، وان مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين : احدهما عبد الحميد الاكبر والثاني عبد الحميد الاصغر ، فلم تجب بحرف واحد ثم القيت وانا في باريس محاضرة قلت فيها إن عبد الحميد بن يحيى اخذ اشياء من ادب اليونان ، وفاتك ان تنص على اسم الرجل الذي اقنعك بانه لم يكن شخصية خرافية .

وقد حملني (العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو إلى قلمي) على ان اسجل هذه القضية في احد هوامش كتاب النثر الفني ، فكانت فرصة اغتنمها صديقك الاستاذ احمد امين ليقول في مقال كتبه في مجلة الرسالة : إن زكي مبارك يعوزه الذوق في بعض الاحيان !!

ثم ماذا ؟

ثم كانت لك يد مؤثرة فى شئون الدراسة الثانوية بحجة انها تمهيد للدراسة الجامعية ، وكان من اثر ذلك ان فرضت على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتاباً في نقد النثر لقدامة بن جعفر لا يفهمه المدرسون إلا بعناء فضلا عن التلاميذ .

واقول بصراحة اني لم افلح في حمل المفتشين على مقاومتك ، فبرزت لك بنفسي في مقال نشرته بمجلة الرسالة ، فهل استجبت لصوت الحق واعفيت التلاميذ من كتاب تقوم تعاريفه على منطق ارسطاطاليس وهم يجهلونه كل الجهل ؟

انت عزيز علينا ياسيدي الدكتور ، لانك رجل شهم ، ولكن ما رايك في اغلاطك ؟ ومن يدلك عليها إذا سكت عنك ؟

هل تذكر كلمة « الصديق العظيم » منذ ايام حين قال لك وهو يبتسم : كيف صيرتم



طه حسين

زكي مبارك دكتوراً وهو رجل مشاغب ؟

انت تذكر ذلك ولا ريب ، ولكنك تعرف اني لم انل القاب الجامعة المصرية بلاجهاد وانت نفسك اسقطني فى امتحان الليسانس مرتين ، واشتركت في امتحان الدكتوراه الذي اديته اول مرة مع انك لم تكن عضواً في لجنة الامتحان ، وكان لخصومتك الصورية تاثير في الدكتوراه التي ظفرت بها للمرة الثالثة فلم اصل اليها إلا بعد جهاد سبع سنين .

فما فضلك على إن لم يكن فضل المؤدب الحصيف ؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع في نوفمبر سنة ١٩١٩ ؟

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدي الطالب الذي يفهم العبارة الفرنسية لكتاب نظام الآتينيين لارسطاطاليس ؟

وهل تذكر انك اعلنت سرورك بان يكون في طلبة الجامعة المصرية من يفهم اسرار اللغة الفرنسية ؟

فمن يبلغك ان الشاب الذي ادخل السرور على قلبك في سنة ١٩١٩ هو الكهل الذي تنكره في سنة ١٩٤٠ ؟

انا اعرف ما تكره مني . انت تكره مني الكبرياء ، وكيف اتواضع وقد اعانني الله على بناء نفسي ؟ كيف وقد اقمت الدليل على ان الشباب المصري خليق بعظمة الاعتماد على النفس ؟ وهل رايت رجلا قبلي اتم دراسته في اوروبا وهو مثقل بتكاليف الاهل والابناء ؟ هل رايت رجلا قبلي يهتف باوطار الشباب وهو مثخن بجراح الزمان بعد الاربعين ؟ هل رايت رجلا قبلي يؤلف الكتب الجيدة في البواخر والقطارات والسيارات ؟

ومن يصدق اني انفق في سبيل الورق والمداد اضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب ؟

إن الدكتور طه من ذخائرنا الادبية ، ويجب ان يعيش ، ونحن سناده في الخطا والصواب رعاية لمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف ، وهو خليق بمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف .

ايها الاستاذ الجليل :

في صدري اشياء وشؤون وشجون ، فمتى انفض همومي بين يديك وقد رايت الشيب يشتعل في شعرك الجميل ؟

متى نلتقي ايها الاستاذ الجليل لتصفية الحساب ؟

إن « العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو إلى قلمي » لا يحضر حين القاك ، لاني لا ارى وجهك إلا تذكرت اني احببتك إلى حد العشق .

فمتى نلتقي وحولك ارصاد يؤذيهم ان اصل إلى قلبك الرفيق ؟

وهل اجهل او تجهل ان فى الدنيا ناساً عاشوا بافساد ما بيني وبينك ؟ الله وحده يشهد اني لم اخاصمك إلا في سبيل الحق .

والله وحده يشهد اني لم اقل فيك غير ماستبحت نشره في الجرائد والمجلات . ومن ذلك تعرف ان « العفريت الذي يحتل راسي حين اخلو الى قلمي» لم يكن عفريتاً لئيماً وانما هو عفريت تلميذك وزميلك وصديقك :

زكي مبارك
مارس ١٩٤٠

نعنع الماء ..

قصة بقلم : عـــادل أبوشـــنب

اكتشفت أن لا طعام فى البيت . لم يكن ثمة ما ناكله ، وكانت امى تنظر عبر النافذة الى الطريق ، كانها تنتظر من يحمل الينا طعاما ارسله جواد مجهول .

كان ابى كهلا مريضا ، تزوج امى ولما تبلغ العشرين ، وسارت حياتها معه فى البدء بيسر ، حتى اصيب بالربو ، ولازم الفراش فى الليل والنهار ، فكان سعاله يسمع فى اول الطريق ، وحارت امى ماذا تفعل ، بعد ان نفد المال من بين يديها ، وباعت جميع ما يمكن الاستغناء عنه من اثاث البيت ، واطل اليوم الحاسم ، فقد نفد الطعام ايضا ، ولم يعد بين ايدينا سوى سعال ابينا وصمت امنا ، ونظراتها المحمومة الى الطريق حينا ، والى السماء دائما .

قلت لامى :

ـ هل تنتظرين احدا يا اماه ؟

قالت :

ـ كلا ، ولكن .. قد ياتى احد . من يدرى ؟

وسالتها اختى الصغرى :

ـ الن ناكل الليلة يا اماه ؟

وردت امى دون ان تنظر اليها :

ـ اجل .. اجل يا ابنتى ، ولكن علينا ان ننتظر بعض الوقت .

كان الوقت يمر بسرعة ، وها هى السماء قد امتلأت بالنجوم ، ومن بعيد كنت اسمع اصوات الطيور العائدة الى اعشاشها ، تحمل بمناقيرها طعامها ، كانها ضربات طبول تعلن الحرب على معدنا ، نحن الذين لا نملك ثمن طعامنا .

فجاة ارتدت امى ثياب الخروج ، وحملت بيدها قنديلا زجاجيا ، اضاءت شمعته اليتيمة ومضت . الى اين ؟ تبادلت واخواتى النظرات . كنا نشعر بالخوف ، ولما اشتد سعال ابى تجمعنا فى ركن الغرفة وتعانقنا ، وكان لقلوبنا نبضات مسموعة .

وتهيا لي ان امى لن تعود فدمعت عيناى وانتزعت نفسى من اذرع اخوتى ، وركضت وراءها تشيعنى دموعهم .

لم تكن امى قد ابتعدت كثيرا ، وكان ضوء القنديل يترنح فى يدها . عجبا ، اين تذهب امى فى هذه الليلة التى غاب قمرها؟

كانت تغذ السير دون ان تلتفت او تحرك راسها يمنة او يسرة ، ولست ادرى لماذا لم اناديها . كنت اسير خلفها دون ان احدث صوتا . لعل الفضول هو الذى جعلنى افعل ذلك . ماذا تنوى امى ان تفعل ؟ هل تهرب منا دون رجعة ؟ هل تمضى لتسرق لنا طعاما وتعود ؟ الا تخاف من السير فى الليل ؟

كان ثمة جدول صغير ينساب فيه ماء عكر ، وكثيرا ما كنت اذهب واخوتى لنلهو على ضفافه ، ورايت امى تجتازه ، ثم تنحنى بقنديلها على ضفته وتتفحص المكان ، واقتربت اكثر . كانت امى قد وضعت قنديلها الى جانبها ، وجلست القرفصاء تقتلع من حافة الجدول الترابية المنحدرة نحو الماء .. نباتا قصيرا اخضر ، وراحت تكو ما كانت تقتلعه فى منديل فرشته على الارض . وتذكرت . لشد ما كنا ندوس هذا النبات باقدامنا ، ونحن نقفز من ضفة الجدول الى ضفته الاخرى .

كان لحشائش الارض رائحة تتسلل الى الانوف ، ولقد انعشنى ان استنشق هواء الليل المشبع بالروائح الطازجة ، فنسيت جوعى واخوتى ، ودبت في حماسة مفاجئة لقد عرفت سبب خروج امى ، فاعلنت عن نفسى بصوت اجتهدت الا يفزعها :

ـ ماما .. ماما ..

ورفعت امى راسها وسالت كانها تريد ان تستوثق من اننى المنادى :

ـ من هناك ؟

قلت :

ـ انا يا اماه . جئت لاعاونك ..

ولم تجب ، بل عادت وانهمكت فى اقتلاع النبات القصير الاخضر الذى كان يملأ المنحدر الصغير المتصل بالماء .



ومددت يدى ، ورحت اشد ما تصادفه يدى من النبتات الخضراء ، واقتلعها من جذورها ، كما كانت أمى تفعل . وخطر لى أن أضع فى فمى وريقة خضراء صغيرة من وريقات هذا النبات ، لاعرف مذاقه ، وسرعان ما فعلت .

عندما هرست الوريقة الصغيرة الخضراء بين أسنانى .. احسست بمذاق لاذع يلسع لسانى بلطف ، كانه يدغدغه . كان لهذا النبات طعم مخرش لذيذ وخيل إلي انه نبات النعنع الذى كانت لا تخلو مائدتنا منه فى يوم من الأيام .

قلت :

ـ أليس هذا نعنعاً يا أماه ؟

قالت :

ـ بلى .. لكنه نعنع الماء .

عجباً . هل يختلف نعنع الماء عن النعنع الذى يباع فى الأسواق ، ويؤكل مع الطعام ، وتصنع منه بعض الأدوية ، على ما قيل ؟ لم أسأل أمى .. ومضيت فى اقتلاع نعنع الماء . وبين حين وآخر كنت أضع ورقة خضراء فى فمى وأتلذذ بلسعتها اللاذعة .

كان نقيق الضفادع الصوت الوحيد المسموع فى صمت الليل ، ولقد بدا لي ، **وانا منهك فى قطع النعنع شبيها باغنية او مناجاة . ولست ادرى لماذا احببت** أمى ، تلك اللحظة ، والحياة والليل والضفادع والقنديل والنجوم وابى واخوتى والجدول والأشجار . لقد كان كل شىء غضاً طازجاً مثل النعنع ، ولكم بدت الحياة بسيطة وجميلة وسهلة التناول وقتئذ . نسيت أن بيتنا خلو من الطعام ، وأن اخوتى يتضورون جوعاً ولا يعرفون أين ذهبت أمهم ، وأن أبى ينهكه سعال الربو الذى لا يتوقف كانه صفير قطار لاهث ، ورحت أدخل شيئاً فشيئاً فى المكان الذى حولى ، حتى صرت كاننى شجرة مشمش ، أو قطرة ماء فى الساقية ، أو نبتة نعنع خضراء تمتد جذورها الى أعماق الأرض .

وأخرجتنى أمى من غيبوبتى :

ـ يكفى الليلة ما جمعناه يا بنى .

وقامت وحملت ما وضعته فى المنديل من نبات النعنع ، ففعلت مثلما فعلت ، وشيعنا نقيق الضفادع الرتيب ، والرائحة الطازجة . وعلى ضوء شمعة القنديل الزجاجى .. كنا نسير بسرعة عائدين إلى



البيت ، وكنت اتخيل اخوتي اذرعاً ممدودة فرحة .

كانت أمى تعرف ماذا تفعل . وضعت كومة النعنع تحت الماء ، وطلبت إلى أن أغسل النبتات التى كانت جذورها مملوءة بطين الأرض ، وراحت تهيىء قدراً كبيرة ، وضعتها على بابور الكاز وصبت فيها ماء وشيئاً من الزبدة الباقية فى البيت ، ثم دلقت ما غسلته من حزم النعنع فى القدر ، وقالت :

ـ هاكم الطعام . دقائق وينضج يا أولادى .

وجلسنا ننتظر ، وكان سعال أبي يشغلنا أحياناً عن الانتظار ، ولابد أن اخوتى قد وعدوا أنفسهم باكلة شهية ، بل استثنائية ، لهذه الليلة ، اما أمى فكانت مشغولة عنا باعداد المائدة ، وكان لها ، وقتئذ ، وجه مشرق كانه قمر بدر .

لم يسأل أحد من اخوتي ماذا نطبخ . حسبهم أن فى القدر طعاماً يملؤون به معدهم الخاوية . كانوا يتلمظون وهم يرون النعنع الأخضر وهو ينضج على نار هادئة ، وسرعان ما نضج فجلسنا جميعاً ناكل فى صخب ، وحملت أمى طبقاً إلى أبي فتناوله على مضض .

كان العشاء لذيذاً ، وبعد أن شبع الأولاد راحوا يمطرون أمهم باسئلتهم . أخى الصغير سأل :

ـ ما هذا يا أماه ؟

وعلقت أختي الوسطي :

ـ لم نذق من قبل طعاماً كهذا ..

وقال أخى الذى يصغرني بسنة :

ـ من أين جئتما بهذا النبات الذى يلسع الألسنة ؟

وأردف يخاطب أمه :

ـ كيف خطر لك أن تطبخي هذا النبات يا أماه ؟

كانت ابتسامة صغيرة مقيمة على شفتى أمى . ولم تبخل على أحد بجواب مقنع ، كنت الصامت الوحيد ، وكنت أرقب عيني أمي وهما تنتقلان من وجه إلى وجه . لشد ما أسعدها شبع الأولاد . انها مدينة لنعنع الماء بشبع أولادها هذه الليلة .

وتذكرت أختي الكبرى شيئاً ما ، فجأة ، فقالت :

ـ انه نعنع الماء . بلى .. أعرفه .. رأيته مساكب مساكب تغطي ضفاف الجدول القريب .

قالت أمي :

ـ أجل يا أولادى . انه نعنع الماء ، ينبت وحده دون زرع قرب السواقي والجداول والأنهار . نبات كريم يمنح نفسه لكل راغب فيه ..

وقاطعها أخى الصغير :

ـ أريد أن أراه فى أرضه ، حيث ينبت ..

وقالت أمى ، وهى تشير إلى :

ـ ليس الليلة على كل حال . أن أوان النوم ، فى غد يذهب بكم أخوكم إلى ضفة الجدول ، وإن رغبتم قطفتم منه ما نعده لطعام الغد .

ونمنا ، ولابد أن اخوتي كانوا يحلمون بمساكب نعنع الماء ، التى تنمو وحدها دون أن تزرع وتغطى ضفاف الجداول والسواقى بنضرتها الجميلة .

فى الصباح الباكر قدت قافلة صغيرة الى الجدول القريب . عجباً . لم يكن لحشائش الأرض رائحة ، وكانت الشمس ترسل أشعة حارة فوق رؤوسنا ، ولست أدري لماذا اختفى نقيق الضفادع ، وحل محله نهيق حمار ، كان يقف قرب الجدول .

وقفزت اختي الكبرى ، وأشارت بيدها إلى البساط الأخضر الممتد على حافة الجدول :

ـ هذا هو . انه نعنع الماء ...

ونظر اخوتي إلى النبات الأخضر بفضول ، ومنهم من انحنى يقتلع أو يقطف وغير بعيد كان الحمار الناهق مطاطىء الرأس يهرس بأسنانه حزمة من نعنع الماء ولابد أن مذاقه اللاذع كان يلسع لسانه ، لكنه ، لجوعه ، لم يكن ليكترث ..

بقلم: رؤوف توفيق

اللعبة الجديدة للسينما الصهيونية

فضائح وانحرافات

بدلا من الدعاية المكشوفة

الممثلة الأمريكية «مارى ستنبرجن» التى حصلت من قبل على جائزة أوسكار أحسن ممثلة مساعدة .. تلعب دور البطولة فى فيلم «كروس كريك» !



من الواضح تماماً .. أن خطة السينما الاسرائيلية قد تغيرت خلال العامين الأخيرين .. فبدلا من محاولات استجداء العطف العالمى حول قضية اليهود الراغبين فى الحياة بسلام .. والتلويح بقوة الجيش الاسرائيلى فى مواجهة الذين يفكرون فى تعكير الجو .. وبدلا من النبرة العالية المباشرة ، والضجيج المدوى حول الاسرائيليين الأبرياء الظرفاء الذين يعرفون معنى العمل .. ومعنى الحب !

بدلا من هذه الدعاية المكشوفة .. فكرت السينما الاسرائيلية أن تلجأ الى أسلوب آخر .. أن تقدم أفلاماً تهاجم وتعترض على فلسفة العنف فى نظام الحكم الاسرائيلى .. وافلاماً أخرى تصور حالات العجز والضياع واليأس فى المجتمع الاسرائيلى .. وهذه الأفلام تنتج وتعرض بمعرفة مركز الفيلم الاسرائيلى .. وتسافر الى المهرجانات العالمية .. تحمل شعار الديمقراطية فى اسرائيل !

اما افلام الدعاية لليهود .. وتذكير العالم بحق اليهود فى الأرض الموعودة ..

هذه الأفلام أصبحت مسئولية الصهيونية العالمية بمالها من نفوذ جبار ، مادى ومعنوى ، على أغلب مؤسسات الفن والاعلام فى امريكا وأوربا .

وهكذا أستبدلت السينما الاسرائيلية صورتها الصارخة .. بقناع ظريف ومسل وجرىء فى النقد عند اللزوم .. أما الابناء المخلصون والتلاميذ الاوفياء لتعاليم الصهيونية .. فعليهم أن يقوموا بالدور المطلوب فى شتى انحاء العالم . !

وهؤلاء الأبناء والتلاميذ .. لم يكفوا يوماً عن رسالتهم تجاه المؤسسة الصهيونية .. فهم الآن مطالبون بمزيد من الجهد والابتكار .

الممثلة الاسرائيلية «انات اتزمون» أعطتها اسرائيل جائزة احسن ممثلة عن دورها فى فيلم «الشارع المسدود» !



الكاتبة فى مشهد بداية الفيلم ، وقبل ان تقرر هجران عالمها الأنيق لتعيش الحياة البدائية فى مكان معزول بفلوريدا .. لقطة من فيلم «كروس كريك» !



سينما

فضائح وانحرافات بدلا من الدعاية المكشوفة

● المخرج الامريكى العجوز !

ولهذا لم يكن غريبا ان يواصل المخرج الامريكى العجوز « مارتن ريت » مهمته فى الدعاية لليهود بشكل فاضح ومثير .. وكانه يريد ان يختتم حياته باقتناع كامل انه ادى الرسالة المطلوبة منه .. فها هو الآن ، وقد تجاوز عامه الثانى والسبعين من عمره ، يقدم فيلما بعنوان « كروس كريل » ـ وهو اسم مكان فى فلوريدا ـ يدعو من خلاله لاهم مبدأ قامت عليه الدعوة الصهيونية .. بان الارض لمن يرعاها وليست لمن يملكها .. فالارض ـ كما يقول هذا الفيلم بصريح العبارة ـ ملك للريح والمطر والشمس وللبذور .. وهى ايضا ملك للزمن .. فمن يعطى الارض ، الحب ، والرعاية .. تعطيه الارض ، الزهور والخصوبة . !

ويستبيح المخرج الامريكى «مارتن ريت» لنفسه ، ان يؤكد هذا المبدأ من خلال توضيح الرمز حتى يفهم من لمن يفهم .. ان هذه الارض تطرح البرتقال !

وقد عرض هذا الفيلم داخل السينما الرسمية لمهرجان « كان » هذا العام .. معتمدا على اسم المخرج وتاريخه الطويل فى السينما الامريكية .. ولكن الفيلم لم يحقق اى نجاح ملحوظ داخل المهرجان .. وكان هذا نذيرا سيئا برد فعل الجمهور الامريكى عندما يبدأ عرض الفيلم داخل امريكا فى اكتوبر القادم .

● المرأة التى حققت ذاتها

وفيلم « كروس كريك » ماخوذ عن قصة حياة الكاتبة الامريكية « مارجورى كنيان رولنج » وتجربتها الخاصة فى فلوريدا باوائل العشرينات من هذا القرن .. والتى سجلتها فى كتاب يحمل عنوان « ذكريات كروس كريك » .

ويحكى الفيلم قصة هذه المراة التى تشق طريقها فى عالم الكتابة .. وقد كانت متزوجة من صحفى .. ولكنها تقرر ان تكسر كل القيود الاجتماعية المحيطة بها .. وان تنفصل عن زوجها .. وتختار هذه المنطقة الموحشة البدائية لتعيش فيها .. تبنى حياتها الجديدة بنفسها .. وتحقق ذاتها بدون مساعدة او قيود من احد .

ويصور الفيلم هذه المراة .. وكانها مناضلة لها ارادة حديدية فهى لا تعرف اليأس او التعب .. ورغم وحشية المكان الذى اختارته للاقامة .. الا انها سرعان ما تنظفه وتعيد اصلاح الابواب والنوافذ وتزينه بالاثاث الانيق والستائر وكل ما يلزمها لحياة مريحة .. وهى تفعل كل هذا بمفردها فليس هناك جيران بالقرب منها .. بل ان اقرب بيت لها على مسافة عدة اميال وسط الاحراش .. وهناك بعض العائلات التى تسكن فى اماكن بعيدة متناثرة ..

وهى دائما المراة القوية المحبوبة .. التى تعرف كيف تفرض الحماية لنفسها .. بل وتساعد الآخرين على حل مشاكلهم .. وتنجح فى اقامة علاقات وثيقة مع سكان هذا المكان المهجور .. تروض الطباع الشرسة لاحد الرجال الذى يتعامل مع زوجته واطفاله بكل القسوة والعنف .. وتنشىء صداقة حميمة مع صبية صغيرة وتدافع عن رغبتها فى امتلاك غزال ، مهما تسبب هذا الغزال فى مشاكل لاهل البيت .

وهذه المراة فى غمار معركتها لتحقيق ذاتها .. لا تنسى ان تؤجل عواطفها الخاصة .. وترفض طلب زواج تقدم به صاحب الفندق الذى التقى بها صدفة فى الطريق الى هذا المكان .. وعرض عليها

الكاتبة والرجل الذى ارتبطت به ، بعد ان تاكدت من نجاحها فى الكتابة !



الفتاة المنحرفة بعد ان تحولت الى فتاة مختلفة بالماكياج والملابس .. لقطة من فيلم الشارع المسدود !



الشاب الاسرائيلى فى فيلم «الخمسين»



الشاب العربى فى فيلم «الخمسين»



مساعدتها باحترام واعجاب و يتمنى ان يرتبط بها .. ولكنها كانت قد قررت انهـــا لا يمكن ان تصبح زوجة وكاتبة فى نفس الوقت .. فاما ان تكون زوجة .. او كاتبة .. وهى تريد ان تصبح كاتبة معترفا بها ..

وتنتهى من كتابة رواية لترسلها الى الناشر مع خطاب خاص تحكى فيه عن المكان الذى تعيش فيه .. فيرد عليها الناشر بان الرواية لا تصلح للنشر .. وينصحها بان تكتب عن المكان الذى تعيش فيه وان تحكى عن نماذج من جيرانها . وتتلقى المراة صدمة الفشل بقوة وثبات .. لتبدا الكتابة عن « كروس كريك » هذا المكان بكل تفاصيل الحياة فيه .. وتبدا فى نفس الوقت جنى ثمار البرتقال التى تنوء بها الاشجار التى رعتها .

ويتحقق لها النجاح .. تصبح كاتبة معترفا بها .. وتصبح زوجة للرجل الذى ظل ينتظرها طوال هذه الفترة .. ويعرض عليها الانتقال إلى مكان اخر اكثر راحة ..

ولكنها ترفض باصرار واقتناع كامل .. وهى تردد : « لقد اصبحت جزءا من هذه الارض »

ثم تنشد كلماتها عن الارض التى لا تباع ولا تملك .. وانما تصبح من حق من يستثمرها . !

وينتهى الفيلم . لنتساءل هل الموضوع حقا عن هذه الكاتبة وتجربتها فى هذا المكان .. أم ان المقصود شىء اخر . ؟!



المخرج الامريكى «مارتن ريت»

● تاريخ المخرج .. يكشف السر

ليس من المفروض ان نتحلى بالبراءة دائما .. بل لابد ان نكون على دراية بما يقصدون .. وان نفكر على نفس المستوى .. خصوصا اذا عرفنا ان المخرج « مارتن ريت » من اصل يهودى .. وانه منذ اربع سنوات قدم فيلم « نورما راى » الـــذى لعبت بطولته الممثلة « سالى فيلد » وحصلت على جائزة احسن ممثلة عن دورها فى هذا الفيلم من مهرجان كان ٧٩ .. ثم حصلت على جائزة اوسكار احسن ممثلة عن نفس الدور .. ورشح الفيلم ايضا لاوسكار احسن فيلم ..

ولم يكن هذا الفيلم (راجع مقال الدوحة اغسطس ٧٩) الا دعوة صريحة لتكريم هذا اليهودى الذى يدعو العمال للانضمام إلى نقابات العمال حفاظا على حقوقهم .. فهذا اليهودى هو شخص مناضل ، واعى ، ذكى ، محبوب ، يعرف كيف يشق طريقه وسط كل المصاعب .. ويختار هذه المراة الغارقة فى همومها العائلية ومشاكلها فى العمل (نورما راى) ليقف إلى جانبها .. يلقنها تعاليمه .. ويساعدها للبحث عن شخصيتها .. حتى تقف على قدميها .. وتتصدى لمحاولات اصحاب مصنع النسيج الذى تعمل به وتقود اضرابا عن العمل حتى يتحقق لها الهدف فى تكتيل العمال كقوة تطالب بحقوقها وبتشكيل نقابة لهم .

وتنتهى مهمة الرجل النقابى اليهودى بعد ان تحقق هدفه بانشاء نقابة فى تلك المدينة .. ويأتى موعد رحيله .. فيـــودع (نورما راى بقوله : « لا اقول وداعا . بل اقول كونى سعيدة) .. فتقول له « ما تعلمته منك كان شيئا عظيما » .. فيردد هو بتاكيد : « اشكرك لمعونتك لى .. اشكرك للصداقة » ..

وهكذا ينتهى فيلم « نورما راى » والبطل اليهودى هو رمز العقل والحكمة والاصلاح .

وبعد اربع سنوات يعود المخرج « مارتن ريت » ليلقى بكل ثقله فى فيلم « خروس كريك » معلنا ان الارض للاقوياء .

● « الخماسين » .. والحـلم الـكاذب

والمثير تماما .. ان الافلام التى خرجت من اسرائيل ذاتها .. تناقش مسالة الارض بوجهة نظر مختلفة ..

على الاقل هذين الفيلمين اللذين عرضا خلال هذا العام فى اكثر من مهرجان سينمائي دولى ..

الفيلم الاول .. بعنوان « الخماسين » الذى اخرجه المخرج الاسرائيلى الشـاب « دانيل فاشسمان » .. ومنحت اسرائيـل هذا الفيلم جائزة احسن فيلم لعام ٨٢ .. وجائزة احسن اخراج .

وخرج الفيلم إلى العالم وسط دهشة بالغة .. حتى ان بعض الصحف الامريكية وصفته بانه اجرا فيلم اسرائيلى يناقش المسالة العربية الاسرائيلية .

وعنوان « الخماسين » يشرح نفسه .. انها الرياح المحملة بالاتربة والتى تعصف بكل شىء .. والفيلم ينتهى بهذه الرياح كحدث من احداث الطبيعة .. وايضا

نساء فلسطينيات .. يبكين الارض المسلوبة .. لقطة من فيلم «يوميات الاحتلال» .



كنتيجة للعلاقات المتوترة التى تحكم شخصيات الفيلم ..

وتدور احداث الفيلم فى قرية بالجليل بين شاب اسرائيلى يملك بيتا ومزرعة يقيم فيها مع أمه واخته .. وهناك شاب عربى يعمل عنده فى المزرعة .

هذا الشاب العربى يعرف ما تفعله الحكومة الاسرائيلية من مصادرة واغتصاب اراضى العرب .. ولكنه لا يبالى .. فهو يريد ان يعيش فى هدوء .. وتتصاعد كل الاحداث من حوله حتى يقع ضحية عنف بعض الشباب الاسرائيلى الذين يتكتلون ضده ويضربونه .. فى نفس الوقت الذى يمارس فيه الاسرائيليون منتهى الشراسة والبجاحة ضد العائلات العربية .. يغتصبون الأرض .. ويطردون السكان .. وينهبون متاجرهم .

وينتهى الحلم الكاذب بالتعايش السلمى .. بمقتل هذا الشاب العربى تحت اقدام ثور هائج يطلقه الشاب الاسرائيلى الذى يستخدمه فى مزرعته ..

ان القتل والعنف يبدأ دائما من جانبهم .. والأرض مسلوبة بقوة السلاح .

● يوميات العنف والبلطجة

الفيلم الثانى .. عنوانه « يوميات الاحتلال » للمخرج الاسرائيلى الشاب « أموس جيتاى » الذى صنع تحقيقاً مصوراً بالغ الجرأة عن كل مظاهر العنف فى الجيش الاسرائيلى داخل المدن والقرى العربية المحتلة ..

وضع المخرج الكاميرا امام الجنود الاسرائيليين وسجل على الطبيعية كل تصرفاتهم وكلماتهم .

الغطرسة والشراسة فى كلماتهم .. وهم يحاولون منع التصوير .. وخطف الكاميرا .. وعندما يناقشهم المخرج ـ والحوار بينهم مسجل بالكامل فى الفيلم ـ ان هذا ليس من حقهم .. فيكون رد فعل احد الجنود انه يضع يده على عدسة الكاميرا .. وتظلم الشاشة .. وتبدو احيانا بعض ملامح الصورة من وراء أصابعهم .. ثم ينطلق المخرج بالكاميرا إلى بيوت العرب وارضهم المسلوبة واشجارهم التى زرعها الأجداد وأصبحت الآن فى قبضة الجنود الاسرائيليين ..

وحركة بناء المستوطنات الاسرائيلية .. وأحد المستوطنين يقول بغطرسة وغباء أحمق « لا يمكن ان تعيد الحكومة هذه الأرض للعرب » وتلتقط الكاميرا أطفال هذا الرجل وهم يلعبون فى هذه الأرض ومعهم كلبهم الصغير .. بينما فى مكان آخر قريب بعض النساء العربيات يدرن فى حلقة ينشدن أهازيجهن الحزينة الباكية عن الأرض المفقودة .. وصوت بيجين فى أحد خطبه يقول « ان فلسطين وسوريا ما هى الا اسماء لأرضنا » ! .. وأحد الجنود الاسرائيليين يعلق ببجاحة متناهية « علينا ان نضرب العرب ولا ننتظر حتى يحاربوننا » ويرد عليه جندى آخر زميله ولكنه يبدو عليه انه من جناح آخر معتدل : « لا اوافقك الرأى .. لماذا لا نعطيهم ارضهم ونعيش فى سلام » !

وهكذا يمضى هذا الفيلم الوثائقى الذى سجل كل لقطاته بلا اعداد مسبق .. بل ترك كل شىء كما يحدث فى الواقع لنخرج بانطباع أكيد ووحيد .. أن هذه القوة الاسرائيلية لا تستند إلا على العنف والقهر وان الاستيلاء على الأرض وتغيير ملامحها هو هدفهم الأساسي لقطع كل الجذور .

● العالم السفلى فى تل أبيب

ومن داخل « تل ابيب » يقدم المخرج الاسرائيلى الشاب « ياكى يوشا » فيلما بعنوان « الشارع المسدود » حصلت ممثلته

المخرج يحتفظ بنسخة الفيلم ، وزميلته فى التليفزيون تحاول الحصول عليها.

الضحايا فى لبنان .. صورة من الواقع تجيب على السؤال الذى يطرحه الفكر الصهيونى فى فيلم «كروس كريك» .



اثناء تصوير فيلم الطريق المسدود .





على جائزة أحسن ممثلة فى اسرائيل عام ٨٢ .. وقد عرض هذا الفيلم فى برنـــامج « نصف شهر المخرجين » أحد الاقســـام الهامة فى مهرجان « كان » لهذا العام .

ويتعرض الفيلم لهذا العالم السفلى فى اسرائيل .. حيث الانحرافات والمخدرات والعنف والبلطجة .. ففى خلف هذه البنايات الضخمة فى تل أبيب .. توجد تلك الخرابة المهجورة والتى لا تتنفس الا ليلا من خلال تجمع المنحرفات .

ويفكر أحد المخرجين فى التليفزيون فى تقـديمتحقيق تليفزيونى عن واحـــدة منهن بمنطق ان يصنع منها امراة مختلفة .. ويتم اختيارها كنموذج يتميز بالشراسة والعدوانية ، وتجرى محاولات اقناعهـا بالدور المطلوب .. وهى لا تكف عن الرفض والشتائم .

الغريب تماما فى هذا الفيلم الناطق بالعبرية .. ان كل الشتائم القذرة تقال باللغة العربية الدارجة) .. ويحاول المخرج ان يكسبها كصديقة أولا حتى يروضها ويكسبها للبرنامج .. وعندما يتحقق له هذا .. يخضعها لعملية ماكياج دقيقة فى محاولة لاعادة البراءة إلى ملامحها .. ويختار لها ملابسها .. ويحدد لها حركتها وتصرفاتها .

وتتغير هذه الشخصية إلى فتاة مختلفة لا يكاد يتعرف عليها زملاؤها .. وتعجب هى بالشخصية الجديدة .. وتتعلق بالمخرج وتطلب منه بالحاح الا يعرض الفيلم الذى صوره عنها .. فهى لا تريد أن يعرف أحد ماضيها .. لقد غيرت اسمها .. وغيرت ملامحها .. وتغير أسلوبها .. فلماذا تعود مرة أخرى إلى الماضى .. ويقتنع المخرج بوجهة نظرها حباً منها وتقديراً للجهد الذى بذلته فى التحول .. ولكن عندما تعلم زملته فى البرنامج بهذا الاتفاق تثور ضده وتنتزع منه الفيلم .. وفى هذه اللحظة تدرك الفتاة نهايتها .. فتسرع إليها .. حيث تلقى بنفسها امام احدى الشاحنات الضخمة لتصرعها على الفور .. وينتهى الفيلم .

والقصة حقيقية .. حدثت فى تل أبيب عام ٧٧ .. واذاع التليفزيون الاسرائيلى الفيلم الذى صور عن هذه « الفتاة » بعد مصرعها بساعتين ..

وقد اعترف المخرج «ياكى يوشا» بانه تعرف على بطلة هذا الحادث أثناء تصوير البرنامج التلفزيونى .. واحس من خلال كلماتها انها تريد ان تغير حياتها .. وتكسب قوتها بعمل شريف .. فاستخدمها فى الاستوديو أثناء تصوير أحد افلامه ، لتصنع الشاى والشطائر للعاملين فى الفيلم .. واعربت له عن مشاعرها بعدم رغبتها فى ظهور البرنامج التلفزيونى .. وكما يقول المخرج انه لم يصدقها لحظتها .. ولهذا فهو يقدم هذا الفيلم عنها .. كاعتذار عما حدث ..

والمخرج «ياكى يوشا» كنت قد قدمت فيلمه السابق «النسر» فى الدوحة عدد سبتمبر ٨١ .. وقد كان ذلك الفيلم ادانة للجيش الاسرائيلى .. وتجارة الموت التى نشات فى اسرائيل بعد حرب ٧٣ .

وها هو فى فيلمه الجديد «الشارع المسدود» يأخذ شريحة من الحياة في الاماكن المظلمة خلف البنايات الضخمة التى تملأ قلب تل ابيب .. هذه الحياة بكل عفويتها وقذارتها وشراستها .. وحيث تتواطأ الشرطة مع العصابات وتتقاسم معهم النقود ..

وهذا الفيلم رغم حرفيته المتميزة فى الاخراج والتمثيل .. إلا انه لا يرقى ابداً الى مستوى فيلم «النسر» .

● اللعبة الجديدة

ولكن ما يدعو للتوقف والتساؤل .. هذا التغير الذى حدث فى سياسة الانتاج السينمائى الاسرائيلى .. وكيف اصبحت الأفلام التى تخرج من اسرائيل تهاجم النظام الحاكم فى اسرائيل .. وتعرى كل الفضائح والانحرافات .

هل هى فعلا مسالة ديموقراطية .. ؟

ولكن هل نصدق ان حكومة بيجين تطبق الديموقراطية .. خصوصاً فى السينما .. وهم يدركون جيداً مدى تاثير السينما .. وقوة الاعلام من خلالها ؟ .

ام أن المسالة هى لعبة توازن بين ما يقدمونه .. وبين ما يقدمه ابناؤها المنتشرون فى مؤسسات الفن والاعلام بالخارج ..

ان سمعة النظام الاسرائيلى وما فعله من جرائم فى لبنان ومع ابناء فلسطين .. والتعنت الواضح وسياسة العنف والدم التى هزت ضمير العالم خلال العامين الماضيين بالذات .. لا يمكن ان تسمح لاحد فى العالم بان يصدق دعوة تعاطف مع اليهود تصدر من اسرائيل ..

ولكن من الممكن ان تمر هذه الدعوة إذا حملت اى لافتة اخرى ..

ومن هنا .. علينا ان نفهم هذه اللعبة الجديدة .

«رءوف توفيق»

«الموت» هو اللغة الوحيدة التى تعرفها اسرائيل فى مواجهة كل من يطالب بحقه فى الأرض والحياة



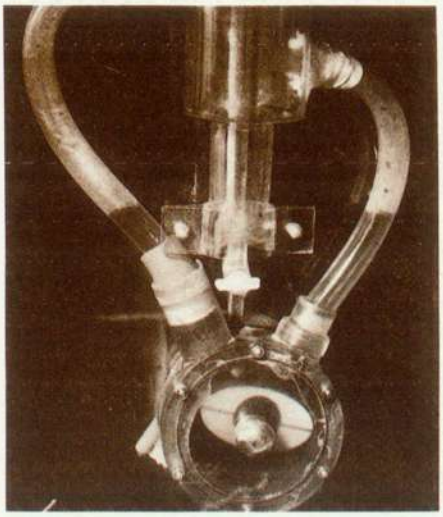
لقطة من العمل داخل المزرعة فى فيلم الخماسين .



العلم والمستقبل

تقديم : لبنى الريدي

محرك ميكانيكى بدلا من القلب



نموذج القلب الفرنسى

يقدم طبيب فرنسى نموذجاً جديداً للقلب الصناعى لا يلتزم بشكل القلب الطبيعى وانما هو اقرب ما يكون لمضخة ذات دوار بيضاوى استوحى شكلها من المحركات الميكانيكية . ولقد صنع القلب الفرنسى من مواد كربونية مركبة يتقبلها الجسم لان جهاز المناعة فيه يجهل وجودها تماماً .

ويؤكد الطبيب الشاب ان ابتكاره اكثر تطوراً من النموذج الامريكى فهو يتميز بان المحرك موجود داخل القلب ذاته مما يمنح المريض مزية حركة بعكس القلب الامريكى حيث كان على الدكتور بارنى كلارك ان يجر وراءه ١٥٠ كيلو جراماً من الاجهزة .

ولتزويد المضخة بالطاقة اللازمة لتشغيلها يتم زرع بطارية حجمها اكبر قليلا من حجم منظم القلب المعروف وتشحن هذه البطارية بشكل مستمر بالقوة الدافعة التأثيرية لبطارية خارجية صغيرة يثبتها المريض فى حزامه . وتستطيع البطارية المزروعة مواجهة اى مجهود عضلى اضافى يقوم به المريض .

ولعل من اهم مميزات هذا القلب المضخة ان الدم الذى يتجمد داخله يتحول خلال اسابيع قليلة الى نسيج حي ويغطى سطح القلب الصناعى نسيج طلائى مما يحل جذرياً مشكلة رفض الجسم للعضو المزروع ولقد تم تجربة هذا القلب بنجاح على الحيوان ومن المتوقع تجربته على الانسان خلال عامين .

هاتف يكتب الرسائل

لا تستطيع بعض المهن الاستغناء عن الهاتف سواء فى المنزل او خارجه . ولذلك زودت السيارات بالهاتف اللاسلكى . ولكن البعض يرى انه غير كاف فسوف يتعذر الاتصال اذا غادر هذا الشخص السيارة للقيام بزيارة او مستروات او حتى لتناول الطعام .

ومن ثم تم ابتكار هاتف لاسلكي جديد مزود بطباعة لاستقبال الرسائل مكتوبة بحيث يجدها صاحب الهاتف عند عودته . ولا يكتفى هذا النظام بهذا الموقف السلبى وانما ينبه صاحبه عن طريق جهاز استقبال صغير يحمله فى جيبه اينما ذهب بان هناك رسالة يجرى استقبالها على الهاتف .

ويتميز النظام بالدقة فلا مجال لحدوث اى خطأ فالرسالة المكتوبة لا تعطى فرصة لأى التباس فى المعنى سواء من قبل المرسل او المستقبل . ولا يستغرق ارسال الرسالة سوى ثانية واحدة وهو زمن قياسي . كما يمكن تكويدها لتفادى اى عمليات تصنت غير مرغوب فيها .

اما السنترال فمزود بكمبيوتر يحتفظ بالرسائل فى ذاكرته ليبثها بمجرد ان يصبح التردد غير مشغول وهو يستطيع اختزان ٤٥٠ رسالة . ويسجل جهاز الكمبيوتر تاريخ وساعة الارسال والاستقبال لأى رسالة . كما يستطيع الهاتف الجديد الاحتفاظ فى ذاكرته برسالة واحدة حتى يتم طبع الرسالة السابقة .



الهاتف الجديد يطبع الرسالة

اشعة الليزر وتحديد عيوب البصر

احدث جهاز فى موجة الاجهزة الطبية للتشخيص الذاتى هو جهاز لاختبار قدرة الابصار وحدته . ففي خلال ثوان معدودات يكتشف الجهاز البريطانى الجنسية اذا كان هناك عيب وما نوعه . ولا يزيد حجمه عن حجم الآله الكاتبه الصغيرة وهو يعمل باشعة الليزر .

ويحتوى الجهاز على مولد اشعة الليزر يقوم بتوجيه الشعاع الضوئى الى عين الشخص من خلال شاشة دائرية صغيرة .

وعندما ينعكس الشعاع من العين فان نقطاً تظهر على الشاشة وتتحرك فى حالة وجود خلل فى قدرة الأبصار . ويستطيع الجهاز تحديد نوع العيب تبعاً لحركة النقط . ولان الجهاز ذكى فهو يبين للمريض اذا كان هناك اكثر من عيب من عيوب البصر بل ويحدد أيضاً نوع العدسات اللازمة لتعويض هذا العيب .

ولكن هذا الجهاز لا يغنى بالطبع عن الفحص المتخصص للعين .

التوقيت فى كل انحاء العالم



الساعة العالمية

تعلم جميعاً ان من نتائج دوران الارض ان الشمس عندما تشرق على مناطق من الكرة فهي تغيب عن مناطق اخرى ومن ثم فان التوقيت يختلف من بلد الى آخر تبعاً لموقعه الجغرافى .

ولكن هذه الكرة الأرضية تتيح لك معرفة الوقت فى أى بلد فى العالم وفى أى لحظة بشرط واحد أن يكون هذا البلد وجوداً على الخريطة . ويكفي لذلك تدوير الكرة الأرضية حول محورها حتى تضيء المدينة التي تريدها بضوء احمر وفى نفس الوقت تظهر على شاشة صغيرة التوقيت المحلى للمدينة التى تقيم بها وتوقيت المدينة المطلوبة ويكتب الوقت بارقام واضحة .

ويتم ضبط هذه الساعة مرة واحدة عند بداية تشغيلها وذلك بان نجعل اسم المدينة التى تقيم بها يضيء باللون الاحمر ويتم ضبط كل من التوقيت العلوى والسفلى الذى يظهر على الشاشة على الساعة حينذاك .

ولكن لا تاخذ هذه الساعة فى الاعتبار التوقيت الصيفي أو الشتوى المعمول به فى بعض البلدان .

طماطم لها جلد بقرة

قد يصعب فى بعض الاحيان الفصل بين بعض انواع الحيوان والنبات بشكل قاطع خاصة فيما يتعلق بالكائنات وحيدة الخلية . ويوجد فى الطبيعة كائنات لا يمكن تصنيفها اذ تضم صفات حيوانية ونباتية فى آن واحد . ولكن ولاول مرة نجح باحثان المانيان فى تخليق كائن هجين نباتى ـ حيوانى .

واستخدما فى ذلك تقنيات متطورة فى مجال التهجين الخلوى اى التهجين على مستوى الخلية وليس على مستوى الكائن الحي . وتتلخص الطريقة فى احداث اندماج خلوى بين خلية نباتية واخرى حيوانية . ولتحقيق هذا الاندماج استعمل الباحثان قطبين كهربيين فى وسط يضم مزرعة من خلايا الطماطم وخلايا بقرة وبامرار تيار كهربى لمدة قصيرة جداً يحدث اندماج خلوى جزئي فى الحال ويتحول الى اندماج كامل بعد عدة ساعات من الحضانة .

وبذلك حصل الباحثان على خلايا هجين تضم العوامل الوراثية لكلا النوعين . وعندما نمت هذه الخلايا فى وسط آخر اعطت نباتاً مدهشاً تشبه ثماره الى حد كبير ثمار الطماطم إلا ان لها غشاء خارجياً سميك جداً مثل جلد الابقار . وبالرغم ان الباحثين لم يفصحا عن خططهما بالنسبة للمستقبل فان هذا البحث يعد ثورة فى مجال التهجين فلاول مرة يلتقى العالم الحيوانى والعالم النباتى .

معمل طبع لا يخشى الضوء

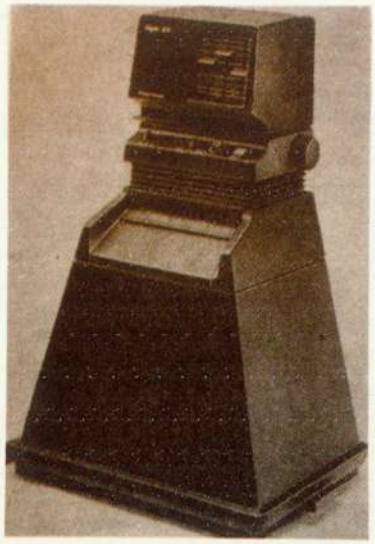
يستطيع هواة التصوير الخروج من الحجرة المظلمة لطبع الصور الملونة وتكبيرها فى ضوء النهار او تحت الاضواء الساطعة وذلك بفضل جهاز طبع جديد . وكما يتضح من الصورة فان ارتفاعه لايتجاوز ١٩ بوصة ويستطيع تكبير شرائح وصور سلبية مقاس ٣٥ ملليمترا الى اى من المقاسات الثلاثة التالية : ٥ / ٧ او ٨ / ١٠ او ١١ / ١٤ .

ولا يحتاج الجهاز الى اى تجهيزات خاصة كتوفير ماء جارى مثلا . وفى حالة عدم استخدامه يمكن طيه بحيث لا يشغل حيزاً كبيراً ويسهل حفظه على احد الارفف او داخل خزانة صغيرة .

ويتكون الجهاز الجديد من آلة تكبير مثبتة فوق كاسيت غير منفذ للضوء يحتوى ورق الطبع الفوتوغرافى . وقبل تعريض النسخة للضوء يقوم المصور بمراجعة عملية التكبير اذ يمكن ضبط وتعديل الالوان للحصول على توازن افضل قبل الطبع .

كما يتيح هذا الجهاز الحصول على تاثيرات فوتوغرافية خاصة باحداث تداخل بين شريحتين او اعادة ترتيب الصور فى عملية مونتاج بسيطة . وبمجرد تعريض الصورة للضوء يمكن اخراجها من الجهاز وغسلها بالماء ثم تجفيفها خلال دقائق معدودات .

وينتظر طرح هذا الجهاز الذى لا يتطلب مواد كيمائية معينة او نوع خاص من ورق الطبع قبل نهاية هذا العام فى الولايات المتحدة .



معمل جديد للصور الملونة



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ليست لاحد الاهرامات الفرعونية ولكنها لاحد الفنادق العالمية بعاصمة دولة عربية : هل يمكن التعرف على هذه العاصمة والبحر الذى تطل عليه.



الصورة الثانية :

كان الشخصية الرائدة لحركة الاستنارة الفرنسية فى القرن الثامن عشر وقد سجن فى سجن الباستيل وكان شاعراً وكاتباً مسرحياً ومؤرخاً وفيلسوفاً ومن أشهر كتبه رسائل فلسفية الذى نشر سنة ١٧٣٤ ، فمن هو هذا المفكر الحر .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد "٩١"



الصورة الأولى : الجامع الأزهر بالقاهرة .
الفائز : محمد صو ـ السنغال .
الفائز : محمد عبد الرحيم عبد الله ـ السودان



الصورة الثانية : عبد الرحمن الكواكبي
الفائزة : فاطمة يوسف السبع ـ لبنان
الفائز : خليفة احمد ـ الامارات العربية

عرقوب والوعود



قال أبو عبيد : عرقوب رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها . فلما أطلعت أتاه كوعده فقال له : دعها حتى تصير زهواً فلما زهت قال له : دعها حتى تصير ثمداً فلما أثمدت عمد اليها عرقوب فى الليل فقطعها ولم يعط أخاه شيئاً فصار مثلا يضرب فى خلف الوعد وفيه يقول الشاعر :

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

عز الدين عبد الوهاب ابو علامة
السودان

مواساة



ذهب شاب فرنسى فقير الى مدير إحدى الشركات لكي يجد له عملا ، وروى للمدير كيف أنه بائس وأن أولاده يتضورون جوعاً كما أن زوجته ووالده العجوز فى حاجة الى ثمن الدواء .

وتأثر المدير ولم يتمالك نفسه من البكاء ثم دق الجرس ولما جاء الفراش ، أشار المدير اليه قائلا :

«لقد قطع هذا الرجل نياط قلبى بظروفه المؤلمة فأخرجه من هنا» .

طارق محمد السيد عوض ـ مصر

لقطة الشهر



أكل العيش صعب

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء فضيلى سلوى ـ الجزائر

كلمات مأثورة



ـ العمل يقتل أكبر أعداء الانسان ـ الملل ـ الشر ـ الفقر ـ (فولتير) .
ـ اذا أراد الله بقوم سوءاً ابتلاهم بكثرة الجدل وقلة العمل . (عمر بن الخطاب) .
ـ اذا كنت تحب الحياة فلا تضيع الوقت سدى لأن الوقت هو المادة التى صنعت منها الحياة . (فرانكلين) .
ـ كن سيد ارادتك وعبد ضميرك . (أرسطو) .
ـ انى أشفق على الشخص الذى لا غاية له فى هذه الحياة . (أديسون) .

مصطفى عبد القوي ـ مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

حاكم عربى قرشى بلغت الدولة الاسلامية فى عهده مبلغا لم يسبق له مثيل من المجد والتقدم ، كان ينظر الى السحابة فى الجو ويقول لها : امطرى اين تشائين فسياتينى خراجك !!

اسمه من كلمتين فى احد عشر حرفا ويمكن ان تكون عشرة احرف :

٢ ـ ٧ ـ ٩ ـ ١ ـ ١٠ ـ ١١ الذى يقتل فى سبيل الله .

٦ ـ ٨ ـ ٤ ـ ١٠ ملكة حكمت اليمن زمن الصليحيين .

٥ ـ ١ ـ ٣ مجرى ماء .

أين ؟

العاصمة التى عاش فيها ذلك الحاكم العربى . اسمها من خمسة احرف :

٢ ـ ٥ ـ ٤ ما بعد هذا اليوم .

٣ ـ ١ حيوان له فرو .

ما ؟

الدستور الذى كان ذلك الحاكم العظيم يتخذ منه قوانينه وتشريعاته لتسيير امور الدولة . اسمه من كلمتين فى اثنى عشر حرفا :

١ ـ ٨ ـ ٥ ـ ١٠ ـ ٩ ـ ٧ ـ ٦ ضباط قيادة الجيش .

٧ ـ ٢ ـ ١٢ ـ ٤ ـ ٣ ماء طبخ اللحم .

١١ ـ ٦ اسم عملة قوية .

الإجابة الصحيحة

١) ملوك الطوائف بالأندلس ، الذين فقدنا على ايديهم امجادنا هنالك منهم ثلاثة فى المجموعات الحاكمة التالية :

بنو عباد ـ بنو زيرى ـ بنو حمود ـ بنو خمارتكين . بنو منقذ ـ بنو شهاب .

٢) «يصنع الكهرمان من ثانى اكسيد السيليكون» .

هل هذه العبارة صحيحة علميا .

٣) رتب الجبال التالية حسب ارتفاعها :

جبل ايفرست ـ جبل سانت كاترين ـ جبل الرحمة .

٤) التعريف الكيماوى للصابون هو انه :

ملح لحامض عضوى ـ ثانى اكسيد للافلز ـ ايدروكسيد لعنصر غازى .

٥) إثنان من النباتات التالية من عائلة واحدة :

الخروب ـ البامية ـ الكركديه ـ الينسون ـ الفلفل ـ الفجل .

٦) توجد بحيرة مربوط فى القطر العربى :

العراقى ـ السورى ـ اليمنى ـ المصرى ـ العمانى .

٧) سرق القرامطة الحجر الأسود من الكعبة المشرفة سنة ٣١٧ هجرية وابقوه عندهم بالبحرين الى سنة : ٣٣٩ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٩ هجرية .

٨) همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا
انا ما عشت لست اعدم قوتا واذا مت لست اعدم قبرا

من قائل هذين البيتين ؟؟

٩) مات الملك بولدوين الأول سنة ١١١٨ م في مدينة :

يافا ـ نابلس ـ العريش ـ بلبيس ـ عكا ـ القدس .

١٠) تبلغ مساحة دولة قطر حوالى : ١٢ الف كيلو متر مربع ـ عشرين الف ميل مربع ـ مليون فدان .

حل مسابقة العدد «٩١»

من : سمو الشيخ خليفة ابن حمد آل ثانى
اين : الدوحة .
ما : البترول .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ العبارة صحيحة .
٢ ـ العلامة الرازى .
٣ ـ حبرون .
٤ ـ المحيط الهندى .
٥ ـ النابغة الذبياني .
٦ ـ الماء .
٧ ـ للحسابات الفلكية .
٨ ـ ٤ مئوية فوق الصفر .
٩ ـ أبو الفتح الشهرستانى
١٠ ـ ٢٥ خمسا وعشرين مرة

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل لون العلم ـ شراع المركب ـ قرص الشمس ـ عدد القلوب ـ موج البحر ـ شعر الفتاة ـ عين البنت .

الفائز : سميح سلامة عياد ـ مصر .

الفائز : محمد عبد الرحمن بدير ـ السعودية .

٢ ـ دورى الكاريكاتير : الحل رقم ٨

الفائز : احمد الحسينى ـ لبنان

الفائز : جمال ابراهيم بكر ـ مصر

٣ ـ لأقوياء الملاحظة :

وردة ـ قبعة ـ زهرية ـ خاتم ـ سوار ـ احمر شفاه .

الفائز : سيد احمد خضر ـ السودان .

الفائزة : سلوى عبد الفتاح ـ مصر .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة القارئة : نوال عبد الرحمن محمد ـ الأردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : احمد محمد خضر ـ مصر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : ميزر خاشع سلطان ـ الكويت .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ مروان عبد الهادى ـ الأردن
٢ ـ عفارى حسن ـ المغرب
٣ ـ علي حسن الحاج ـ قطر
٤ ـ عثمان الدرديدى ـ السودان
٥ ـ سنان فايز عبيدات ـ السعودية
٦ ـ منال سعد سالم ـ اليمن الديمقراطية
٧ ـ ثريا عبده علي ـ البحرين
٨ ـ محمد حسن المراغي ـ مصر
٩ ـ غسان حسن فخر الدين ـ لبنان
١٠ ـ بسام سليم عدي ـ الامارات العربية

استراحة الدوحة العدد "٩١"

٤ ـ يخلق من الشبه اربعين : الحل رقم ٥
الفائز : احمد سعيد زيادة ـ سوريا .
الفائز : منذر عبد العزيز الشمالي ـ الكويت

٥ ـ لعبة الظلال : اللاعب رقم ٢
الفائز : احمد قايد علي ـ الامارات العربية
الفائز : عصام عبد الجليل ـ مصر .

٦ ـ المثل يقول : اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب .
الفائز : حميدة بشرى حميدة ـ السودان
الفائز : محمد عدي ـ المغرب .

٧ ـ اجمل تعليق :
«منتهى التكامل .
الفائزة : ماجدة عز الدين صالح ـ السودان .

«قرأت» الجبال البحرية

يؤمن العلماء بأن أقدم جبال فى العالم تقبع تحت مياه المحيط الأطلسى ، وهذه الجبال (البحرية) ـ على عكس الجبال الموجودة فوق سطح الأرض ـ غير معرضة لعوامل التآكل والتعرية ، إذ يعتقد أن أعمارها تزيد على ملايين السنين .

ومن المنتظر أن تعيش هذه الجبال أزمنة أطول من الأزمنة التى تعيشها الجبال التى تقع تحت سطح الأرض بالنسبة للهدوء النسبى فى الظروف المناخية تحت سطح البحر .

وتعتبر أطول سلسلة جبلية تحت سطح الماء هى سلسلة الجبال الموجودة تحت مياه المحيط الأطلسى والممتدة من أيسلندا الى منطقة القطب الجنوبى ، وهى تتخذ شكل القارات الموجودة بالقرب منها ، حيث يبلغ متوسط ارتفاع هذه السلسلة نحو ٧٠٠٠ قدم . ومعظم قمم هذه الجبال تقع على عمق يبلغ حوالى ٢٠٠٠ قدم تحت سطح المحيط .

وتعتبر جزيرة «بيكو» فى منطقة الأزورس قمة لأحد هذه الجبال ، حيث يبلغ ارتفاعها ٢٧٠٠٠ قدم بالرغم من أن ٢٠٠٠٠ قدم منها تقع تحت سطح المحيط الأطلنطى ، وقد تختفى قمم هذه الجبال تحت سطح الماء ، ولكنها توجد حقيقة بالرغم من انه كان يشك فى وجودها منذ قرن مضى ، حيث دلت على وجودها دراسة طبيعة قاع البحر لعمل توصيلات الكابلات الكهربية .

وتعتبر قمم جبال «كوناكيا» فى جزر هاواى أعلى هذه الجبال الموجودة تحت سطح البحر ، إذ يبلغ ارتفاعها ١٣٧٨٤ قدماً فوق سطح البحر و ١٦٠٠٠ قدم تحت سطح البحر .

والعجيب ، إذن ، أن هذا الارتفاع يزيد على ارتفاع قمة أفرست بحوالى ٦٤٣ قدم .

محمد فكري عبد الجليل
بورسعيد ـ مصر

عن اللسان قالوا

قالت العرب : سلامة الانسان فى حلاوة اللسان .
المرء بأصغريه قلبه ولسانه .
وقال الأتراك : وخز اللسان أحد من وخز السنان .
اللسان يدمى أكثر مما يدمى السيف .
وقال الصينيون : اللسان يمكنه أن يطلق كلمة تتجاوز سرعتها سرعة أى جواد .
وقال الفرس : لسان طويل موت مبكر .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعظم الخطايا اللسان الكذوب .

وليد سليمان السلوم ـ سورية

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا.

أصل وصورة



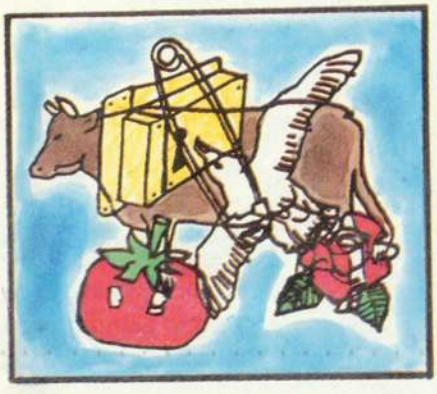
● هناك سبعة اختلافات بين اصل وصورة الشاعر الراحل امل دنقل ، الذى كان يرى دائماً أن الشاعر الحق هو القادر على النفاذ ببصيرته الى العناصر الفعالة فى تراث امته .. هل تستطيع التعرف على هذه الاختلافات ؟ .. حاول لتحصل على جائزة !

لوحة لم تتم



● هذه اللوحة لصحفى كبير اشتهر بين قرائه بعموده اليومى « نحو النور » الذى ظل يكتبه بصفة منتظمة لاكثر من ربع قرن .. اكمل اللوحة لتتعرف على الشخصية .. وأرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!

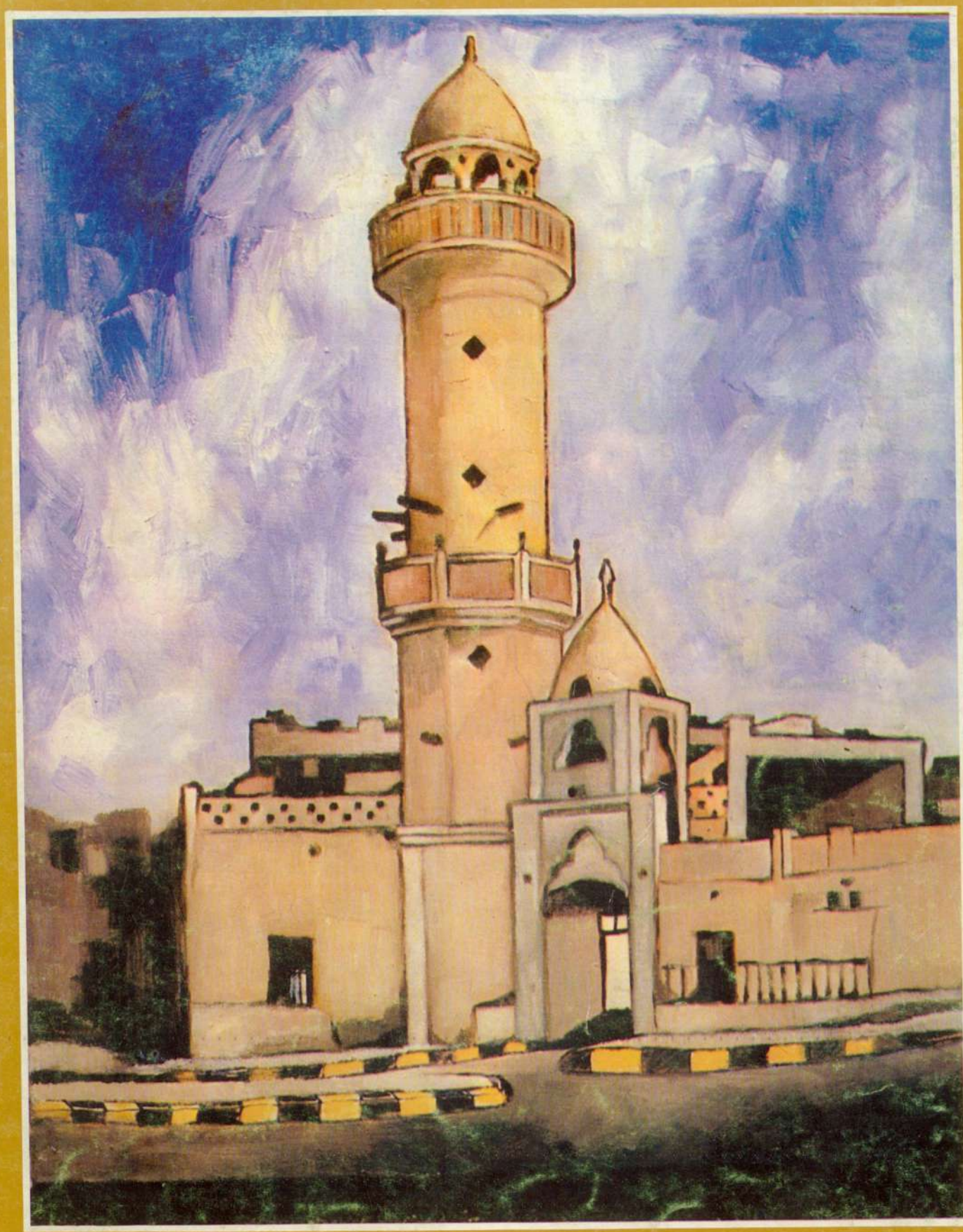


● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة .....



تيم

إرو عَطشَك مَع



«مسجد الأصمخ» من المساجد القديمة بمدينة الدوحة

للفنان القطري: سلمان المالكي